Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون ١٢
مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي (حريصا - لبنان)

أندراوس بشتة
عادل تيودور خوري

عالم واحد للجميع

بالاشتراك مع

كريستيان ف. ترول — السيّد محمّد الحامدي
ناصرة إقبال — هاينرخ شنايدر
محمّد طالبي — فولكمار كولر

أعمال المؤتمر المسيحي الإسلامي الدولي الثاني
قبرص ١٣-١٦ أيّار ١٩٩٧

المكتبة البولسيّة
٢٠٠٠
جونية - لبنان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أندراوس بشتيه　　عادل تيودور خوري

عالم واحد للجميع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون

سلسلة أسّسها ويُشرف عليها

عادل تيودور خوري – مشير باسيل عون

وينشرها

مركز الأبحاث في الحوار المسيحيّ الإسلاميّ
C.E.R.D.I.C.
حريصا ✧ لبنان

١٢

أندراوس بشتِه وعادل تيودور خوري ، **عالم واحد للجميع . أسس التعدّديّة الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة في نظر المسيحيّة والإسلام** .
المكتبة البولسيّة (جونية – لبنان) ، ٢٠٠٠ ، ٥٠٤ ص .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أندراوس بشتة　　عادل تيودور خوري

عالم واحد للجميع

أسس التعددية الاجتماعية والسياسية والثقافية في نظر المسيحية والإسلام

بالاشتراك مع

كريستيان ف. تروللّ　　السيّد محمّد الخامنئي
ناصرة إقبال　　هاينرخ شنايدر
محمّد طالبي　　فولكمار كولر

أعمال المؤتمر المسيحي الإسلامي الدّولي الثاني
ڤيينّا ١٣-١٦ أيّار ١٩٩٧

المكتبة البولسية
جونيه - لبنان
٢٠٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظهر هذا الكتاب بالألمانيّة :

Andreas Bsteh (Hrsg.),
Eine Welt für alle. Grundlagen eines gesellschaftspolitischen und kulturellen Pluralismus in christlicher und islamischer Perspektive.
Beiträge zur Religionstheologie 9.
Verlag St. Gabriel, Mödling, Österreich, 1999, 431 S.

قام بنقل هذا الكتاب إلى العربيّة عادل تيودور خوري . وأسهم في تعريب أقسام منه علم الياس علم (محاضرة تروللّ ومحاضرة طالبي) ومشير باسيل عون (قسم من محاضرة شنايدر) .

Übersetzung und Drucklegung mit Unterstützung des Ministeriums für auswertige Angelegenheiten der Bundesrepublik Österreich.

نُقل إلى العربيّة وطُبع بمساندة وزارة الشؤون الخارجيّة النمساويّة .

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة البولسيّة ٢٠٠٠

المكتبة البولسيّة : جونية – لبنان ، ص.ب ١٢٥
هاتف ٩-٩١١٥٦١
فاكس ٩-٩١٨٤٤٧-(٩٦١)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدّمة

أندراوس بشته

في شهر أيّار سنة ١٩٩٧ اجتمع في فيينّا بالنمسة مسلمون ومسيحيّون من أقطار مختلفة ، من الشرق الأقصى والشرق الأدنى ، من بلدان أفريقيّة ، من نيجيريا وإفريقية الجنوبيّة ، من أميركا وأوروبا . وكان أغلبهم قد اشتركوا في المؤتمر الحواريّ المسيحيّ الإسلاميّ الأوّل في فيينّا الذي عُقد سنة ١٩٩٣ حول موضوع " سلام للبشر " [١] . ومن حلقات المناقشة خلال هذا المؤتمر الأوّل نتج موضوع الاجتماع الثاني " عالم واحد للجميع " ، إذ جرى تبادل آراء عميق حول مشاكل الحاضر وحول التطوّرات التي بدت معالمها تظهر في عالمنا . وهكذا قُرّر أنّ التوتّر الناتج من تفشّي عولمة مرافق الحياة كلّها في شتّى المجالات الاجتماعيّة ، وذلك في البلدان المختلفة وعلى الصعيد العالميّ ، ينبغي أن يكون " الموضوع الرئيسيّ للمؤتمر اللاحق " [٢] .

إنّ المشتركين في المؤتمر والرأي العامّ المتنبّه للقضيّة قد تيقّنوا بحقّ أنّ هذه البادرة الحواريّة التي ورثها وزير الخارجيّة النمساويّة ونائب المستشار الدكتور فولفغانغ شوسّل (Dr. Wolfgang Schüssel) من سلفه في

---

[١] لقد صدرت أعمال هذا المؤتمر باللغة الألمانيّة في النمسا ، وباللغة الانكليزيّة في عدّة طبعات في الهند ، وبالأردو في الباكستان ، وباللغة العربيّة . والكتاب هو العدد الثالث من سلسلة " المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون " ، المكتبة البولسيّة ، جونية – لبنان ١٩٩٧ . وحدّد طبع الكتاب سنة ١٩٩٩ ، وعنوانه : أندراوس بشته – عادل تيودور خوري : " سلامٌ للبشر – المسيحيّة والإسلام ينظران إلى السلام في أسسه ومشاكله وأبعاده المقبلة " .

[٢] راجع في ذلك ما عُرض في الوثيقة الإعداديّة ، المنشورة في آخر الكتاب ، ص ٤٩٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوزارة الدكتور ألويس موك (Dr. Alois Mock) ويرعاها بكثير من الالتفات ويعمل على دفعها الى الأمام ، – أنّ هذه البادرة تكتسب أبعادًا تتعدّى الواقع الحاضر وتتّجه نحو إنشاء مسيرة حواريّة يقابلها الرأي العامّ الدوليّ بكثير من التطلّعات والآمال [٣] . لا شكّ أنّ هذا ناتج عن أنّ أكثر المشتركين في المؤتمر الأوّل قد دُعوا للاشتراك في المؤتمر الثاني وقبلوا هذه الدعوة . وهكذا حصل تواصل في الموضوع ، وتعمّق في المناقشات ، إذ كان من الممكن الرجوع الى مناقشات المؤتمر الأوّل والتنبّه الى نتائجه . ويجب الإشارة هنا إلى أنّ المشتركين – مهما كانت مناصبهم في بلدانهم – لم يحضروا على أساس مهمّات منصبهم ولا كموفدين من قبل جماعاتهم الدينيّة ، بل إنّهم دخلوا في النقاش وتبادل الأفكار على أساس قناعاتهم الشخصيّة ووجهات نظرهم المختلفة – ممّا لفت انتباه الحاضرين خلال المؤتمرين كليهما [٤] .

إنّ عنوان المؤتمر "عالم واحد للجميع" تمّ التوجّه فيه إلى ثلاثة قطاعات لها أهمّيّة خاصّة عندما يطرح السؤال عن "أسس تعدّديّة اجتماعيّة وثقافيّة في نظر المسيحيّة والإسلام" . فبالرغم من وجود طبقات كثيرة

---

[٣] هكذا نشر الهولنديّ يان سلومب (Jan Slomp) مقالاً عن مؤتمر سنة ١٩٩٧ في المجلّة المهمّة الصادرة عن معهد شؤون الأقلّيّات الإسلاميّة ، تحت عنوان : "عالم واحد للجميع ، مسيرة الحوار في فيينّا" ، وتطرّق فيه بإسهاب إلى المساهمة الخاصّة الناتجة عن هذه البادرة الحواريّة في إطار الجهود العالميّة الرامية إلى تعزيز الحوار بين المسيحيّة والإسلام . راجع : Journal of Muslim Minority Affairs 18 (1998), 181-185 .

[٤] هذا ما ألمح إليه الأساتذة رضوان السيّد ومحمود زقزوق (في المؤتمر الأوّل) ، وعلي الدسوقي (في المؤتمر الثاني) ، وقد أكّده يان سلومب ، ص ١٨٣ ، من مقاله المذكور في الحاشية السابقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في أبعاد مواضيع المؤتمر [٥] ، علينا أن نتساءل هل يرى المسيحيّون والمسلمون ، انطلاقًا من دعوى كلٍّ من ديانتيهم امتلاك الحقيقة ، أنّ تعدّديّة اجتماعيّة وسياسيّة ممكنة إطلاقًا ، بما في ذلك التعامل القائم على الاعتراف للآخر بالحقوق عينها وعلى ممارسة التعاون في العمل ، سعيًا وراء خير الجميع . هل يمكنهم ذلك لا كصيغة مساومة مع ضميرهم في أفضل الأحوال ، بل على أساس قناعاتهم الدينيّة . هذا كان موضوع اليوم الأوّل . أمّا في اليوم الثاني ، فتمّ الاشتغال بقضيّة البنى القانونيّة والضمانات السياسيّة للتعدّديّة على الصعيد الوطنيّ والدوليّ ، مع العلم أنّ هذه النواحي من الموضوع ، كمثلها من نواحي المواضيع الأخرى ، لا يمكن فصلها الواحدة عن الأخرى ، بل هي متشابكة بعضها مع بعض ، كما أكّده المحاضرون والمشتركون في دورات المناقشة على حدّ سواء . وأخيرًا تركّز الاهتمام في اليوم الثالث على " الهويّة الثقافيّة ومسألة ثقافة عالميّة " ، وهو موضوع متشابك مع المواضيع الأخرى ، لا سيّما أنّ الدين في حقل التراث يُعدّ كروح الثقافة وأنّ النقاش يدور اليوم حول أهمّيّة الثقافة أو الثقافات في السياسة .

إنّ تبادل الأفكار والنقاش ، الذي جرى باندفاع شخصيّ كبير وقد خُصّص له خلال المؤتمر وقت واسع ، قد أُفسِحَ له في هذا الكتاب بمجال مناسب ، إذ كان ذلك ، إلى جانب المحاضرات وكلمات الافتتاح ، جزءًا مهمًّا من أعمال المؤتمر اليوميّة . وكي يتمّ عرض المداخلات على القرّاء في صيغة صحيحة ، عُرضت على المناقشين والمعلّقين للاطّلاع عليها . وهكذا يمكن اعتبار نصّ المداخلات جميعها نصًّا موافَقًا عليه ينقل ما في الحلقات ، ويكون من ثَمّ شاهدًا صحيحًا عن الحوار المتشعّب والمؤثّر

---

[٥] راجع ما قاله البرفسّور شنايدر في مطلع محاضرته ، ص ٢٥٣-٢٥٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحيانًا . فللمحاضرين والمشتركين الآخرين نوجّه هنا كلمة شكر خالصة لمساهمتهم في تحقيق هذا الكتاب الذي يحتوي أعمال مؤتمرنا المشترك .

ويجدر بالذكر أنّه في مرحلة إعداد المؤتمر ومرحلة عقده ومرحلة نشر أعماله ، كان البروفسّور عادل تيودور خوري على استعداد كبير غير اعتياديّ – ويُشكر عليه – للمساعدة بالتضحية والعمل ، لا سيّما بالنسبة إلى التحقيق بالمداخلات والمناقشات وصيغتها . فإنّه قد تمّ تسجيلها أوّلاً بلغتها الأصليّة (أي الألمانيّة والإنكليزيّة والفرنسيّة والعربيّة ، وكانت هذه اللغات الرسميّة للمؤتمر) . ثم نُقلت كلّها إلى الألمانيّة قبل البدء بالعمل على صياغتها . والبروفسّور خوري سيهتمّ بإعداد نشر هذا الكتاب باللغة العربيّة ، كما حصل بالنسبة إلى أعمال مؤتمر عام ١٩٩٣ " سلامٌ للبشر " . وتقديرًا لاهتمامه هذا الواسع لصالح الحوار المسيحيّ الإسلاميّ ، لا سيّما في إطار ندوة الحوار في فيينّا ، منحه رئيس الجمهوريّة النمساويّة عام ١٩٩٨ وسام الشرف الكبير اعترافًا بخدماته للجمهوريّة النمساويّة .

إنّ محاضرة السيّد محمد الخامنئي ننشرها هنا في نصّها العربيّ الذي تكرّم وبعث به إلينا .

وليُسمح لنا بمناسبة نشر أعمال هذا المؤتمر أن نذكر مع الشكر الخاصّ البروفسّور فكتور تاينا من إندونيسيا ، فإنّه اشترك في المؤتمرين ، وقد توفّي عام ١٩٩٨ . وكذلك نخصّ بالذكر الأساتذة شين أنزاي وسعد غراب وعبد الجواد فلاتوري ، الذين اشتركوا في المؤتمر الأوّل سنة ١٩٩٣ ، وقد توفّاهم الله أيضًا .

لمدّة أيّام المؤتمر كانت المكتبة الوطنيّة النمساويّة قد سلّمتنا مخطوطتين نفيستين عُرضتا في وسط قاعة الاجتماع في قصر فيينّا (Hofburg) ، وهما المخطوطة المختلطة رقم ٨١٣ ، وهي مخطوطة للقرآن من آخر القرن الثالث عشر ، والمخطوطة الإضافيّة اليونانيّة رقم ١٠٧ ، وهي مخطوطة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للأناجيل الأربعة من أواخر القرن الثالث عشر (وقد نقلت عن مخطوطة من القرن الحادي عشر) ، من جزيرة رودس . واحتلّت هاتان المخطوطتان ، بمظهر رمزيّ ، مركز الوسط الروحيّ للمؤتمر الحواريّ .

وكان من العناصر المهمّة في تخطيط المؤتمر وعقده التعاون مع وزارة الشؤون الخارجيّة ، ولا سيّما مع السفير الدكتور جرهارد راينر (Gerhard Rainer) والسفارات النمساويّة في الخارج . وهكذا اتّضحت أبعاد المشروع العالميّة واتّجاهه الفكريّ نحو القضايا الكبيرة في التطوّر الحاليّ في العالم . ومع ذلك لم تُمسّ في شيء حرّيّة الفكر والنقاش . وإنّ وزارة الشؤون الخارجيّة قد قدّمت الإعانات الماليّة اللازمة لعقد هذا المؤتمر . أمّا باقي النشاطات المتعلّقة بإعداد هذا المؤتمر الدوليّ ونشر أعماله ، فقد ساندتها وزارة المعارف والسَّير ، في إطار إعانتها لمعهد القديس جبرائيل . فنوجّه لجميع المسؤولين شكرنا الخالص .

أمّا مهمّة إعداد النصوص وضبط التسجيلات فقد قامت بها السيّدة الماجستير كاترينا ألْبْرخت (Albrecht) بدقّة وعناية كبيرتين . أمّا في مرحلة الطباعة فقد قدّمت خدماتها الفنّيّة الكبيرة السيّدة الماجستير برجيت زونبرغر (Sonnberger) . وفي جميع الأمور المتعلّقة بالتنظيم والإدارة كانت السيّدة جرترود غروبر (Gruber) المسؤولة الأولى ، وقامت بمساعدتها السيّدة ماريون راينبرغر (Reinberger) . فلهنّ جميعًا أجمل الشكر وأكبر التقدير .

وهكذا فقد مضت بضع سنوات من بدء العمل في التخطيط والاستشارات حتّى الانتهاء من طبع هذا الكتاب عن أعمال هذا المؤتمر الدوليّ ، الذي جمع في فيينّا شخصيّات بارزة من العالم الإسلاميّ والمسيحيّ وتُعرض الآن نتائجه على الرأي العامّ . مَن يبحث في الكتاب عن خطابات رخيصة ، فسوف يخيب أمله . إنّ بين دفّتي هذا الكتاب شهادات في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مطلع حقبة جديدة من تاريخ البشريّة ، شهادات عن البحث والتساؤل والاضطلاع بمسؤوليّة ينبغي ، بنوع جديد ومن وراء جميع الحدود المنصوبة حتى الآن ، إشراك الآخرين فيها ، مسؤوليّة تجاه القضايا الكبيرة التي يجب حلّها على طريق البشر نحو المستقبل ، شهادات أشخاص يحملون عبء الساعة ويريدون بوحي إيمانهم با لله أن يساهموا معًا في جعل عالم الغد ... "عالمًا واحدًا للجميع" .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

افتتاح المؤتمر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلمة الافتتاح

الدكتور فولفغانغ شوسّل
(Dr. Wolfgang Schüssel)
نائب المستشار ووزير الخارجيّة النمساويّة

سيّدي رئيس الجمهوريّة الاتّحاديّة السابق ،
نيافة الكردينال ، أصحاب السيادة ،
حضرات المشتركين في المؤتمر ،
سيّداتي ، سادتي ،

إنّ سَلَفي الدكتور ألويس موك (Alois Mock) كان قد اتّخذ بادرة لعقد حوار مسيحيّ إسلاميّ . وفي إطار هذا الحوار قام بمدينة فيينّا في ٣٠ آذار ١٩٩٣ بافتتاح المؤتمر المسيحيّ الإسلاميّ الدوليّ حول موضوع " سلامٌ للبشر – أسُسه ومشاكله وتطلّعات المستقبل من وجهة نظر مسيحيّة وإسلاميّة " . وبعد تسلّمي شؤون الوزارة تبنّيتُ هذه البادرة ، التي كانت مساهمةً مهمّة للنمسا في الحوار العالميّ المسيحيّ الإسلاميّ ، وعملتُ على متابعتها . ولهذا يشرّفني كثيرًا ويسرّني سرورًا خاصًّا أن أفتتح اليوم بفيينّا مؤتمر الحوار الدوليّ الثاني ، الذي سيدور حول الأسُس الاجتماعيّة والثقافيّة للتعدّد من وجهة نظر مسيحيّة وإسلاميّة .

يطيب لي أن أحيّي ضيف الشرف الخاصّ هذا المساء ، نيافة الكردينال كونيغ ، رئيس أساقفة فيينّا السابق ، الذي سيوجّه إلينا كلمة تحيّة .

وإنّه من دواعي سروري أن يكون لفيف من الشخصيّات البارزة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنها من قدم إلينا من الخارج ، قد تقبّلوا دعوتنا بالتحدّث إلينا في هذه الافتتاحيّة ، وبهذا يؤكّدون أهميّة هذا المؤتمر العلميّ لحقلَي السياسة والمجتمع .

تحيّتي القلبيّة أوجّهها لوزيرة خارجيّة السويد ، السيّدة لينا هِيلْم فالّين (Lena Hjelm-Wallén) ، التي تتابع في النمسا باهتمام كبير جهودها لدعم الحوار بين الأديان .

كما أحيّي وزير الأوقاف المصريّ البروفسّور الدكتور محمود حمدي زقزوق ، وسيادة رئيس الأساقفة جورج خضر لأبرشيّة جبل لبنان الأرثوذكسيّة ، اللذين ساندا وشجّعا منذ البدء الحوار المسيحيّ الإسلامي بفيينّا .

كما أرحّب برئيس اللجنة الوطنيّة الهنديّة للأقلّيّات البروفسّور الدكتور طاهر محمود ، الذي بصفته عالمًا وسياسيًّا بالوقت نفسه يدعم الاحترام والحوار بين أتباع الأديان المختلفة .

ومن كبير الأهمّيّة لمؤتمرنا أن يكون جلالة الملك حسن الثاني ، عاهل المغرب ، ورئيس المجلس البابويّ للحوار بين الأديان ، الكردينال فرنسيس أرينزه قد تكرّما بتوجيه كلمات التحيّة إلينا . هذه الكلمات سيلقيها مندوب الديوان الملكيّ ، السيد محمّد الكتّاني ، وأمين سرّ المجلس البابويّ المطران الدكتور ميخائيل فيتزجرالد ، اللذين أوجّه إليهما الآن أطيب التحيّة .

وأخيرًا ، أحيّي البروفسّور الدكتور أندراوس بشته من معهد القدّيس جبرائيل للاهوت الأديان . فقد قام هو ومعهده بتصميم هذا المؤتمر وإعداده وتنفيذه ، بالتعاون مع وزراتي . فباسمنا جميعًا ، أوجّه الشكر الخالص للبروفسّور بشته وجميع معاونيه لجهودهم المتواصلة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيّها المشتركون الكرام ،

سيّداتي ، سادتي ،

إنّ بلدنا هذا الذي كان منذ قرون عديدة أرض اللقاءات والتبادل والحوار بين الناس على اختلاف منابعهم ، يعتبر أنّ الحوار بين المسيحيّين والمسلمين له أهمّيّة خاصّة ، إذ إنّ الحوار بين الأديان الكبرى يمكنه في عصر التحدّيات الضخمة أن يهيّئ الأسُس لتفاهم أفضل . وهذا الحوار يكتسب بذلك أهمّيّة حاسمة على صعيد السياسة العالميّة ، فيما يُسمَع من بعض الأطراف كلام ينبئ " بتصارع الحضارات " صراعًا قائمًا على القناعات الدينيّة . فالمسيحيّة والإسلام ، واليهوديّة أيضًا التي بدونها لم تحصل جذور التوحيد المشتركة ، كلّ هذه الأديان مدعوّة إلى أن تواجه تحدّيات العالم الحاضر فتساعد على تأمين السلام وخلق بيئة مليئة بالتفهّم والسماحة والتقدير المتبادل ، تمكن فيها الاستفادة من المقدّرات وإقامة نظام اقتصاديّ يطيب للجميع العيش في إطاره في عصر عولمة الأسواق الراهنة .

إنّ الحرب تهدم كلّ ما بنته أجيال عديدة ، والسلام وحده قادر على ضمان عيش كريم للجميع . ولا يستقيم ذلك بدون نظام اجتماعيّ يجهد في التخفيف من الظلم على الصعيد الاجتماعيّ وفي إطار البُنى المختلفة . فالله الواحد ، إله أبناء وبنات إبراهيم ، علّمنا أنّ التصرّف الإنسانيّ الخيّر لا يدلّ على ضعف وضياع المبادئ ، بل ينبع من بصيرة أسمى ، إذ إنّنا لا نستطيع أن نقوم بمهمّاتنا إلاّ معًا . فالبغض والتعصّب والاحتقار وحبّ التسلّط لا نجدها في الكتب المقدّسة التي ورثناها عن آبائنا . فقابين الذي قتل أخاه هابيل ما هو إلاّ مَثَلٌ رادع .

إنّي لا أعني بهذا أنّ على المسيحيّ أو المسلم أن يتخلّى كلٌّ منهما عن دينه بأيّ شكل من الأشكال . بل إنّ المؤمن ، متى فهم إيمانه بمعناه الشامل العميق فهمًا مصيبًا ، لا ينحاز إلى التجربة التي تجعله يظنّ أنّه خيرٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من غيره . إنّ مثل هذا الشطط ناتج عن الجهل . فمن عَلِق في شراك تصوّراته الخاصّة أحجم عن مناقشة الآخرين . ويعلّمنا التاريخ أنّ خلفاء قرطبة وبعض الأمراء في إسبانيا في القرون الوسطى ، والسلطان صلاح الدين في القدس أو القيصر فريدريخ الشتوفيّ في بَالِرْمو ، توصّلوا إلى تعايش مع الجماعات الدينيّة المغايرة ، دون أن يتخلّوا عن تراثهم .

فبالرغم من دوران الحرب والتنازع ، كانت هناك حقبات طويلة من التبادل المثمر . فقد وصل نتاج بعض مفكّري اليونان القدماء مثل أرسطو إلى أوروبا على يد العلماء العرب . وهندسة المساجد استوحت هندسة الكنائس البيزنطيّة ، كما استوحت هذه هندسة الأبنية القديمة . ويمكن هنا جرّ أمثلة أخرى عديدة .

إنّا نعيش اليوم في مشادّة بين العَلمانيّة والأصوليّة . والحيرة تقود إلى تبرير الإرهاب والعنف والقتل ببراهين دينيّة . ولكنّ هذا سبيل ضالّ لا يمكن أحدًا من المؤدّبين أن يؤهِّل به ، مسيحيًّا كان أم مسلمًا أم يهوديًّا أم تابعًا لأخلاقيّة أخرى .

إنّ السلوك القويم والبرّ لا ينحصران في نطاق الحياة الشخصيّة أو الدينيّة دون أن تكون لهما علاقة بالمجتمع بكلّيّته . بالعكس ، إنّ سياسة منفصلة عن القيَم الأخلاقيّة تقود إلى الهاوية ، كما بيّن ذلك قرننا الحاضر في شكل الدكتاتوريّة الملحدة التي تمّ لحسن الحظ التغلّب عليها . وكلّما تأصّل المرء في مذهبه المرتكز على الأخلاقيّات ، تمكّن من أن يتفهّم موقف الذي يُخلِص لقناعاته ، دون أن يحاول فرضها على غيره .

وإنّ تعايش المسيحيّين والمسلمين لا يقوم بمجرّد وجود بلدان وثقافات مختلفة بعضها إلى جانب بعض ومع بعض . فحركات النزوح والهجرة القويّة أدّت اليوم إلى أنّ ملايين من المسلمين يعيشون اليوم في أوروبا ويواجهون قضيّة صعبة ، هي الوصول إلى توازن بين الاندماج في محيطهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجديد والحفاظ على هويّتهم الخاصّة في بيئة غريبة . فالقادمون الجدد والمواطنون عليهم أن يبدوا غالبًا الكثير من الاستعداد الطيّب في علاقتهم بعضهم ببعض . وقد تغطّي أحيانًا الفواصل الدينيّة الحواجز الاقتصاديّة والاجتماعيّة . وبالعكس ليس من السهل على المسيحيّين في كثير من الأحيان العيش في بيئة مسلمة .

وأنتم جميعًا ، الذين اجتمعتم لهذا المؤتمر ، تظهرون ، بمجرّد اشتراككم فيه ، أنّكم باعتباركم أعضاء في الأمّة الإسلاميّة والجماعة المسيحيّة تعيرون أهمّيّة بالغة للإصغاء بعضكم إلى بعض والعمل بعضكم مع بعض بروح التفكير الخلاّق . فالتوق المُخلص إلى الخير يمكّنكم وجميع من يشاطركم اتّجاهكم في بلادنا من أن تنظروا إلى التعدّديّة وإلى الاقتناع بحقيقة المعتقد الخاصّ لا كإلى تناقض لا ينحلّ . فالتبادل الثقافيّ كأداة لبناء عالم المستقبل المفتوح ، الذي يجب أن يكون عالمًا للجميع يحلو العيش فيه ، – وليسمح لي أن أقول ذلك بوصفي رجل سياسة – هو في نظر الاتّحاد الأوروبّيّ والدول أعضائه ضرورةٌ نسعى إلى تحقيقها في الواقع .

فبدل الانكماش على الذات والحذر والنبذ مقابل الآخرين ، نرى أن ليس هناك بديل عن التفاهم والاحترام المتبادلين بين الشعوب والطوائف .

إنّ المجمع الفاتيكانيّ الثاني ، في إحدى وثائقه ، يحرّض المنتمين إلى الأديان المختلفة " على نسيان الماضي والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم في ما بينهم ، وأن يحموا ويعزّزوا كلّهم معًا ، من أجل جميع الناس ، العدالة الاجتماعيّة والقيَم الروحيّة والسلام والحرّيّة " (علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة ٣) . فالرجاء أن تكونوا أنتم قادةً لمثل هذا التطوّر . فعملكم هو في نظري إسهام مهمّ في جهود المسؤولين السياسيّين ليحوّلوا – بعبارة رمزيّة – السيوف سِكَكًا والأسِنّة مناجل (راجع أشعيا ٢: ٤) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أشكر لكم إصغاءكم ، وأتمنّى لكم ، من أجل تطـوّر سـلميّ لدولنـا ومجتمعاتنا ، نجاحًا كبيرًا في الجهود التي تبذلونها في سبيل السلام والتعاون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحث عن سُبُلٍ جديدة إلى مسؤوليّة مشتركة

البروفسّور الدكتور أندراوس بشته
مدير معهد القدّيس جبرائيل للاهوت الأديان ، ورئيس المؤتمر

"عالم واحد للجميع" – هذا موضوع مؤتمر حواريّ يشترك فيه علماء وخبراء مسلمون ومسيحيّون من ١٣ إلى ١٦ أيّار في فيينّا . وافتتاح المؤتمر عشيّة البدء بالعمل غايته أن ينبّه إلى اهتمام الرأي العامّ بهذه البادرة العلميّة ، المستقلّة عن السياسة ، التي تسعى بكلّ قوّة في إيجاد حلّ بعيد المدى للمشاكل الاجتماعيّة والسياسيّة . وليُسمَح لي ، سيّداتي وسادتي الكرام ، أن أتقدّم إليكم في هذه الجلسة الافتتاحيّة بالتحيّة القلبيّة المليئة بالاحترام باسم القائم بالمؤتمر ، معهد القدّيس جبرائيل للاهوت الأديان ، الذي قَبِل ، عن دعوة من السيّد وزير الخارجيّة نائب المستشار ، الدكتور شوسّل (Schüssel) أن يتحمّل مسؤوليّة عقد هذا المؤتمر .

قبل عشرين سنة عُقد في كلّيّة القدّيس جبرائيل أوّل لقاءاتنا المسيحيّة الإسلاميّة حول الموضوع التالي : "الله في المسيحيّة والإسلام" . فكان رائدًا لمراحل الطريق التالية ، وكان بين المشتركين فيه شخصيّتان بارزتان ، هما الأستاذ إبراهيم مدكور والأب جورج قنواتي الدومينيكانيّ . كنّا نشعر أنّ علينا واجبًا واضحًا تجاه حاضر البشريّة ومستقبلها ، من وراء جميع المسائل السياسيّة اليوميّة ، وأنّ طريقنا عليه أن يكون منذ ذلك الوقت سبيل الحوار على أساس المعتقدات والقيَم المسلّم بها والمتداولة لدى الطرفين ، فيبحث عن سبل جديدة للتفاهم المتبادل وللمسؤوليّة المشتركة .

ولم يكن الغرضُ اختراعَ "مسيحيّة جديدة" أو "إسلام جديد" للوصول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى مقولات مشتركة ، و لم يكن الغرض عند ذلك إيجاد أصغر قاسم مشترك . بالعكس ، كان سعيُنا موجّهًا إلى ما كان يُعَدّ صُلبَ إيماننا الأصيل المتناقل عبر القرون ، وإلى استقراء الإمكانيّات الحقيقيّة لانفتاح هذا التراث للحوار من الداخل ، هذا التراث الذي يكوّن واقع الايمان الذي يدين به ويصلّي على أساسه الملايين الكثيرة من الناس . وقد وصف صديقٌ مسلم مهمّتنا المشتركة بقوله : " علينا أن نقرع أبواب تراثنا حتّى ينفتح " .

وبالواقع ، إنّ ما كنّا نبحث عنه في البدء في معهد القدّيس جبرائيل ، تحوّل منذ هذا اللقاء الأوّل ، بطريقة متزايدة ، إلى سعيٍ مشترك : " علينا أن نقرع " نحن جميعنا . وقد ساندنا في ذلك ، إلى جانب المذكورين إبراهيم مدكور وجورج قنواتي ، شخصيّات أخرى مثل فولفهارت بانبرغ (Wolfhart Pannenberg) ، ومحمّد طالبي ، وكارل رانر (Karl Rahner) ، وكلاوس فسترمان (Claus Westermann) ، وعادل تيودور خوري ، ومحمود أيّوب ، ومحمود زقزوق . وهذا الأخير هو الذي صرّح ، عقب مؤتمر عُقد في معهد القدّيس جبرائيل قبل سبع سنوات ، أنّه يمكنه أن يتصوّر أن يكون موضوع لقائنا التالي " العلاقة بين الدين والمجتمع في نظر الجماعتين الدينيّتين ، الإسلام والمسيحيّة " .

وهذه الفكرة تبلورت بسرعة مدهشة . فكانت بادرةٌ من وزير الخارجيّة السابق الدكتور ألُويس موك (Alois Mock) ، الذي دعا إلى عقد مؤتمر حوار مسيحيّ إسلاميّ ، أعلن معهد القدّيس جبرائيل استعداده للقيام بذلك ، بالتعاون مع قسم الثقافة في وزراته ، لا بالنسبة إلى تخطيط المؤتمر فقط ، بل إلى تنفيذه أيضًا . هذا قاد إلى مؤتمر الحوار الأوّل الذي عقد في فيينّا سنة ١٩٩٣ ، وموضوعه " سلامٌ للبشر " [١] .

---

[١] نُشرت أعمال هذا المؤتمر في طبعة عربيّة : " سلامٌ للبشر – المسيحيّة والإسلام ينظران إلى السلام في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واليوم نجيب إلى مبادرة وزير الداخليّة نائب المستشار ، الدكتور فولفغانغ شوسّل ونفتتح المؤتمر اللاحق الذي اخترنا له ، التحاقًا بالمؤتمر الأوّل ، الموضوع التالي : "عالم واحد للجميع : أسُس التعدّديّة الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة في نظر المسيحيّة والإسلام" . وللمؤتمر هذا أيضًا ثلاث سمات :

١) إنّه أوّلاً مؤتمر حواريّ ، يريد من وجهة نظر إسلاميّة ومسيحيّة أن يبحث في التحدّيات المقبلة علينا اليوم – ولا شكّ في إقبالها علينا غدًا بشكل أشدّ – لأنّنا ، لأنّ البشر في عالمنا عليهم بإلحاح متزايد أن يتعلّموا أن يتقاسموا حيّز حياة واحدة . هنا مسيحيّون ومسلمون يريدون أن يتبادلوا في ما بينهم وبعضهم مع بعض خبراتهم وعلمهم حول أسُس تعدّديّة اجتماعيّة سياسيّة وثقافيّة في عالمنا الذي يتحوّل بطريقة متزايدة إلى عالم واحد . إنّهم لا يريدون أن يتكلّموا على مواضيع ، بل يريدون من وراء ذلك أن يتبادلوا معالم شخصيّتهم عبر بصائرهم ومداركهم ، وأسئلتهم الناقدة الموجّهة إلى أنفسهم وإلى المحاورين معهم ، حتّى الإقرار بأنّهم هم أيضًا يبحثون متحيّرين تجاه هذا العدد الكبير الذي لم يُعرَف سابقًا من القضايا المعلّقة ، ومنها ما هو جديد تمامًا .

٢) إنّه ، ثانيًا ، مؤتمر علميّ يدور بين علماء مختلفي الاختصاصات . إنّ الشخصيّات المسلمة والمسيحيّة التي تشترك فيه يعلمون أنّ القطاعات المختلفة من الخبرة والعلم ، التي على اختلافها يفتقر بعضها إلى بعض ، عليها أن تقدّم ثمار معارفها ، لتقوم بالتفكير المسؤول المنتظم الناقد في ما يخصّ جميع مجالات الحياة ، ولتتمكّن من التغلّب على جميع القضايا المطروحة على صعيد اللاهوت وعلوم الأديان ، والحقوق والسياسة ،

أسُسه ومشاكله وأبعاده المقبلة" (العدد ٣ من هذه السلسلة) ، المكتبة البولسيّة ، جونية – لبنان ، طبعة ثانية ١٩٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخصوصًا على صعيد التاريخ العامّ وتاريخ الثقافة .

٣) وهكذا ، فإنّ هذا المؤتمر الحواريّ المسيحيّ الإسلاميّ ، نظرًا إلى صفته العلميّة المستقلّة سياسيًّا ، تقع عليه بنوعٍ رفيعٍ مسؤوليّة سياسيّة . إنّه حلقة حواريّة مستقلّة سياسيًّا ، وبهذه الصفة يريد أن يساهم في أن يجعل ممكنًا تعايش الناس بكرامة وعدل ، بتحمّل المسؤوليّة وبالانفتاح على مساعي البشر ومشاكل جميع الناس . هو مؤتمر يريد أن يبيّن فرص الرجاء الرصين ، وأن يوضح للناس في أيّ اتّجاه عليهم أن يسيروا لكي يلاقوا مستقبلاً ناجحًا ، وأيّ مهامّ عليهم أن يحلّوها في طريقهم إلى ذلك الهدف .

أيّها السيّدات والسادة الكرام ، أحيّيكم جميعًا تحيّة طيّبة ، أنتم القادمين من قريب أو من بعيد لتشتركوا في هذا المؤتمر الحواريّ ، وأنتم جميع الشخصيّات الرسميّة الدينيّة والسياسيّة ، العلميّة والثقافيّة ، لقد قدمتم إلى هذا الاحتفال لتُعربوا عن اهتمامكم بالجهود التي نبذلها وتشجّعونا على أن نبحث ، بقوّة إيماننا ووحيه ، عن سبل جديدة لتحمّل المسؤوليّة ، ونتبادل الآراء في الأشكال والتطلّعات والآمال حول بناء عالم جديد على أساس العدل والسلام ، على أساس مسؤوليّتنا المشتركة أمام الله . جئتم لتقولوا لنا كم تأملون أن يتجلّى في اشتراكنا في البحث مدّة هذه الأيّام وجهٌ من هذا العالم الجديد تجلّيًا محسوسًا .

فلكم جميعًا التحيّة الكريمة والشكر الصادق .

إنّنا ، مسلمين ومسيحيّين ، لسنا وحدنا نبحث عن الخير ونهتمّ للسلام ونشتاق إلى ما هو حقّ وصالح وعادل . لا ، بل إنّ هناك ، والحمد لله ، كثيرين نعرف عنهم أنّهم يشاركوننا في البحث عن عالم يسود فيه العدل والسلام . ولكنّنا على يقين أنّنا قد استودعنا شيئًا خاصًّا نفيسًا واعدًا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالخلاص لأجل البشريّة ، لا يحقّ لنا أن نتخاذل في بذله في سبيل البشريّة ، دون ان نحمّل أنفسنا دَينًا ثقيلاً ، فيحاسبنا الله عليه يومًا ، جميعنا وكلّ واحد منّا شخصيًّا ، ويسألنا ماذا عملنا في سبيل خليقته وما قصّرنا ببذله ، لا بالنسبة إلى عظائم الأمور فقط ، بل بالنسبة إلى قَدَح ماء نقدّمه للعطشان ، وإلى قيد من القيود التي نحلّها من أيادي أخٍ أو أختٍ من بين الناس . أليس أنّا نؤمن بالله الواحد ، خالقنا ، لا في بدء العالم وفي نهايته فقط ، بل الآن أيضًا ، بل لا سيّما الآن ؟ ألَسْنا نؤمن بالله الواحد الأحد ، الذي له العالم وكلّ ما فيه ؟ أليس هو وحده الحقّ القدّوس ، ونحن عباده ؟ ألا يقول القرآن : " ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحرُ يَمُدُّه من بعده سبعة أبحر ما نَفِدت كلمات الله إنّ الله عزيز حكيم " ؟ (٣١: ٢٧ ؛ قابل ١٨: ١٠٩) . ألا نقرأ في الكتاب المقدّس : " وصنع يسوع أشياء أخرى كثيرة ، فلو كُتِبَت واحدًا فواحدًا ، لما خِلتُ أنّ العالم نفسه يسعُ الصحُفَ المكتوبة " ؟ (إنجيل يوحنا ٢١: ٢٥) .

نحن نقف أُمناء لإيماننا ، فلا نهمل حرفًا واحدًا منه ، ولكنّا نعلم أنّ الحرف يقتل ، أمّا الروح فهو الذي يُحيي . ولذلك نريد أن نُقبل على العمل ، عالمين أنّ علينا مسؤوليّة مشتركة تجاه عالمنا ، الذي نقوم بحقّه بقدر ما نعترف فيه بإيماننا بالله الواحد الأحد ، الذي خلقنا جميعًا كعباده ، ونؤكّد بأنّه لا يحقّ لأحد أن يدين أيّ إنسان ، بل بأنّ الله هو وحده الذي سيديننا جميعنا وكلّ واحدٍ منّا ، لأنّه وحده القدّوس العادل وفي الوقت نفسه الرحيم الذي لا حدّ لرحمته .

وفي إطلالة عهد جديد من تاريخ البشريّة عسى أن يُساهم هذا المؤتمر في جعل العالم الواحد في المستقبل عالمًا للجميع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلمات التحيّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البروفسّور الدكتور محمود حمدي زقزوق
وزير الأوقاف ، مصر

إن كنّا نريد أن ننشئ عالمًا واحدًا للجميع ، فعلى الأديان أن تساهم في ذلك مساهمةً خلاّقة . وحوار الأديان لهذا الغرض ضروريّ اليوم أكثر من قبل ، لتمكن مكافحة سوء التفاهم بين الأديان مكافحة ناجحة ، وهذا ليس من المهامّ السهلة . من المفيد في هذا الصدد إلقاء نظرة إلى وضع العالم الحاضر .

لا شكّ في أنّ البشريّة تتسلّط بنوع متزايد وبقدر لم يُعرف قبل الآن على العالم من الناحية التقنيّة . ولكنّ السؤال الملحّ إزاء هذا كلّه ، هو كيف يجب عليها أن تتملّك على مستقبل المجتمع المُعَولم . فإلى جانب الفقر الذي يتفشّى أكثر فأكثر في العالم ، يجب مواجهة الميل المتزايد في كلّ مكان إلى التعدّي والتخريب ، ليحلّ محلّها التعاون السلميّ اللازم بروح التفاهم المتبادل والسماحة الحقّة . فليس الأمر قضيّة بقاء البشريّة الماديّ وبقاء أرضنا المُنهكة فقط ، وإن كان السؤال يُطرح اليوم بكلّ جدّيّة ، بل الأمر هو بالأحرى قضيّة إنقاذ أدوات السلام ، أي مصادر الأديان الحقّة والثقافات التي نبعت منها ، في مكوّناتها الأصيلة . فإنّ الإنسان جزء من الطبيعة وله مطالب عديدة بيولوجيّة ومادّيّة . ولكنّ طبيعته الحقّة وكرامته كامنتان في مقدرته الخاصّة على التفكير الحرّ المعقول ، أي في مقدرته على إبداع الثقافة .

ومن بين المشاكل الكثيرة يقوم النقاش اليوم بنوع خاصّ حول مسألة تعايش الأديان والثقافات ، وحول مسألة إقرار حقوق الإنسان العامّة . والمسألتان ، إن أنعمنا النظر فيهما ، مترابطتان . أي إنّ القضيّة في الأساس هي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هل يمكننا في مجتمع معولم أن نقيم تعدّديّة دينيّة وثقافيّة حقّة ، ونضمن بذلك الاعتراف الفعّال بحقوق الإنسان العامّة .

أمّا الإسلام فلا يرى فقط أنّ مثل هذه التعدّديّة الدينيّة والثقافيّة ممكنة ، بل يقرّ أنّها في نظر الدين لازمة . فالقبول بالوحدة في التعدّد هو بهذا المعنى مبدأ إسلاميّ حقّ . ومن الأكيد أنّ احترام حقوق الإنسان تجاه الجميع – وهذا ضروريّ لهذا الغرض – هو أحد المطالب الإسلاميّة الرئيسيّة .

إنّ النبيّ محمّدًا طالب منذ البدء وبطريقة مثاليّة في معاهدة المدينة بالتعدّد الدينيّ وبحقوق مماثلة لجميع المواطنين . فمعاهدة المدينة التي أُعلنت قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا ، تُثبت بصراحة أنّ اليهود أُمّة تكوّن مع أمّة المسلمين المجتمعَ الواحد في المدينة . وبحسب هذه الوثيقة يتمتّع اليهود بالحقوق والواجبات نفسها التي للمسلمين ، فيما تتمّ بوضوح الإشارة إلى اختلاف هاتين الأمّتين في الدين . بذلك أقرّ النبيّ محمّد قبل ألف وأربع مئة سنة الحرّيّة الدينيّة والتعدّد الدينيّ ورَضي في هذا المجال باختلاف العوائد والتقاليد الخاصّة [١] .

والتعدّديّة الدينيّة بهذا المعنى لا يجوز فهمها كأنّها القول بقيمة نسبيّة للدين . فكلّ دين بدون شكّ يطالب في اعتقاد مؤمنيه بامتلاك مطلق للحقيقة . ولكنّ هذا في نظر الإسلام يتوافق والاعتراف بأديان أخرى مرتكزة على الوحي ، إذ إنّها كلّها في تعليم القرآن من مصدر إلهيّ . فعلى المسلمين أن يعترفوا بجميع الأنبياء – ومنهم على سبيل المثال موسى وعيسى – كرسل الله . والمسلم الذي لا يقبل هذا ، ليس مسلمًا حقًّا . فالقرآن يقول في هذه الأديان المختلفة إنّها جميعًا سبلٌ ملهمة إلى الله . ولكن ذلك لا يعني

---

[١] راجع محمد حسين هيكل : " حياة محمّد " ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ١٩٦٣، ص ٢٢٥ وما يتبع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقط القبول بتجاور الأديان . إن تعدّد الأديان هو أساس المبدإ الدافع للتطوّر وبذلك يُمنح هذا التطوّر فعّاليّته الحقّة . وقد ورد عن ذلك في القرآن : " لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعَةً ومنهاجًا ولو شاءَ الله لجعلكم أمّةً واحدة ولكن لِيبلوَكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات " (المائدة ٥: ٤٨) .

وكما أنّ كلّ إنسان له هويّته الخاصّة - كما تتصوّر مثلاً في طبعة أنامله - كذلك للشعوب والأمم هويّاتُها التي لا يمكن الخلط بينها وأشكالٌ خاصّة في حياتها وتعابيرها . وقواعد المسالمة والعدالة المشتركة بين جميع الأديان ، عندما يتّبعها الناس ، تمكّن من استباق الخيرات . وهذا يؤهّل أخيرًا لاعتبار المغايرة بين الناس والجماعات غِنًى للبشريّة . فإنّ اختلاف الناس بالنسبة إلى جنسيّتهم ودينهم وثقافتهم يمكنه بعد زمن قصير أو طويل أن يقود إلى تبادل الأسئلة وبذلك إلى التقرّب الواحد من الآخر . وهذا يمكن أن يقود إلى أن نكتشف أنّ الإنسانيّة - والقدرة الخلاّقة - هي مبدئيًّا مشتركة بيننا جميعًا . ولهذا يعلن القرآن : " إنّا خلقناكم من ذَكَر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا " (الحجرات ٤٩: ١٣) .

وفي معرض تفكيرنا هذا أودّ أن أشير إلى أنّ الإسلام هو أوّل دين دعا إلى الحوار الدينيّ . فالقرآن يشير إلى الأمور المشتركة بين الأديان ، أنّها جميعها تدعو إلى عبادة الله الواحد دون غيره (قابل آل عمران ٣: ٦٤) . فالإسلام يقول إذن بأنّ الرسالة الرئيسيّة لجميع الأديان واحدة وينفتح مبدئيًّا لفكرة مجتمع متعدّد الأديان ، بل إنّه يحبّذها . فمنذ بدء البشريّة - هذا ما يعلّمه القرآن - أرسل الله من وقت إلى آخر أنبياء يهدون الناس سبيل العدل والرحمة والسلام الذي ينتج عنهما .

إنّ التوحيد المطلق الذي ينادي به الإسلام يجب وضعه إلى جانب إقرار وحدة الناس الأولى . فإنّهم ، كما يقول القرآن ، قد خُلقوا من نفسٍ واحدة وأساسًا يشتركون في التطلّع إلى السلام كغاية واحدة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمتى تذكّرت الأديان مهمّتها الأصليّة ، وهي تربية الناس على المسالمة ، استطاعت أن تساهم في البناء الضروريّ لمجتمع عالميّ متعدّد دينيًّا وثقافيًّا . وبهذا تكتسب القوّة التي تمكّنها من التصدّي الفعّال للتيّارات السائدة اليوم : العَدَميّة والفوضى والإرهاب ، وذلك بخلقها جوًّا من الثقة المشجّع على التعاون .

والإنسان في نظر الإسلام ، إن هو اتّبع بإخلاص قواعد دينه ، يتأتّى له أن يخلق الدائرات الثلاث المترابطة الضروريّة للسلام . وأوّلها دائرة السلام مع الله في الإيمان به . والثانية هي دائرة السلام في باطن نفسه ، في قلب الإنسان . والثالثة هي دائرة السلام الذي يقيمه من حوله بأعماله الصالحة ، تجاه الناس وتجاه البيئة . وهذه الدائرات الثلاث متفاعلة في ما بينها . والتناغم الناتج عن ذلك هو ما يتوق إليه في آخر المطاف كلّ إنسان في أعماق قلبه وما يبحث عنه في الخيرات الخارجيّة (قابل القرآن ، الذاريات ٥١: ٢٢) . ومتى عاش في هذا التناغم يكون مؤهّلاً ليُقبِل على مهمّته الأصليّة بأن يكون خليفة الله في الأرض ، وليساهم في بناء عالم يكون عالمًا واحدًا للجميع . ومن ذلك أن يمارس السماحة في نطاق الدين والثقافة والمجتمع ، إذ يفرض دينه عليه التعدّديّة . ولكنّ المسلمين لا يُفرض عليهم السماحة تجاه الآخرين فقط ، بل عليهم أيضًا ممارسة الرفق والعدل تجاههم ، إذ إنّهم يؤهّلون – كما يقول القرآن (سورة الممتحنة ٦٠: ٨) – لأن يقسطوا . ولأن يكون الإنسان داخل نطاق عمله راعيًا يحمل مسؤوليّة وعليه أن يعيش بتضحية كبيرة ، هذا يتكلّم عنه حديث معروف للنبيّ محمّد . وبعمله الخلّاق في محيطه يُعطي الإنسان حياته ، وفقًا لجهوده الشخصيّة ، هدفًا وتوجيهًا شديدًا .

صحيح أنّ العالم في تغيّر دائم ، ولا شكّ في أنّ أجوبتنا عن تحدّياته يجب أن تتغيّر ، وأنّ علينا كذلك أن نتغيّر نحن أنفسنا وأن نحاول إيجاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطرق الجديدة اللازمة . ولكن ، إذا أمعنّا النظر في الأمر ، فلا يعني هذا كلّه أنّه ينبغي لنا أن نُعرِض عن كنوز تاريخنا ، ومنها ديننا وثقافتنا ، علمًا بأنّ علينا أن نكتسب من جديد بجهد خاصّ ما كدّسته من علم ومعرفة . فإننا بحاجة إلى منارات على دروبنا .

وفي ختام هذه الاعتبارات كلّها أودّ أن أستخلص أنّ الإسلام يقبل بواقع التعدّد الدينيّ والثقافيّ . لذلك لم يحاول الإسلام قطّ أن يُكره المسيحيّين واليهود على اعتناق الإسلام . ففي الشرع الإسلاميّ هناك مبدأ يتعلّق بأتباع الأديان السماويّة الأخرى في الدولة يقول بأنّ لهم جميعهم من الحقوق والواجبات ما للمسلمين . فالإسلام لا يقبل التعدّد الدينيّ فقط ، بل يعتبره أيضًا شرطًا لخلق ثقافات مثمرة وأنظمة اجتماعيّة قِمّةٍ في العدالة .

هذا يتضمّن طبعًا أنّ الإسلام لا يدعم قيام ثقافة عالميّة واحدة رتيبة ذات شكل واحد . بالعكس ، إنّه ينصب أمام أعيننا كمِثال الحوارَ المثمر بين الأديان والثقافات ، ممّا يقتضي الاستعداد للتفاهم والسماحة والتعاون . وهو يشير إلى أنّ الاشتغال بالخلافات بين الأديان يقود إلى نزاعات غير مثمرة ، وأنّ الحكم على هذه الخلافات يجب أن يُترَك لله (قابل سورة المائدة ٥: ٤٨) .

والهدف الرئيسيّ من التعاون بين الأديان ، إذ إنّنا نعيش كلّنا في العالم نفسه في مجتمع معولم ، يجب أن يكون الدفاع عن حقوق الإنسان العامّة ، التي بدونها تُخضَع أرضنا إلى مزيد من التخريب . وهذه الحقوق للجميع هي ، وفقًا للتعليم الإسلاميّ ، الحقّ بالحياة ، وبالدين ، وباستعمال العقل ، وبالملكيّة ، وبحماية الأسرة .

فما يبقى على الأديان أن تقوم به هو أن تحاول ، رغم كلّ الفروق ، الوصول إلى تقبّل بعضنا بعضًا . بهذا ينفسح لنا المجال في المساعدة على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتح طريق الرجاء والتفاؤل في عالمنا . فإنّ تدبير الأمور وصيانة موهبة الخليقة هي مهمّتنا (قابل سورة هود ١١: ٦١) ، حتّى نستطيع أن نصنع عالمًا واحدًا للجميع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لينا هِيلْم–فالّين (Lena Hjelm-Wallén)
وزيرة الخارجيّة – السويد

أصحاب السيادة ،
سيّداتي وسادتي المحترمين ،

أودّ أن أشكر لزميلي النمساويّ الدكتور شوسّل دعوته الطيّبة إلى هذا المؤتمر . وأودّ أن أهنّئ كلّيّة القدّيس جبرائيل اللاهوتيّة على عقد هذا اللقاء المهمّ ، الثاني من نوعه .

إنّ الحوار بين الثقافات والحضارات هو من ضرورات الساعة . وفي الواقع إنّ فيينّا مكان ممتاز لمثل هذا التبادل . فالمدينة تجمّعت لديها خبرة خاصّة تاريخيّة عريقة ، وقد عاينّا في بلاد ليست ببعيدة كيف أنّ الثقافة والدين بوسعهما إثارة النزاعات .

وبمثل الروح الذي يطبع المفهوم النمساويّ للحوار هذا ، قامت السويد قبل سنتين ببادرة الالتفات إلى الإسلام الأوروبّيّ . فإنّ ما يقارب ٣٠٠ ألف شخص من أوطان إسلاميّة قد هاجروا إلى السويد – وهذا يكوّن ٤ بالمئة من السكّان ، وبهذا أضحت السويد مجتمعًا متعدّد الثقافات ، ممّا أوضح لنا أنّه يجب علينا أن نكتسب معرفة وافية عن الإسلام .

فعقدنا في حزيران سنة ١٩٩٥ في ستوكهولم مؤتمرًا عن الإسلام الأوروبّيّ اشترك فيه ما يقارب مئة من العلماء والمثقّفين من بلدان كثيرة . وفي السنة التالية عُقد مؤتمر آخر من النوع نفسه بمساعدة السويد في المفرق بالأردنّ . والمؤتمران جاءا بنتائج جوهريّة إذ قدّما عددًا من الآراء في إمكان تخفيف النزاع بين حضارتنا الأوروبّيّة والثقافة والحضارة الإسلاميّة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو في إمكان تنحيته .

في المجال العالميّ هناك خطر واضح أن يتحوّل الالتفات الملحّ إلى العدوّ ، كما كانت الحال مدّة الحرب الباردة ، إلى مشادّة على المستوى السياسيّ الثقافيّ . وهناك خطرُ التشبّث بالتصوّرات المتداولة حول الثقافات الأخرى في صفوف المسيحيّين واليهود والمسلمين والهندوسيّين والجماعات الأخرى . مثل هذه التطوّرات تبيّن بنوع ملحّ ضرورة القيام بخطوات توحي بالثقة في الحقل الثقافيّ .

وليس الأمر مجرّد القيام بالمناقشة . فلدينا في مجتمعنا الأوروبّيّ المعاصر المُعَلمن آراء كثيرة مختلفة حول أسلوب التطرّق إلى المشاكل الدينيّة والثقافيّة ، – لـمَن أراد الاشتغال بها . فكثيرون يرون أنّ القضايا الثقافيّة والدينيّة تتعلّق بحياة الفرد وليس لها علاقة مطلقًا بالشؤون السياسيّة والاقتصاديّة العامّة أو العسكريّة .

ولكن هذا جزء من الحقيقة . فإنّ الدين حامل ثقافة ، يمكنه الإسهام إسهامًا جازمًا وبنّاءً في حياة مجتمعاتنا ، في أهدافها وجهودها . والأديان الموحّدة الثلاثة لها أساس مشترك في الأخلاقيّات بالنسبة إلى المعاملات في حقل الاقتصاد ، وبالنسبة إلى مسألة العدالة ومسؤوليّة الفرد تجاه قريبه ، وإلى القناعة بأنّ الأرض " يمكنها إتيانُ الرزق للجميع ، لا تلبيةُ جشع الجميع " .

ويمكن أيضًا سوء استعمال الدين فيصير هذا في مجال السياسة وإثارة النزاعات عاملاً مؤذيًا بقدر عظيم . ولدينا كلّ يوم أمثلة جديدة على استخدام الدين لكسب السيادة السياسيّة ولإبراز مطالب جماعة معيّنة على حساب الآخرين .

لذلك كان من اللازم الضروريّ التنبيه إلى أبعاد الدين السياسيّة في البحث عن القرارات الصائبة وفي المعاملات السياسيّة . فالسياسة الفطنة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليها في عالم يتغيّر أن تراعي الثقافة والدين .

هناك نزاعات علينا أن نتغلّب عليها ، نزاعات استُخدمَت فيها الأديان والفروقات العرقيّة استخدامًا ذريعًا وجلبت على الناس أذًى لا يُقدَّر . فعلينا ، على المدى البعيد ، أن نعمل على إحلال جوّ جديد من التفاهم والعلاقات المتبادلة الإيجابيّة بين الأديان والثقافات . ومن المهمّ في هذا الشأن أن نتمكّن من السماع إلى نصيحة مؤتمرات علميّة كهذا المؤتمر .

وفي المجال الوطنيّ والدوليّ علينا أن نكتسب المزيد من المعارف ، بعضُنا من بعض وعن بعض . إن الهجرة المتزايدة حملت في عشرات السنوات الأخيرة ملايين من المسلمين إلى أوروبا . إنّا نرحّب بهم ونودّ أن نفسح لهم الفرصة لينخرطوا في مجتمعنا دون أن يفقدوا هويّتهم الثقافيّة . وإنّا نتمنّى أن يقوموا بإسهامهم في خلق مجتمعات تعدّديّة حقًّا .

هذا لا يعني أنّنا نسمح بقوانين وعادات لا تتّفق وقيَمنا الديموقراطيّة . إنّا نودّ تجنّب قيام إسلام محصور في عزلة ونتصدّى لذلك ، ونحن ندعم ونحيّي بدل ذلك قيام " إسلام أوروبّيّ " .

وعلينا في جهودنا أن نصرّ على مبدإ التقابل . فنحن جميعًا علينا أن نكتسب معرفة أوسع عن الثقافات والأديان والتقاليد الأخرى وأن نظهر حيالها تسامحًا واحترامًا . وبالوقت نفسه ينبغي علينا جميعًا أن نقابل بانفتاح وتفهّم القيَم المشتركة العامّة ، كالديموقراطيّة ، وحقوق الإنسان بما فيه المساواة بين الرجل والمرأة ، وحقوق الطفل ، وحرّيّة الكلام والحرّيّة الدينيّة .

وفيما نحيّي المسلمين في أوروبّا ، نودّ في الوقت نفسه أن ننبّه إلى ضرورة حماية حقوق المسيحيّين وسائر الأقلّيّات في البلدان الإسلاميّة . فالعلاقات مع الأقلّيّات المسلمة في البلدان الأوروبّيّة تخضع للمبدإ نفسه الذي يجب أن يسود وضع الأقلّيّات المسيحيّة في البلدان الإسلاميّة .

مثل هذا الموقف يوسّع مجال التعاون في حقول أخرى ، مثلاً في إطار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسيرة المتمثّلة بحركة برشلونة في سبيل التعاون السياسيّ والاقتصاديّ .

إن أوروبّا بحاجة إلى خطّ عمل إيجابيّ في مجال الحوار هذا بين الحضارات والثقافات . وعلى المدى البعيد يمكن مثلَ هذه المبادرات أن تجعلنا نتجنّب مشاكل شائكة . فالحوار الثقافيّ غرضه اتّقاء النزاعات الغاشمة ، فهو إذن سياسة أمنيّة تستبق الصعوبات .

والسويد جاهدة دومًا في ربط اختباراتها حول العلاقات مع الإسلام الأوروبّيّ بالاختبارات الأخرى المقابلة . ونحن بهذا الصدد جادّون في وضع منهاج يتناول الحوار بين الحضارات والثقافات في إطار المسيرة في حركة برشلونة . وهذا المخطّط عليه أن يتّسع لإصلاحات في نظامنا التربويّ ، ولتبادل ثقافيّ موسّع ، ولإنشاء معاهد للحوار ، وغير ذلك .

في لقاء عُقد في فاليتّا بمالطة قبل أسبوعين قدّمتُ عرضًا لهذا المشروع . ولقد لاقى هذا العرض مساندة الكثيرين من الشركاء الأوربّيّين وبعض الشركاء من بلدان البحر المتوسّط . ونحن نأمل جدًّا أن يدفع الاجتماع المقبل للّجنة الأوروبّيّة المتوسّطيّة بالنقاش حول هذا الموضوع إلى الأمام . وأنا تسرّني كلّ مساندة في هذا المجال .

وفي الختام أودّ أن أهنّئ مجدّدًا الحكومة النمساويّة وكلّيّة القدّيس جبرائيل اللاهوتيّة بهذا المؤتمر ، وأتمنّى لكم ثلاثة أيّام مليئة بالتشاور الشرح البنّاء . كلّنا ننتظر بسرور تحليلكم الواضح لموضوع عصريّ مهمّ مثل موضوعكم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جلالة ملك المغرب
الحسن الثاني

الحمد لله وحده
والصلاة والسلام على مولانا رسول الله
وعلى كافّة الأنبياء والمرسَلين قبله

حضرات السادة والسيّدات ،

يُسعدنا أن نتوجّه إلى مؤتمركم العالميّ الإسلاميّ-المسيحيّ الثاني بتحيّة الاحترام والمحبّة ، راجين من الباري عزّ وجلّ أن يُكلّل أعمالكم بالنجاح والتوفيق ، كما يطيب لنا أن نتوجّه بخالص الشكر وصادق التقدير إلى دولة جمهوريّة النمسا الصديقة لما تبذله من جهد محمود من أجل تنظيم هذا اللقاء السامي في هدفه ومغزاه بعد ما عرفه اللقاء الأوّل ، فوق أرض هذه المدينة العريقة ، من نجاح مرموق ، وما خلّفه من أصداء طيّبة في أرجاء المعمور . وغنيّ عن البيان أنّ اجتماعكم ، مرّة أخرى ، يفتح أمامنا أبواب التفاؤل بإمكان حوار مسيحيّ-إسلاميّ جادّ ، يُطمئِن نفوس المسلمين والمسيحيّين على اتّصال ذلك الحوار واستمراره . كما أنّ أنصارَ السلم ودُعاته في العالم أجمع يتطلّعون بشوق كبير إلى نتائج لقائكم لأنّه لقاء دالّ بكلّ ما يحمله من رموز على إرادة الارتقاء بالإنسان إلى سامي الفضائل وشريف المقاصد .

إنّ إرادة الحوار ، متى تمكّنت من دعاته ، لَتُعبّر عن مضامين حضاريّة سامية ، في الوقت الذي تكشف فيه عن التحلّي بحكمة عمليّة غالية . ذلك أنّ إرادة الحوار تعني ، في أخصّ ما تعنيه ، أنّ كلّ طرف من طرفَي الحوار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو أطرافه يصدر عن اعتراف بالغير ، وعن احترام لغَيريّته واختلافه . لذلك كان لا بدّ للحوار من أسس فلسفيّة يقوم عليها ومن قواعد أخلاقيّة يستند إليها ، ومن موجّهات روحيّة يستنير بهَديها . وكان لا بدّ له أيضًا من أوفاق يُقرُّها ، ومن مواثيق وعهود يلتزم بها ، فلا يتنكّر لها أو يسعى في الإخلال بها .

ومن البديهيّ أنّ أحقَّ الناس بالحوار وأقدرهم على مراعاة شروطه هم أولئك الذين يجتمعون حول الإيمان با لله الواحد ، ويلتقون عند التسليم بالقيَم الروحيّة التي جاءت بها الرسالات السماويّة ، ونحن المسلمين نحمد الله على أنّنا كذلك . والدليل هو الأمر السماويّ الصريح في القرآن الذي يجمع فيه الباري تعالى ، في آية واحدة ، بين الإقرار بمحاورة أهل الكتاب ، وبين تعيين المنهج الواجب سلوكه في الحوار معهم . قال تعالى : " ولا تُجَادِلوا أَهْلَ الكِتابِ إلاّ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ ، إلاّ الذين ظَلَمُوا مِنهم . وقولوا آمنّا بالذي أُنزلَ إلينا وأُنزِلَ إليكم وإلهُنَا وإلهُكُم وَاحِدٌ ، ونَحنُ له مُسْلِمون " .

بيد أنّ ما ألمعْنا إليه من قواعد الحوار وأوفاقه يقتضي منّا ، مسلمين ومسيحيّين ، مراعاة شروط ثلاثة : أوّلها أن يلتزم كلُّ طرف من طرفَي الحوار باحترام غيريّة الآخر ومراعاة الفروق في المعتقدات ، والاختلافِ في أنماط العبادة وكيفيّات تقديس الإله الواحد . وثانيها أن يحرصَ الطرفان على طلب المعرفة المتبادلة ، وهذه المعرفة لا تتمّ إلاّ بالإصغاء الذي يتطلّب الفهم مع التقرير بوجوب العمل على التخلّص من الأحكام المسبقة ومن الظنون والأوهام المتحكّمة . وآخر الشروط الواجب مُراعاتُها في سبيل نجاح حوار إسلاميّ–مسيحيّ وجَعْله مثمرًا مفيدًا هو أن يسعى كلٌّ من الطرفين إلى مجاوزة ما اعترى ماضيهم المشترك من مظاهر التأزّم والخصام ، وما كانت تُفرزه طبيعة الصراع السياسيّ في العصور السابقة من أسباب الحروب والإساءات المختلفة . إنّها ، والحقّ يُقال ، شروطٌ تستدعي إعدادًا روحانيًّا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاليًا وعزمًا أكيدًا على الحوار الخِصب ، وعلى متابعته . ولكنّها ليست بالعزيزة عليكم . وما تعدُّد اللقاءات الثنائيّة المسيحيّة-الإسلاميّة ، منذ مطلع السبعينات ، ثمّ مؤتمركم العالميّ الأوّل في فيينّا في أبريل ١٩٩٣، سوى علامات ناصعة على قوّة إرادتكم وجميل إصراركم على إرساء الحوار المسيحيّ-الإسلاميّ على قاعدة صلبة من الوئام والمحبّة والرغبة المشتركة في الأخذ بنصيب غير يسير في تشييد صرْحٍ مجتمعٍ إنسانيّ ، ينعَمُ فيه الإنسان بما يريده له الله تعالى من نِعَم السِّلم والحرّيّة والعدالة الشاملة .

أيّها المحفَل النبيل ،

لقد وُفّقتم كلّ التوفيق في اختيار موضوع مؤتمركم الثاني ، مثلما كان التوفيق حليفكم في اختيار موضوع مؤتمركم الأوّل . إنّكم تجعلون نصب أعينكم اليوم أنّ العالم الذي نعيش فيه واحد ، ولا يمكن أن يتعدّد ويتكاثر ، في حين أنّ التعدّد والاختلاف في الثقافات والنحل وفي أشكال الوجود السياسيّ والاجتماعيّ ملازمان للحياة الشخصيّة ولحياة المجتمعات الإنسانيّة كلّها . ثمّ إنّكم تقرّون بحقّ أنّه لا مندوحة للبشر عن نبذ الحروب المُعلنة والخفيّة ، ولا خيار لهم سوى السلام والتعايش . وأنّه لا سبيل إلى السلام الإنسانيّ إلاّ في قبول التعدّد والاختلاف ، ولا استقرار فيه إلاّ متى عملنا على إنشاء الأسس المكينة لتعدّديّة ثقافيّة اجتماعيّة وسياسيّة في العالم الواحد الذي نعيش فيه جميعًا . لقد أحال التنامي المتّصل للتكنولوجيا في ميادين الاتّصال والإعلام العالم كلّه إلى قرية واحدة كبيرة . وإنّكم ، معشر السادة والسيّدات الأجلاّء ، إذ ترفعون شعار " عالم واحد من أجل الجميع " وإذ تُردفونه بشعار آخر يكمّله ويشرحه " أسس تعدّديّة اجتماعيّة-سياسيّة وثقافيّة من وجهة النظر المسيحيّة والإسلاميّة " ، أقول : إذ تُعلنون ذلك فأنتم تقدّمون المثال على قدرة الإنسان على الارتقاء إلى درجة عالية من السموّ الإنسانيّ وعلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استطاعته ، متى صدقت العزائم ، بمجاوزة الأنانيّة والنظر الضيّق المحدود .

أيّها السادة ،

إنّ سعيكم إلى البحث عن أُسس التعدّديّة الثقافيّة والاجتماعيّة السياسيّة الموجودة بحكم الضرورة وحرصكم على تقريب وجهات النظر المسيحيّة والإسلاميّة ، في شأنها ، إنّما هو هدف عظيم يحمل أبعادًا متعدّدة . فهو تعبير عن الحضور الإيجابيّ الفاعل للأديان السماويّة ، وهو بالإضافة إلى ذلك بيان ساطع عن قدرة أبناء الديانتين العظيمتين على النظر المشترك للأسس الأخلاقيّة والروحيّة الكفيلة بجعْل التعدّد والاختلاف البشريّ في الاجتماع والسياسة والثقافة منبعًا للثراء الحضاريّ ومدعاة للاستقرار في العالم الواحد المشترك بين بني الإنسان . وهو ما سيمكّن الحوار الإسلاميّ-المسيحيّ من أسباب جديدة من القوّة والمتانة تُغذّ سيرَه على درب المعرفة المتبادلة واثقًا في مسيرته مطمئنًا إلى سواء السبيل نحو هدفه .

وإنّ الرجاء معقود عليكم ، فأنتم صفوة المفكّرين في بلدانكم والقادرون على تجسيد هذه المعاني السامية ، والمعوّل عليكم في مثل هذا الملتقى الكبير أن تتبادلوا الرأي والمشورة ، وأن تسعوا إلى تنوير الفكر ، ليكون لقاؤكم بعون الله مثمرًا مفيدًا لصالح إرساء الأسس القويمة للتعدّديّة الإيجابيّة المنشودة . وإنّنا لَنطمح من وراء هذا اللقاء إلى أن تنبثق منه الخطوط العريضة لميثاق أخلاقيّ-روحيّ من وحي الديانتين السماويّتين العظيمتين ، ميثاق يزدهي بحمْل اسم هذه المدينة العظيمة التي لها في تاريخ الآداب والفنون الرفيعة ذكرٌ مُشرق ، وتحتلّ بين المدن العالميّة مكانة رفيعة .

حضرات السيّدات والسادة ،

يشهد العالم اليوم سيرًا حثيثًا نحو كونيّة شموليّة أساسها ماديّ اقتصاديّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محض ، ودعامتُها تنافسيّة تجاريّة صِرْف ، و" العولمة " هي شعارها ومبتغاها . وهذه " العولمة " أصبحت حديث المحافل الدوليّة ، وخطاب ملتقيات المصالح الماليّة والصناعيّة ، وذلك بعد أن سكتت مدافع الحروب الإيديولوجيّة وانطفأ لهيبُها أو كاد . بيْدَ أنّ هذه الصورة الجديدة لعالم يَصرف نظره عما انشغل به خلال عقود كثيرة من التسابق في التسلّح والتفنّن فيه لا ينبغي أن توهمنا أن دعائم السلم والوئام بين بني الإنسان قد تمّ غرسُها وأنّ عهد الحرب والظلم قد ولّى زمانه إلى غير رجعة . فالحقّ أنّ الآمال وحدها لا تكفي في ذلك . والحقّ أنّ " العولمة " ، متى غابت عنها المواثيق الأخلاقيّة التي يلزم أن تكون الرابطة بين دعاتها ، ومتى حصل التنكّر لها أو التضحية بها في سوق الأنانيّة والمنافسة الشرسة ، فإنّها تتحوّل إلى حرب ضروس جديدة ، وإن اختفت فيها الأسلحة التي تحدث القتل والدمار بشكل مباشر ، وهي تنقلب إلى شرٍّ مستطير يعمّ البلاء به الإنسانيّة جمعاء .

لذلك لا يعزب عن بالنا جميعًا أنّ الأسس القويمة للتعدّديّة الإيجابيّة لا تتحقّق إلاّ بحرص الجميع على احترام المواثيق الأخلاقيّة والعهود الدوليّة الكفيلة بحفظ السلام في العالم . فتكون لها المكانة الرفيعة في العلاقات بين الدول والمؤسّسات الماليّة والتجاريّة العظمى . ومن البديهيّ أنّه لا سبيل إلى إحقاق سلام فعليّ ، إلاّ متى كان العدل والإنصاف حكمًا ورائدًا معًا . كما أنّ استمرار الواقع الحاليّ من التفاوت والإجحاف بالحقوق بين البلدان الغنيّة والبلدان الفقيرة ليس من شأنه أن يكون مدعاةً للسلام والطمأنينة في العالم . فلا سلام مع الجوع ، والأمّيّة ، والمرض ، وانعدام الإنصاف بين البشر . وبالتالي فإنّه لا مهرب لنا جميعًا ، كلٌّ في موقعه ، من إثارة انتباه العقول الكبيرة وتحريك النفوس العظيمة إلى وجوب التحلّي بالشجاعة والنظر البعيد ، ومن الإفادة من دروس التاريخ القريب والبعيد ، ولا بدّ من التنبيه إلى أنّ السلام الحقيقيّ وضرورة التعايش في عالم واحد يقتضيان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العملَ على التقليص من الفروق المادّيّة المُهولة بين البشر في العالم حتّى ينعم الكلّ على الأقلّ بالحدّ الأدنى من الحقوق الطبيعيّة في التغذية ، والصحّة ، والتربية ، وسائر الحقوق الإنسانيّة الأخرى المتعارف عليها دوليًّا .

كذلك لا ينبغي أن يغيب عنّا ، معشر السيّدات والسادة الأجلاّء ، أنّ أمل العيش في عالم واحد يسعُ الناس جميعًا ، فلا يضيق باختلافهم في اللون والثقافة والدين ولا يتبرّم بتعدّدهم في الاختيارات الاجتماعيّة والسياسيّة هو أمل الجميع . إلاّ أنّ هذا الأمل لا يكاد يرى النور مع ارتفاع نداءات الغُلوّ والتطرّف التي تصمُّ الآذان وتوجع القلوب باسم الدين حينًا وباسم العِرق حينًا آخر ، وبداعي الوطنيّة الضيّقة حينًا ثالثًا . وإنّه لَمن المؤسف أن تعرف الإنسانيّة ، في هذه السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، أصنافًا وألوانًا من ذلك كلّه ، وأن تسيل الدماء أوديةً ، ويعلو صوت الكراهية والحقد والبغضاء ، ثمّ إنّه لَمن دواعي الأسى حقًّا أن يحدث ذلك في بلدان قطعت في التطوّر المادّيّ أشواطًا بعيدة ، بل وأن يحصل ذلك أيضًا في بلاد يُذكر فيها اسم الله تعالى ، وتُقام فيها الصلوات لعبادته وتمجيده . وإنّ من صميم مسؤوليّتكم في هذا اللقاء المبارك أن يعلو صوتكم بالاحتجاج ضدّ كلّ أشكال التطرّف وكافّة أنواع الغلوّ ، فهما الوباء الفتّاك الذي يصيب الجهود العظيمة في تشييد أسس التعايش والسلام في العالم ، وهما العدوّ اللدود للحقّ في الاختلاف المشروع والتعدّد في الثقافة والسياسة والاجتماع .

أيّها الحضور الكريم ،

تهوي أفئدة المؤمنين ، من أتباع الديانات السماويّة الثلاث ، إلى بقعة طاهرة ، وتتحرّق قلوبهم شوقًا إلى الوقوف عند مشاهدها المقدّسة وذكر الله الواحد المتعالي في بقاعها الزكيّة والتخشّع باستحضار سِيَر الأنبياء والرسل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أبناء إبراهيم الخليل عليهم السلام ، وتُشَدُّ رحالهم إلى مدينة هي مُلتقى التآخي في الله الواحد بين المسلمين والمسيحيّين واليهود . وتلكم هي مدينة القدس الشريف . غير أنّ هذه المدينة المقدّسة تعرف وضعًا غريبًا على روحها ، مؤلمًا لسكّانها الشرعيّين ، مُهينًا لكرامة الإنسان فيها . ذلك أنّ المواطنين العرب من أهل القدس الشرقيّة خاصّة ، مسلمين ومسيحيّين على السواء ، يُسامون من العذاب ألوانًا ، ومن مصادرة الحرّيّات أشكالاً ، فالسلطات الإسرائيليّة تُقدم على مصادرة العقارات والممتلكات ، وهي تمضي في التنكّر لما التزمت به من قرارات ، عاملةً على بناء المستوطنات وحشدها بأغراب وافدين مشحونين بالتطرّف الشنيع واحتقار الغير ، فلا يأبهون بما يقضي به الوازع الأخلاقيّ ، ولا يكترثون بما يحكُم به الضمير الدينيّ . ثمّ إنّ تلك السلطات ما تفتأ تُظهر ، بين الفينة والأخرى ، إرادة العبث بالأماكن المقدّسة والمشاهد الروحانيّة التي تخفق لها قلوب المؤمنين جميعًا ، وتملأ نفوسهم بالتقديس والإجلال . فكيف يتحقّق السلام مع مظاهر تنتهك فيها حرمة أبناء الوطن في عاصمة السلام .

لقد استبشر العالم خيرًا ، معشر السادة والسيّدات الأجلاّء ، بما تمّ التوصّل إليه من اتّفاق بين السلطتين الفلسطينيّة والإسرائيليّة ، لتغليب الرغبة في التراضي والحوار على لغة السلاح والدمار ، مصفّقًا لما انتهى إليه الحوار من إقرار يوميّة لتنفيذ الاتّفاق وللدخول الفعليّ في مسلسل السلام . ثمّ إنّ العقلاء وأنصار السلام في العالم قدّروا أنّ الآمال المعقودة على تعميم الأمن وشيوع السلام في هذه المنطقة الغنيّة برموزها الروحانيّة ستكون الرائد والموجّه للنظر إلى مدينة القدس الشريف . ولكنّ العالم أجمع لا يزال يُفاجأ كلّ يوم بما يدلّ على تغليب أسباب الحرب على دواعي السلام في سلوك السلطات الإسرائيليّة . وليس ما يشهده القدس الشريف من أحداث يوميّة مروّعة سوى دليل قاطع وبرهان واضح على ذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيّها السادة ،

لا شكّ أنّ فكركم السامي لا يملك أن يتجاهل هذا الواقع الذي يحمل جميع المؤمنين من أتباع الديانات التوحيديّة الثلاث على الاشمئزاز . ولا شكّ أنّ حديثكم عن العالم الواحد المشترك وجوًّا والمتعدّد ثقافةً واجتماعًا وسياسةً ضرورةً ، لا يكون حديثًا مستوفيًا لمطلب الشمول ولا مستكملاً لشرط التطبيق إلاّ إذا كان تنبيهًا كافيًا إلى مخاطر ما يحدث في القدس ، وكان دعوةً إلى لزوم العمل على رفع الحيف الواقع بالمواطنين العرب فيها ، مسلمين ومسيحيّين ، ومجاوزته . ثمّ لا شكّ أنّ ما يجمع بينكم من جليل المقصد ونبيل المسعى يحملكم على القول بأنّ السلام إمّا أن يكون سلامًا قارًّا وقائمًا على أسس صلبة أو لا يكون ، وأنّ الأسباب التي كانت مدعاةً إلى الحرب والاقتتال تظلّ كذلك ما لم تتغلّب عليها بالرفع والإقصاء إرادة السلام وسديد النظر . ثمّ لا شكّ أنّ ما تحملونه في قلوبكم ، معشر المؤمنين والمؤمنات ، من عظيم الحبّ وجميل التقديس لمدينة السلام لَحريّ بهما أن يجعلا القدس الشريف يأخذ من جلساتكم ومناقشاتكم نصيبًا تستدعيه أهمّيّته الروحيّة ، ويقتضيه ما ينطق به من علامات ورموز ، ويُمليه ما يلزم له حتّى يكون صدقًا لا ادّعاءً ، فيكون في الوسع الحجّ إلى المدينة الطاهرة في حرّيّة وأمان ، والتزوّد من نفحاتها الروحيّة والارتواء من معين عطائها الدينيّ . ولا يتحقّق ذلك إلاّ في اطمئنان حقيقيّ إلى شيوع السلام في أرجائها .

تلكم ، معشر السادة والسيّدات العلماء الكرام ، نظرات وأفكار يطيب لنا أن نُقدّمها بين يدي نجواكم ، فنُحيّي بها جميعكم ، ونعبّر بها عن مشاطرتنا همّكم وانشغالكم . يحدونا في ذلك إيماننا بسموّ مسعاكم ، ويحرّكنا اقتناعنا المكين بجدّيّة الحوار المسيحيّ-الإسلاميّ ، وقدرته على تحريك الهمم العظيمة وتوجيهها صوب خدمة المُثُل الإنسانيّة العليا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإنّنا لَنجدّد لكم تقديرنا العميق لجدوى هذا الملتقى العالميّ الذي سيُمكّنكم من تبادل الرأي والمشورة فيما بينكم، ويجعلنا نضع الثقة الكاملة في قدرتكم على تنبيه النفوس النبيلة وتحريك الإرادات الفاعلة نحو طريق الخير والمحبّة والسلام. وأنتم جديرون بإرشادها إلى مكامن الثراء الروحيّ. ذلكم الثراث الذي يتجلّى في الحوار والتعارف والمحبّة بين المؤمنين من أتباع الديانات التوحيديّة الثلاث.

شَكَر الله سَعْيَكم، وسدّد خُطاكم، وكلّل جميل أعمالكم بالتوفيق والنجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وحُرّر بالقصر الملكيّ بالرباط في يوم الخميس فاتح محرم ١٤١٨ هـ الموافق ٨ ماي ١٩٩٧ م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتروبوليت جورج خضر

رئيس أساقفة جبيل وجبل لبنان

السلام لكم جميعًا ، أنتم الملتئمين هنا باسم الربّ ، الذي هو السلام ، سلامٌ يتجلّى في ما بيننا ككلمة المجد الإلهيّ . وليرقد بسلام جميع الذين قُتلوا من أجل إيمانهم . فقد سقطوا جميعهم ليعبّروا عن تلك المحبّة التي هي رجاؤنا الوحيد ، عندما يُداس الإنسان بالأقدام . فإنّ أشدّ التحدّيات التي تقابل الأديان الموحِّدة المختلفة هي أنّها كانت في تاريخها أخصب تربة لرفض السماحة وللعنف .

إنّي يقلقني الفصل الجذريّ بين " دار الإسلام " و" دار الحرب " . ومن ناحية أخرى يعني التهميش الذي يهدّد المسلم في البلاد ذات التراث المسيحيّ وما قد يتبعه من احتقار ، خطرًا كبيرًا عليه . والخوف الذي يعانيه الجميع هنا وهناك مُذِلّ على حدّ سواء .

علينا أن ننتقل من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، إلى ذلك الانتصار على الذات ، الذي بدونه لا تقوم الرأفة .

إنّ نوع عيشنا المشترك يمكن نقله إلى الحياة اليوميّة بطريقة شفّافة مخلصة بتطبيق حقوق الإنسان ، وإن كانت هذه قد عُبّر عنها بلغة عَلمانيّة إنسانيّة . وإنّي لا أعترف بكرامة تقع خارج هذه المعطيات . أقف في آخر هذا القرن وليس عندي أيّ تفهّم للتقليص القاتم للحرّيّة الدينيّة . إنّي لا أطيق عدم الأمانة تجاه القدس التي تُفرَّغ من سكّانها المسيحيّين والمسلمين . والحرج في الأمر أنّه يطالَب بالسلام والأمن لشعب معيّن ، دون الالتفات إلى شعب آخر . " وزنان ومعياران " : هذا أضحى قاعدة التصرّف في المجال الدوليّ . من هنا تنبع الحساسيّة المجروحة المشتركة بين المسلمين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمسيحيّين في الشرق .

إنّ الحوار الذي خُطّطَ له أوّلاً كحوار مسيحيّ إسلاميّ ، يتحوّل نوعًا ما إلى حوار يعكس أحيانًا التوتّر بين غرب عَلمانيّ يسود وشرق مسيحيّ إسلاميّ خاضع للسيادة . وقد يحدث أنّ مسلمًا عربيًّا يعيش مع مسيحيّين عرب يتوجّه إلى المسيحيّين في الغرب في حوار تفكير دينيّ من النوع المفضّل ، وقد يكون الغرض منه البحث عن فعّاليّة سياسيّة دينيّة . يفرحني أن أراه يلتقي عند ذاك بتواضع الرهبان . وهكذا فالمسيحيّ الشرقيّ ، وقد أُهمِل إهمالاً مضاعفًا ، يقصر توجّهه على المُلك الآتي . فيُقصَى من التاريخ الذي تمّ القرار فيه أنّه صُنع لغيره .

إنّ أفاضلنا ، مسيحيّين ومسلمين ، وقد شدّدهم كلام المسيح وطبعهم خاتم ولاية عيسى – كما عبّر عن ذلك ابن عربي – سيرثون أرض الودعاء . إنّ الكلام الملفوظ ، ثمرة رحمة الرحمن وحدها ، سينزل على ألسنتنا شهادةً للنار التي تكون قد اشتعلت فينا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البروفسّور الدكتور طاهر محمود
رئيس اللجنة الوطنيّة للأقلّيّات – الهند

في تراث استضافة اللقاءات الدوليّة المختلفة بين أُناس يلتمسون الحقيقة ، لم يكن هناك لعقد هذا الحدث الجزيل الأهمّيّة مكان أفضل من هذه المدينة الجميلة فيينّا . فكلّما حاول العالم توحيد جهوده للتشديد على أهمّيّة حقوق الإنسان المشتركة أو للبحث ضمن تراث الأديان عن أسسٍ للتعدّديّة ، كانت فيينّا المضيفة التي تحيّي الباحثين الذين تربطهم بعضهم ببعض روح الأخوّة . وكذلك الأمر في هذا المساء وفي الأيّام المقبلة . وإنّنا جلبنا معنا قلوبنا ، وقد نتركها هنا عندما يحين وقت العودة الى الوطن .

إنّ العلاقة بين الدين والمجتمع البشريّ كانت دائمًا علاقة متشابكة . ودون أن يعير الدين اهتمامًا لعلوّ وهبوط القوى الخالية من الدين والمعادية له في مختلف الأقطار ، يقبل على مهمّته بحزم في أن يكون أداة رقابة فعّالة في المجتمع البشريّ ويؤثّر فيه . وكما أظهر التاريخ المعاصر أنّ اللادينيّة لا تستطيع اتّخاذ مهمّة روحيّة ، فالبشريّة ستتقبّل في المستقبل أيضًا من الدين الإلهام والهدى . ولذا فإنه ممّا يتّفق والمتطلّباتِ الراهنة أن يتمّ داخل التقاليد الدينيّة البحث عن أسُسٍ للتعدّد الاجتماعيّ والثقافيّ .

فالصليب والهلال قد طبعا خاتمهما في تاريخ البشريّة منذ قرابة ١٥٠٠ سنة . واليوم ، عشيّة إطلالة القرن الحادي والعشرين ، تؤلّف المسيحيّة والإسلام في العالم الجماعتين الدينيّتين الأكثر انتشارًا في الدول والقارّات .

فالمسيحيّون والمسلمون يشكّلون معًا الجزء الأكبر من سكّان الأرض اليوم . ومن الصعب أن يتصوّر المرء شيئًا أرفعَ تطلّعًا روحيًّا وأكبرَ أملاً اجتماعيًّا من تكاتف أتباع هذين الدينين الكبيرين على أساس تعاليم إيمانهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشريفة ، ليفكّروا معًا في قضيّة "عالم واحد للجميع" .

لم يكن من الممكن أن تتطرّق المسيحيّة ، التي نشأت أكثر من ٦٠٠ سنة قبل ظهور الاسلام ، بنوع خاصّ إلى الإسلام . أمّا الإسلام فمن المنتظر حقًّا أن يأتي بالكلام على المسيحيّة . وقد فعل ذلك . فقد جاء في القرآن الكريم عن النصارى أنصار الإيمان : "ولتجدنّ أقربَهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى" (المائدة ٥: ٨٢) .

وليس من المهمّ كم كان هناك في الزمن الغابر من توافق أو اختلاف بين المسيحيّة والإسلاميّة . والنظريّات عن مسيح ينبئ ببعثة محمّد ، وعن إسلام اتّخذ تعاليمه من المسيحيّة التي بدورها اشتقّت تعاليمها من البوذيّة ، وما شابه ، لا يعيرها اليوم أحدٌ أيّ اهتمام سوى الغابرين . أهمّ من ذلك والأساس الضروريّ للتعاون المسيحيّ الإسلاميّ هو أنّ الإسلام لا يشتم المسيحيّة بل يحرّض المسلمين على أن يعتبروا المسيحيّين أقرب الأصدقاء لهم .

على المسيحيّين والمسلمين اليوم أن يتكاتفوا ليقودوا العالم معًا إلى كنوز هداهم الروحيّ التي يمكنهم بذلها في جميع المسائل التي تجابه العالم اليوم ، بما فيه المسائل التي هي موضوع هذا المؤتمر . لسنا بحاجة إلى المناقشة التهجّميّة . ولا معنى لهدر قوانا لإثبات حقيقة الإيمان الواحد أو أفضليّته على حساب الإيمان الآخر . إنّ ستانلي ج. سَمارتا (J. Stanley Samartha) كتب يومًا : "صحيح أنّ الكنيسة كانت لها وقت الحروب الصليبيّة وفي القرون التالية علاقة بالإسلام ، ولكنّني أشك في أنّ المسيحيّة والإسلام جهدًا جهدًا شديدًا في البلوغ إلى فهم متبادل صحيح . كانا متنافسين تقاتلا بالقلم والسيف ، طلبًا للفتح والانتصار ، لا صديقين يلتمسان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزمالة والمودّة "[١] .

لقد مضت أيّام الحروب الصليبيّة والجهاد . فليرقدوا في مهملات التاريخ . علينا اليوم أن نلتمس الزمالة والمودّة . وأنا أوافق تمامًا على ما قاله ولفرد ك. سميث (Wilfred C. Smith) : " إنّني أشعر بأنّ علينا بعد [...] إنجابَ رؤية جديدة ، تمكّننا يومًا لا من أن نضمّ الكون فقط ، بل جميع رؤى الكون التي يملكها كلّ واحد منّا "[٢] . حان الأوان بإلحاح لأن نبدأ جدّيًا بالإكباب على هذا العمل .

على المسيحيّة أن تتحرّر من آرائها المسبّقة المتناقلة ، ومن تخوّفاتها حيال الإسلام . فإنّه من غير الإنصاف وممّا يناقض تناقضًا أساسيًّا مفهوم التساوي بين الناس أن يُصرّ أحدٌ على أنّ بُنى قامت في مجتمع معيّن هي لذلك نوعًا ما متفوّقة أو عامّةً أفضل من بُنى نشأت في أيّ مجتمع آخر . فالأصحّ أن يتعلّم المسيحيّون والمسلمون أن يقابلوا تراث الآخرين وثقافتهم وعاداتهم بالاحترام الموافق . فإنّ الصداقة الدينيّة والثقافيّة بين المسيحيّين والمسلمين ، التي يفرضها القرآن ، وإن حظّرها أصحاب السلطة في الماضي ، يجب اليوم أن نعتبرها غاية لنا مشتركة ونوافق عليها .

هناك في تعاليم القرآن بصائر من شأنها أن تتركّز عليها التعدّدية الاجتماعيّة ، التي تحتوي على فكرة " عالم واحد للجميع " . فالكتاب الكريم يعلن أقلّه في موضعين : " كان الناسُ أُمّة فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس في ما اختلفوا فيه " (البقرة ٢: ٢١٣ ؛ قابل يونس ١٠: ١٩) . ويُقاسم القرآن المسيحيّة نظريّة الخلق ويعلن : " يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا

---

[١] في كتابه *Courage for Dialogue*, 1981 .

[٢] في كتابه *Truth and Dialogue* .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقبائل لتعارفوا " (الحُجُرات ٤٩: ١٣) . وفي سورة أخرى يؤكّد القرآن مبدأ الوحدة في التعدّد بالكلمات الكريمة التالية : " ومن آياته خَلْقُ السّماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين " (الروم ٣٠: ٢٢) . وإلى جانب هذا المبدإ جاءت إشارة إلى المساواة الاقتصاديّة : " كُلاًّ نُمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظورًا " (الإسراء ١٧: ٢٠) .

يمكنني أن أسرد آية وراء آية من الكتاب الكريم لأعرض على أساس تعاليمه الشريفة ركائز التعدّديّة الاجتماعيّة الاقتصاديّة والثقافيّة وبالوقت نفسه نظريّة الوحدة الإنسانيّة للجنس البشريّ ، وبذلك التطلّع الى " عالم واحد للجميع " .

إنّ القرآن أرسى ركيزة التعدّديّة الدينيّة حين صرّح بوضوح : " لا إكراه في الدين " (البقرة ٢: ٢٥٦) ، وعندما أوعز إلى النبيّ أن يعلن : " لكم دينكم ولي دينِ " (الكافرون ١٠٩: ٦) . وقد بسط النبيّ محمّد في جبل عرفات القواعد القرآنيّة للمساواة بين جميع الناس بقطع النظر عن قناعاتهم الدينيّة المختلفة وبذلك لمشروعيّة التعدّديّة الثقافيّة ، حين قال : " يا معشر الناس ، ليس للعربيّ فضلٌ على الأسود وبالعكس . الناس كلّهم نسل آدم ، وآدم صُنع من طين " (خطبة الوداع في حجّ سنة ٨ هـ /٦٣٠ بعد المسيح) . هذا إنّما يعني تصديقًا للمبدإ القائل " بعالم واحد للجميع " ولمبدإ التعدّديّة الثقافيّة من وراء حدود الوطن المفرد .

وإنّه من المعروف في الحقل السياسيّ أنّ الدولة العصريّة لا تتضمّن تصوّرات يمكن القول بأنّ الإسلام قد جاء بها من قبلُ على واقعها الصريح ، ولو كان المسلمون في نطاق هذا التيّار المسلّم به عالميًّا قد عرفوا عبر القرون أن يتماشوا معه . والمسلمون يجب عليهم أن لا يعكسوا مجرى الزمن ، ولن يفعلوا ، لكن يجب على الإسلام القبول بمبدإ الاختلاف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاجتماعيّ والتعدّديّة الثقافيّة على قاعدة وحدة البشريّة الانسانيّة والإخاء . ويجب على المسلمين تطبيق ذلك في الواقع ، كما يجب على المسيحيّين تقبّل ذلك الاعتراف الأساسيّ الذي يقوم به المسلمون ، أولئك المسيحيّين الذين هم على حدّ قول القرآن أقرب الناس مودّة للمسلمين . وإنّي على يقين أنّ عددًا من القواعد المماثلة يمكن العثور عليها في تعليم المسيحيّة ، وعلى المسلمين أن يعرفوها ويتقبّلوها . وإنّ رجائي شديد أنّهم سيفعلون ، فالمسيحيّة والإسلام يقولان كلاهما بأكبر ما يمكن من أوجه السماحة تجاه الاختلافات الدينيّة .

علينا أن نركّز على المطالبة بهذه السماحة لنطوّر مجموعة قواعد التعدّديّة الاجتماعيّة الثقافيّة ، حتّى تقود هذه إلى نظام عالميّ أفضل وأفعل للسلام . فلنجتهد بقوانا المتضافرة على الأقلّ في تحرير العالم من بعض آلامه . ولقد قيل بحقّ : " إنّ العقائد تفرّق والتصرّف الإنسانيّ يجمع " . ألا ينبغي لنا في رصانتنا أن نعطي الأفضليّة للتصرّف الانسانيّ على عقائدنا الخاصّة ؟ فهذا مطلب يسانده الإيمان الأساسيّ المشترك بين المسيحيّة والإسلام . أليس أنّنا نصلّي بكلمات القرآن : " اهدِنا الصراطَ المستقيم صِراطَ الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين " (الفاتحة ١ : ٦-٧) .

فلنجتمع حول صلاة الأخ الصغير الأسّيزيّ : " يا ربّ اجعلنا أداة للسلام ، فحيث البغض ، دعنا نزرع المحبّة ، وحيث الظلم المغفرة ، وحيث الشكّ الايمان ، وحيث اليأس الرجاء ، وحيث الظلمة النور ، وحيث الحزن الفرح " .

ولنضف إلى هذا : " يا ربّ ، اجعلنا أداة للوحدة . فحيث النزاع ، دعنا نزرع الصداقة ، وحيث الاختلاف ضروريّ ، دعنا نحافظ عليه . وحيث تتنازع العقائد ، دعنا ننشر بذار الإنسانيّة " .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكردينال فرنسيس أرينز

رئيس المجمع البابويّ للحوار بين الأديان - الفاتيكان

تلا الكلمة سيادة المطران الدكتور ميخائيل فيتزجرالد

أصحاب السيادة ،

سيّداتي ، سادتي ،

أيّها المشتركون والمشتركات في المؤتمر الدوليّ الثاني المسيحيّ الاسلاميّ في فيينّا .

من دواعي سروري الصادق أن أحيّيكم في حفلة الافتتاح هذه وأن أشكر لوزير الشؤون الخارجيّة النمساويّ ولكلّيّة القدّيس جبرائيل للآهوت هذه البادرة . وإن كنتُ لا أستطيع أن أحضر شخصيًّا ، فإنّي يُفرحني أن أتبادل وإيّاكم بعض الخواطر في موضوع المؤتمر " عالم واحد للجميع " .

إنْ تأمّلنا وضع العالم اليوم ، توجّهت أبصارنا إلى النزاعات الكثيرة التي تهزّ شتّى الأقطار . فهناك منطقة البحيرات الكبيرة في أفريقيا الوسطى ، وهناك المجازر التي تحدث يوميًّا تقريبًا في الجزائر ، وهناك أيضًا الصدام الحربيّ السائد منذ سنين مثلاً في سريلانكا والسودان ، ولنكتفِ بذكر بلدين فقط . مثل هذه الصراعات تسترعي انتباه وسائل الإعلام . ولكن هناك في عالمنا ناحية أخرى : إنّها الجهود الكثيرة المبذولة لتوفير السلام والعون لجميع الناس ، والتي تقوم بها مؤسّسات دوليّة على المستوى الحكوميّ وغير الحكوميّ ، وجماعات خاصّة وشخصيّات مفردة . ومنها مشاريع تعمل في الخفاء وتقوم على قناعات دينيّة ، كما هو الأمر في الكنيسة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكاثوليكيّة بنشاط الجماعات الرهبانيّة الـتي تقـف قواهـا علـى خدمـة التطـوّر البشريّ والتضامن مع المتألّمين .

كثيرًا ما يُتّهم الدين بأنّه تربة النزاع والفرقـة . والديـن وإن كـان في جوهره لا يحمل بذور الشقاق والعنف والحرب ، فإنّـه معـرَّض دومًـا إلى أن يُسخَّر لمصالح عدائيّة . وبالنظر إلى مثل هـذا التسـخير يجـب الكشـف عن أسباب الخصومة : إنّها يمكن أن تكون اقتصاديّـة أو عنصريّـة أو سياسيّة ، أو أن تنبع من المنافسة والطمع بالسلطة أو حبّ الانتقام . فلهذا كان من واجب المؤمنين ، ولا سيّما رجـال الديـن ، أن يُظهـروا لأصحـابهم في الإيمـان الوجه الصحيح للدين وأن يقنعوهم بأنّ استعمال العنف يناقض الديـن الحـقّ . فقتل الآخرين باسم الله أو باسم الدين لا يطـابق إلاّ صـورة مشـوّهة لمـا يسعى الدين الحقيقيّ إلى البلوغ إليه .

وبالعكس ، حيث يعيش أتباع أديان مختلفة في بلد أو في منطقة معيّنة حياةً متناغمة ، أي لا مجرّد تعايش بل في تعاون إيجابيّ – حينئذٍ يتمكّنون من الإسهام في بناء " عالم واحد للجميـع " . إنّهـم يمكنهـم فعـل الكثـير لدعم القيَم الأخلاقيّة والتطوّر الإنسانيّ في جميـع أشـكاله ولإقامـة عدالـة أوسع في المجتمع ، وبهذا هم يمهّدون السبيل للسلام .

إنّ أساس هذا الجهد المشترك ، وخصوصًـا بـين المسـلمين والمسـيحيّين ، هو الإيمان بالله خالق كلّ رجل وكلّ امرأة . البشر جميعًـا مشـتركون في الطبيعة البشريّة ، وجميعهم يملكون الكرامة نفسها ولهم حقّ بالاحـترام نفسـه . ومن وراء ذلك فإنّ في كلّ إنسان توقٌ باطن أو ظـاهر الى الله المتعـالي . الناس كلّهم يلتمسون ، طبقًا لنداء ضميرهـم ، بنوع متماثل ، وجه الله ، كلّ واحد بمفرده وكلّهم مجتمعين الواحد مـع الآخـر . ومـن الواجـب احـترام هذا الالتماس وإقرار الحقّ بالحرّيّة الدينيّة ، بحيث يتمكّن النـاس مـن دون قيد أو إكراه أن يساهموا في بناء مجتمع يوفّر الخير للجميع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسمحوا لي في ختام التحيّة هذه أن أسرد كلمات من البابا يوحنا بولس الثاني ، التي وجّهها قبل زمن قصير إلى جماعة المسلمين في سراييفو : " الله واحد ، وهو بعدله يريد منّا أن نحيا طبقًا لإرادته المقدّسة وأن نشعر أنّنا أخوة بعضنا لبعض وأن نعاهد النفس على السعي إلى تأمين السلام في العلاقات البشريّة . فإنّ جميع الكائنات البشريّة قد وُضعت في هذه الأرض لكي تسلك طريق الحجّاج ، كلّ واحد انطلاقًا من وضعه الخاصّ ومن الثقافة التي ينتمي إليها " [١] .

لتحلّ بركة الله على محادثاتكم وتشاوركم ، لكي تنير وتشجّع جميع الذين يعون واجبهم في السير على هذا الطريق المشترك .

---

١) وردت في " الأوسّرفتوره رومانو " *(L'Osservatore Romano)* ، النشرة الأسبوعيّة الألمانيّة ، ٢٥ نيسان ١٩٩٧ ، ص ١٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكردينال الدكتور فرانتس كونيغ

رئيس أساقفة فيينّا السّابق

يسرّني ويشرّفني ، بصفتي عضوًا في مجمع كرادلة الكنيسة الكاثوليكيّة ورئيس أساقفة فيينّا السابق ، أن أحيّي ممثّلي الإيمان الإسلاميّ والمسيحيّ القادمين من نواحي العالم كلّه . ويسرّني أن تكون هذه البادرة قد صدرت عن وزير الخارجيّة النمساويّ .

إنّ الغرض من المؤتمر هو أن يتّضح ، على أساس القيَم الإنسانيّة والدينيّة المشتركة ، أنّ الجماعات الدينيّة الممثّلة هنا ، عليها مهمّة مشتركة في العالم المندفع الى الوحدة في خدمة السلام والتفاهم بين الشعوب . إنّنا لا نستطيع أن ننكر الصعوبات والعداوات التي سرَت في القرون الماضية ، ولكنّنا نريد اليوم باحترام متبادل أن نُقبل بعضُنا إلى بعض ، على اختلاف أديانّنا وثقافاتنا ، لكي نعبّر علنًا عن خدمتنا المشتركة ومهمّتنا المشتركة ، لا بالكلام فقط ، بل بالفعل أيضًا . وإنّنا وإن كنّا لا نستطيع تغيير ما حدث في التاريخ ، إلاّ أننا نستطيع أن نتعلّم من أحداث التاريخ .

إنّ الوضع في أجزاء مختلفة من العالم ، ومنها هنا في أوروبا ، تبيّن لنا أنّ كلّ تسخير للدين لأغراض سياسيّة ووطنيّة ، والتمسّك بالوجاهة لصالح الدين يمكن أن يقودا إلى تسميم الرأي العامّ وإلى خلافات عدائيّة قد تفضي إلى نزاعات حربيّة .

في عالم تجتاحه العولمة في كثير من قطاعاته ، إنّها من التحدّيات الجديدة التي تجابه الدينَين ، بل جميع الأديان في العالم ، أن نعمل الفكر في الصعوبات المشتركة وأن نتعلّم صيغة الشركة في العيش معًا ، لنخدم السلام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بين الشعوب والثقافات . فإنّه حيث الأمر قضيّة الصيغة الفرديّة للدين ، هناك لا تقوم أيّ صعوبة . الصعوبات تنشأ حيث تلتقي جماعات دينيّة وأنظمة دينيّة وتُضطرّ إلى أن تبني علاقة بعضها ببعض . فالرأي العامّ والمؤسّسات الإعلاميّة لها في هذا المضمار دور كبير . فالأخبار التي تكشف عن نزاعات وتوتّرات ومشادّات ، مثلاً بين أكثريّة دينيّة وأقلّيّة دينيّة ، لها في وسائل الإعلام أهميّة أكبر من أخبار العمل المشترك في خدمة السلام . لذا يجب أن نفكّر كيف ينبغي للمسلمين والمسيحيّين كجماعات دينيّة مختلفة أن يقدّموا صورة عن أنفسهم فيعملوا التفكير معًا لاستنباط الحلول للنزاعات السياسيّة والثقافيّة ولتنفيذها . وليس المهمّ إلقاء الخطب الجميلة ، بل المهمّ إيجاد أشكال للتعاون ضمن لجان مشتركة . وفي هذه المرحلة تعود إلى الأجيال الفتيّة أهمّيّة حاسمة .

هنا في النمسا ، في مدينة غراتس ، ستجتمع في آخر حزيران كنائس أوروبّا المسيحيّة المتفرّقة ، لكي تبحث معًا في موضوع المصالحة . فقد يكون ذلك دافعًا لمؤتمر فيينّا هذا لأن يتعرّض للسؤال هل يمكن التفكير في وضع عمل يشير إلى المصالحة .

عسى الله الواحد الحيّ ، الخالق الرحيم القدير ، خالق السماء والأرض ، أن يساندنا على مثال إبراهيم ، حتّى نقوم بجهد نصوح . فنعمل معًا " على حماية وتعزيز العدالة الاجتماعيّة والقيَم الأخلاقيّة والسلام والحريّة من أجل جميع الناس " [١] .

---

[١] المجمع الفاتيكانيّ الثاني : بيان في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة ، ٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجلسات العامّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأكيدات الدينيّة بامتلاك الحقيقة
وعلاقتها بالتعدّدية الاجتماعيّة السياسيّة

كريستيان تْرولّ (Christian Troll)

" من الفصول المؤلمة التي لا يسع أبناءَ الكنيسة إلاّ أن يعودوا إليها بروح الندامة ، أنّهم قبلوا – خاصّة في بعض العصور – باللجوء إلى عدم التسامح بل إلى العنف ، حتّى في خدمة الحقيقة .

صحيحٌ أنّنا لا نقدر ، إذا شئنا أن نطلق حكمًا تاريخيًّا صائبًا ، أن نتجاهل تأثير معطيات العصر الثقافيّة وأن نُعفي أنفسنا من التعمّق في دراسة تلك المعطيات التي جعلت كثيرين يعتقدون ، عن نيّةٍ سليمة ، أنّ الشهادة الصادقة للحقيقة تقتضي إكراهَ الآخرين على الصمت أو تهميشَ رأيهم ... بيدَ أنّ اعتبار الظروف المخفّفة لا يُعفي الكنيسة من واجب إبداء الأسف العميق لِما اعترى مسلك العديد من أبنائها من معايب ، شوّهت وجهها ، ومنعته من أن يعكس مليًّا وجه ربّها المصلوب ، الشاهدِ الذي لا يُضاهى للحبّ الصبور والوداعة المتّضعة . من هذه المواقف الأليمة التي شهدها الماضي نستخلص للمستقبل درسًا من شأنه أن يدفع كلّ مسيحيّ لأن يتمسّك بالمبدإ الأسمى الذي أكّده المجمع ، وهو أنّ " الحقيقة لا تفرض نفسها إلاّ بقوّتها الذاتيّة التي تلِجُ الذهن بلطف وقوّة معًا " [1] .

" ... إنّ التوجيهات المجمعيّة ... الداعية إلى حوار منفتح قائم على الاحترام والمودّة ، مع ما يقتضيه من الفطنة والشهادة الجريئة للحقيقة ،

---

[1] المجمع الفاتيكانيّ الثاني ، بيان في الحرّيّة الدينيّة ، الفقرة ١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تبقى قائمة وتحثّنا على التزام أكمل "[٢] (يوحنّا بولس الثّاني ، إطلالة الألف الثّالث ٣٥-٣٦) .

١- ملاحظات تمهيديّة

١-١ نظرة شاملة على القرائن

إنّ المؤتمر الأوّل المنعقد في فيينّا (نيسان/أبريل ١٩٩٣)[٣] نظر في مسؤوليّة المسيحيّين والمسلمين عن مستقبل البشريّة وأدخل في اعتباره العوامل المؤدّية إلى الوحدة ، والعوامل المؤدّية إلى الاختلاف . كما أكّد المؤتمر في بيانه الختاميّ[٤] ، أنّ المسيحيّين والمسلمين ، باعتبارهم يمثّلون دينَين رئيسيَّين منتشرَين على نطاق عالميّ ، فَهُم متّحدون في الإيمان با لله الواحد ، خالق الناس كافّةً وديّانهم ، وكذلك في القِيَم الأخلاقيّة الأساسيّة التي توجّه حياتهم نحو ا لله ، وفي المهمّة الرامية إلى تعزيز التعايش والوئام بين جميع الخلائق والسعي إلى إحلال سلام عادل للجميع .

بيدَ أنّ المؤتمر كان أيضًا يَعي وعيًا تامًّا التوتّرات الاجتماعيّة السياسيّة التي تنتاب البشريّة على الصعيدَين الإقليميّ والعالميّ ، ويدرك أنّ كِلا الطرفَين المسيحيّ والإسلاميّ متورّط فيها .

---

[٢] البابا يوحنّا بولس الثاني : رسالة رسوليّة بمناسبة " إطلالة الألف الثالث " ، رقم ٣٥ و ٣٦ .

[٣] نشرت أعمال المؤتمر في الكتاب التالي : أندراوس بشّته وعادل تيودور خوري : " سلامٌ للبشر – المسيحيّة والإسلام ينظران إلى السلام في أسُسه ومشاكله وأبعاده المقبلة " ، المكتبة البولسيّة، جونية – لبنان ١٩٩٧ ، طبعة ثانية ١٩٩٩ .

[٤] راجع آخر الكتاب المذكور في الحاشية ٣ ، ص ٣٥٥-٣٥٦ . النصّ المسرود هنا ص ٣٠٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتساءل المؤتمر * : أليست الأساليب الخاصّة التي تنهجها الأمّة الإسلاميّة من جهة ، والمسكونة المسيحيّة من جهة أخرى ، في التأكيدات المتضاربة والمتنافية ، مِن أنّ كلّ طرف يمتلك الحقيقة دون سواه ، وفي تنافسهما على إعلان هذه التأكيدات وترجمتها إلى الواقع العمليّ ، أليست هذه الأساليب تؤدّي – على الأقلّ أحيانًا – إلى تفاقم المنافسات والتوتّرات والخلافات ؟ وعليه ، فإنّ هذا المؤتمر يقترح أن يركّز البحث في مسألة " كيف وبأيّة شروط يمكن الأمّةَ الإسلاميّة والمسكونةَ المسيحيّة ، مع وفائهما للتأكيد بامتلاك الحقيقة في شؤون الإيمان ، أن تعملا معًا لتعزيز الوئام والسلام والتعايش في المجتمعات التعدّديّة وأن تتعاونا لتوطيد علاقات عادلة وسلميّة ، تضامنًا منهما مع جميع بني البشر ، سواء أكانوا مؤمنين أم غير مؤمنين ؟ "

في اليوم الأوّل يركّز المؤتمر بحثه في النواحي اللاهوتيّة لهذه المسألة : هل في استطاعة أتباع الدينَين الإسلاميّ والمسيحيّ ، مع ما يؤكّده كلّ طرف من أنّه يمتلك الحقيقة الشاملة وحده ، أن يفهموا دينهم ويمارسوه على شكل يُتيح لهم ، لا فقط أن يقبلوا التعدّديّة الاجتماعيّة السياسيّة على مضض أو على نحو سلبيّ ، بل أن يتناشدوا إيجابيًّا ليعترف كلّ طرف بالآخر كآخر ويساهموا في إحلال المساواة الاجتماعيّة . وبتعبير آخر : أن يعترفوا – استنادًا إلى الرؤية الدينيّة لكلّ طرف – بأنّ الدين ذاته يُلزمهم بالعمل كشركاء لتحقيق الرفاهة للجميع . وعلاوة على ذلك : هل في استطاعة الدين المسيحيّ والدين الإسلاميّ وتعاليمهما الخلقيّة أن يحدّدا معًا سلّمًا مشتركًا للقيَم وللقناعات المعنويّة مع مبرّراتها ، بحيث يمكن اعتبارها أساسيّة لعمل المجتمعات الديموقراطيّة التعدّديّة وللتعايش التعدّديّ على مستوى العالم كلّه ؟

---

* راجع الوثيقة الإعداديّة ، في هذا الكتاب ص ٤٩٥-٤٩٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١-٢ مجال هذا البحث ومنهجه

إنّ هذا البحث يتناول الأبعاد اللاهوتيّة للموضوع ، في نطاق الخطط العامّة للمؤتمر الذي خصّص اليومَ الأوّل لدراسة الأبعاد اللاهوتيّة ، واليومَ الثاني للأبعاد القانونيّة والسياسيّة ، واليومَ الثالث للأبعاد الثقافيّة .

يتناول البحث الموضوع على الصعيد التعليميّ ويتوخّى المساهمة ، من هذا القبيل ، في النقاشات اللاحقة ، التي ستنظر في الاحتمالات والمصاعب والفرص والمآزق التي تعترض سبيل المسيحيّين والمسلمين الذين يعيشون ويعملون معًا في مجتمعات تعدّديّة ، على ضوء ظروفهم العمليّة الخاصّة .

يتعمّد البحث الالتزام بالتعاليم الرسميّة للكنيسة الكاثوليكيّة (أي بما يُطلَق عليه اسم السلطة الكنسيّة) وبما يماثلها من تصريحات صادرة عن الكنيسة الأرثوذكسيّة وكنائس الإصلاح البروتستانتيّ، المتجمّعة في المجلس العالميّ للكنائس . إنّ هذه التصريحات جاءت حصيلةً للخبرة التي عاشتها الكنائس في مناطق شتّى من العالم ، لكنّها لا تُعطينا أجوبة مُعيّنة عن الأسئلة ذات الطابع المحلّيّ . فغايتها بالأحرى هي أن تقود التفكير وتساعد المؤمنين على تحديد مواقفهم عندما يفكّرون في الردّ على ما يعترضهم من تحدّيات في ظروف معيّنة .

١-٣ إيضاح الألفاظ الرئيسيّة

(١) المسيحيّة – الكنائس – الكنيسة الكاثوليكيّة

عندما أبحث ، من وجهة النظر المسيحيّة في "أسُس التعدّديّة الاجتماعيّة الثقافيّة في نظر المسيحيّة والإسلام" ، فإنّي أعي أنّي مقيّد بانتمائي إلى الكنيسة الكاثوليكيّة . وبالتالي فإنّي أرحّب شاكرًا بكلّ إضافة أو رأي تكميليّ أو تعديل محتمَل لما سأقوله ، مستنِدٍ إلى التقاليد المسيحيّة الأخرى .

وعندما استعمل لفظة الكنيسة ، إلى جانب لفظة المسيحيّة ، فإنّي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقصد بها الجماعة العامّة للذين يؤمنون بالمسيح ، حتّى حين أتحدّث عن كنيسة المجمع الفاتيكانيّ الثاني ، أي الكنيسة الكاثوليكيّة بقيادة أسقف رومة ، خليفة القدّيس بطرس [٦] .

ولنا أن نقول واثقين – كما سيتبيّن بصورة متواترة من استشهادنا بالوثائق المختصّة – إنّ الكنائس البروتستانتيّة والأرثوذكسيّة ، التي تؤلّف اتّحاد الكنائس المعروف باسم المجلس العالميّ للكنائس المتّخِذ جنيف مقرًّا له ، هي على اتّفاق واسع مع الكنيسة الكاثوليكيّة بشأن التعاليم المسيحيّة التي سنناقشها هنا ، وإن اختلفت طبعًا من حين إلى آخر حول بعض التفاصيل والدقائق في التعبير .

وأعطَينا الأسبقيّة ، في هذا البحث ، للتعليم الرسميّ للكنيسة الكاثوليكيّة المعبَّر عنه في تعاليم المجامع المسكونيّة ، ومجامع الأساقفة ، والبيانات والرسائل البابويّة العامّة ، والوثائق والقرارات الصادرة عن المؤتمرات الأسقفيّة الإقليميّة أو عن الأساقفة المنفردين ، لأنّ مجموعة هذه الوثائق تشكّل التعليم الرسميّ للكنيسة الكاثوليكيّة وهي قياسيّة للمؤمنين الكاثوليك [٧] .

---

[٦] إني أوافق أندراوس بشته على رأيه بأنّ مثل هذا التعبير مشروع ، " إذ إنّ الأمر في نطاق تعدّديّة الكنائس المسيحيّة (تلك التعدّديّة التي لم يتمّ ضبطها قانونيًّا وقد يمتنع ضبطها بهذا الشكل) يتعلّق بسرّ الكنيسة في المسيح ، ذلك السرّ الذي ليس من صنع البشر ، بل حصل بتدبير من الله ، ذلك السرّ الذي ورد عنه في الرسالة إلى أفسس (٣: ٨-١١) ، أنّه مكتوم منذ الدهور في الله الخالق كلّ شيء ، وتحقّق في المسيح ويتجلّى الآن بواسطة الكنيسة .

راجع ص ٥٢ ، حاشية ٢ من مقالة المؤلّف : كنيسة التلاقي

" Kirche der Begegnung. Zur Öffnung der Kirche im Zweiten Vaticanum für einen Dialog des Glaubens mit den nichtchristlichen Religionen ", in : R. Schwager (ed.), *Christus allein ? Der Streit um die pluralistische Religionstheologie* (Quaestiones disputatae 160). Freiburg 1996, 50-82.

[٧] راجع المقالة " Lehramt " ، في :

K. Rahner - H. Vorgrimler, *Kleines theologisches Wörterbuch* (Herder-Bücherei

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن المرجّح أن تفضي بنا هذه المناقشات إلى الاطّلاع على مواقف وآراء مسيحيّة أخرى وثيقة الصلة بالموضوع ، عِلمًا أنّ بعضها قد يختلف اختلافًا كبيرًا عن التعليم الوارد في هذا البحث . لكن يبدو أنّه من العسير على أيٍّ من ممثّلي هذه الاتّجاهات أن يدّعي أنّه يتحدّث باسم عدد مماثل من المسيحيّين على النطاق العالميّ .

(٢) التأكيد الدينيّ للكنيسة بأنّها تمتلك الحقيقة

عندما نصف اليوم أمرًا بأنّه حقيقيّ ، فنحن نعني أنّه مطابق للواقع . فالشيء يُنعَت بأنّه حقيقيّ إذا تبيّن أنّه واقعيّ ، واضح للعيان ، بديهيّ للعقل (راجع أصل اللفظة اليونانيّة ἀ-λη9ής ، وهي تعني الشيءَ غيرَ المخفيّ ، المكشوف) . إنّ المفهوم اليونانيّ الذهنيّ الدقيق للحقيقة لا يزال ينطبق عمومًا على التفكير المعاصر . بيد أنّنا في هذا البحث سنتكلّم على الحقيقة بمفهومها الكتابيّ (البِبْلِيّ) المبنيّ على الاختبار الدينيّ للقاء الإنسان مع الله : الله الحيّ ، الحقيقيّ ، الأمين ، الجدير بالثقة ، الذي يسمع صراخ شعبه ويخلّصه (خروج ٣٤: ٦ ؛ يوحنّا ١: ١٤) .

في أسفار العهد الجديد ، نجد كلمة " الحقيقة " بمعنى مُميّز ، لا سيّما في رسائل بولس ورسائل سواه وبمعنى قويّ جدًّا في كتابات يوحنّا . فالمؤمنون اليهود كانوا على يقين تامّ من أنّهم يمتلكون التعبير الصريح عن الحقيقة في شريعتهم التي كانوا يجدون فيها إرادة الله مدوّنة بكاملها . وكانوا يعبّرون عن ذلك بقولهم " حقيقة الشريعة ". غير أنّ رسائل بولس الواردة في العهد الجديد استبدلت هذا التعبير بآخر فقالت " حقيقة الإنجيل " (غلاطية ٢: ٥ و١٤) أو أيضًا " كلمة الحقّ " (كولسّي ١: ٥ وأفسس ١: ١٣) .

108/109). Freiburg 1964, 220-222.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالحقيقة بالنسبة إلى بولس هي كلمة الله التي يبشّر بها . وإذا كان الإيمان هو القبول الطوعيّ بحقيقة الإنجيل ، فانّ محبّة الحقيقة مطلوبة هي أيضًا . وهكذا أصبح " الوصول إلى معرفة الحقيقة " تعبيرًا نمطيًّا متواترًا في العهد الجديد للدلالة على قبول الإنجيل واعتناق الدين المسيحيّ . وما المؤمنون إلاّ الذين يعرفون الحقّ (١ تيموثاوس ٤ : ٣) . فقبولُ كلمة الحقّ بقلبٍ سليم ونهج حياة مطابقة لمقتضيات هذه الكلمة ، يجدّد المؤمنين ، بل يجعلهم يولدون لحياة جديدة (يوحنّا ١ : ١٨) . أخيرًا ، في الرسائل الرعويّة ، أمست الحقيقة تعني العقيدة الصحيحة وأصبح مفهوم الكنيسة أنّها " عمود الحقّ وركنه " (١ تيموثاوس ٣: ١٥) .

ولهذه النصوص صلة وثيقة تربط الحقيقة بيسوع المسيح . فالرسول لا يبشّر بعقيدة نظريّة بل بشخص يسوع المسيح نفسه . ويسوع المسيح الذي صُلب وقام هو الحقيقة ، وهو " السرّ " الذي يكرز به الإنجيل والذي اؤتُمنت الكنيسة على حراسته . " والحقيقة هي في يسوع " (أفسس ٤: ٢١) .

أمّا في كتابات يوحنّا ، فمفهوم الوحي أو الكشف هو محوريّ في أهمّيّته ، وكذلك مفهوم الحقيقة ἀλήθεια الذي يرافقه ، والقدرة الداخليّة ἐξουσία الخاصّة به . فالإنجيل بحسب يوحنّا يعلن يسوعَ باعتباره الحقيقة (١٤: ٦) لأنّه الكلمة الذي صار " بشرًا " . ومن ثَمّ فهو يكشف لنا الآب (١: ١٨) ويشرح يسوع معنى تأكيده أنّه الحقّ بإضافته لقبَين آخرَين : " أنا الطريق . أنا الحقّ . أنا الحياة " . هو الطريق إلى الآب لأنّه هو الحقّ . وهو ينقل إلينا كلمة الله ويكشف لنا عن الآب وينقل الحياة الإلهيّة (١: ٤ الخ ؛ ١ يوحنّا ٥: ١١ وما يتبع) . وبالتالي ، فوصف المسيح بأنّه الحقّ يكشف شيئًا عن المسيح ، عن كونه شخصًا إلهيًّا . فهو الحقّ لأنّه الكلمة Λόγος ، كلمة الآب ، الابن الوحيد . والفرق بين الوحي في الإنجيل بحسب يوحنّا والوحي في العهد القديم هو ذو مغزى عميق : " الشريعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أُعطيَت على يد موسى . أمّا النعمة والحقّ فأتيا على يد يسوع المسيح " (يوحنّا ١: ١٧) ، لأنّ الوحي اكتمل وانتهى معه وفيه .

إنّ يسوع أنبأ تلاميذه بمجيء المعزّي ، روح الحقّ (١٤: ١٧) الذي تقوم مهمّته الرئيسيّة على الشهادة للمسيح (١٦: ١٣) وإرشاد الرسل . ولمّا كان دور المعزّي هو أن يحمل الناس على فهم حقيقة المسيح بالإيمان ، فقد سُمّي الروحُ القدس أيضًا "روحَ الحقّ" (١ يوحنّا ٥: ٦) . فهو الذي " يشهد " في الكنيسة ومن ثَمّ يمنح المسيحيّين الإيمان .

وبالتالي فإنّ المفهوم المسيحيّ للحقيقة ، بحسب شهادة العهد الجديد ، ليس المجال اللامتناهي للواقع الذي لا بدّ لنا من الإحاطة به بقوانا الذهنيّة ، إنّما الحقيقة هي الكشف عن الآب بيسوع المسيح ، كلمة الله ، تلك الحقيقة التي يعلّمنا إيّاها الروح القدس ، والتي اؤتمنت الكنيسة على حمايتها ولا تزال تشهد لها ، لكنّها ليست " ملاّكةً " لها ، ناهيكَ عن أن تحتكرها . الحقيقة نتلقّاها بالإيمان .

وكما أنّ الحقيقة – التي هي يسوع المسيح – أُرسلت من لدُن الآب ، كذلك المؤمنون ، المتّحدون في الكنيسة ، مُرسَلون ليعلنوها ، ليكرزوا بها κηρύσσειν (متّى ٢٤: ١٤) . وبتعبير آخر ، إنّهم مدعوّون لأن يصبحوا شهودًا ورسلاً . وما جُعِل الرسُل شهودًا ليسوع المسيح ولحياته ولموته ولقيامته ، إلاّ لينقلوا البشرى إلى العالم بأسره (أعمال ١: ٨) . وبسبب " شهادتهم ليسوع " اضطُهدوا (أعمال ٢٢: ٢٠) . وما الاستشهاد μαρτυρία إلاّ الشهادة للإيمان المكرّسة ببذل الدم .

إنّ مهمّة الرسل مرتبطة ارتباطًا وثيقًا برسالة المسيح : " كما أرسلني الآب ، كذلك أنا أرسلكم " (يوحنّا ٢٠ :٢١) . وسينطلق الرسل ليعلنوا البشرى (مرقس ١٦: ١٥) ويتلمذوا جميع الأمم (متّى ٢٨: ١٩) ويكونوا شهودًا له في كلّ مكان (أعمال ١: ٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا ستبلغ رسالة الابن جميعَ الناس على نحو فعّال بفضل مهمّة رسله وكنيسته ، لأنّ وراء المهمّة الشخصيّة للرسل نجد الدعوة التبشيريّة للكنيسة جمعاء ، وهذه بدورها مرتبطة برسالة الابن عن طريق قدرة الروح القدس .

والعهد الجديد يبرّر تأكيد الكنيسة أنّها تمتلك الحقيقة ، بإدراكها أنّ يسوع المسيح هو الذي أرسلها وكلّفها وخوّلها السلطة . والكنيسة تعلم أنّها هي العلامة الفعّالة وهي الوسيلة وهي الوسيطة لتبليغ رسالة الحقيقة التي تفضي إلى واقع خلاصيّ كان حتّى الآن خفيًّا . وليست هذه الحقيقة بمثابة برج فلكيّ من النجوم الثابتة التي لا تتحرّك ، بل على النقيض من ذلك ، إنّها كحدث يؤذن باجتياح الحلبة العامّة بحيث يعترف به الناس على أشمل نطاق ممكن .

وهنا لا بدّ من التساؤل : هل تستطيع الكنيسة ، التي تعتقد أنّها مرسَلة كعلامة ووسيلة لتبليغ هذه الحقيقة الموحاة ، هل تستطيع - في المجتمعات التعدّديّة التي تتنافس فيها الادّعاءات بامتلاك الحقيقة - أن تؤكّد مخلِصةً أنّها منفتحة على سائر الفئات والأفراد ، بل أنّها بحاجة إليهم ، على الرغم من ادّعائهم ، هم أيضًا ، بأنّهم يشهدون لحقيقة يعتبرونها شاملة ونهائيّة ؟

(٣) التعدّديّة الاجتماعيّة السياسيّة

إنّ بحثنا يضع الادّعاءات بامتلاك الحقيقة إزاء " شرعيّة التعدّديّة الاجتماعيّة السياسيّة ". وتشير لفظة " تعدّديّة " عمومًا إلى وضع ينطوي على عدد متنوّع من النظم الفكريّة ، والرؤى الكونيّة ، والتفسيرات للواقع ، التي يتعايش بعضها مع بعض ، دون أن تفوز أيّة جهة منها بالسيادة على الجهات الأخرى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من مميّزات المجتمع الحديث طبيعتُه التعدّديّة . " ليس في عالمنا اليوم من مجتمع متجانس ، سواء أكان تقليديًّا أم متقدّمًا في الميادين التكنولوجيّة ، وبطبيعة الحال ، ليس من مجتمع موحَّد يشمل العالم . بل نجد في جميع ربوع العالم فئات اجتماعيّة مكوَّنة من أشخاص ينتمون إلى شتّى المشارب من حيث اللغة والثقافة والأصل العرقيّ والطبقة الاجتماعيّة الاقتصاديّة والجنس والدين " [٨] .

وفي الاستعمال السياسيّ الغربيّ ، تشير لفظة تعدّديّة إلى قبول الأفراد والمؤسّسات العامّة بآراء سياسيّة متضاربة ، تعزّزها هيئات منظّمة تنظيمًا طوعيًّا ، وفئات تدافع عن مصالح معيّنة ، وأحزاب سياسيّة ، كما تشير إلى السماح بتعاقب حكومات أو أنظمة حُكم اختياريّة في مراكز السلطة عن طريق الانتخاب [٩] . ولئن كان هذا المفهوم للتعدّديّة السياسيّة يميّز ، بالدرجة الأولى ، المجتمعات المتقدّمة صناعيًّا في أوروبا وأميركا الشماليّة ، التي انطبعت – سياسيًّا وفكريًّا – بطابع الاستنارة والثورة المدنيّة ، إلاّ أنّنا نجد أيضًا على غِرارها ، بصورة متزايدة ، أنظمة تعدّديّة في المجتمعات التي كانت حتّى الآن تتقيّد بالتقاليد القديمة ، بيد أنّها أخذت تتطوّر تطوّرًا اجتماعيًّا سريعًا ، بحكم الأثر الذي تتركه فيها البنى وأنماط الحياة الاجتماعيّة الاقتصاديّة العالميّة الحديثة [١٠] .

---

[٨] مجمع الكنائس العالميّ:

Issues in Christian-Muslim Relations. Ecumenical Considerations, Geneva, 1992, 9.

[٩] راجع P. J. Vatikiotis, *Islam and State*, London 1987, 89 .

[١٠] يؤكّد شفان (A. Schwan) أنّ الجماعات المختلفة العديدة في المجتمعات السياسيّة التعدّديّة تسعى وراء أهدافها بطريقة مستقلّة ، ولكن في نطاق مبدإ تعادل الحقوق بين الأفراد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في ما يلي نتساءل كيف أنّ الكنيسة ، مع تأكيدها امتلاكَ الحقيقة الشاملة الكاملة النهائيّة ، وعلى الرغم من تاريخها الطويل من التحالف المتعدّد الأشكال مع البنى السياسيّة غير الديمقراطيّة ، تعتزم أن تتعامل مع التعدّديّة الاجتماعيّة السياسيّة بالمعنى الذي عرضناه . وعليه ، سينطوي بحثنا على ثلاث مراحل رئيسيّة :

١) سنتساءل كيف تنظر الكنيسة إلى التعايش في المجتمع التعدّديّ على الصعيد القانونيّ . وبتعبير آخر ، سنبحث في كيف تستطيع الكنيسة أن تقبل بالتعايش مع القوى التي تأخذ ، بشأن الحياة البشريّة والاجتماعيّة ، بأفكار وتروّج لأفكار تناقض ما تعتقد الكنيسة بأنّه الحقيقة .

٢) على الصعيد الأخلاقيّ الدينيّ ، كيف تعتزم الكنيسة ، في المجتمع التعدّديّ ليومنا هذا ، أن تتعامل مع الديانات الأخرى ، لا سيّما الإسلام ، الذي يقف موقفًا يختلف جوهريًّا عن موقف الكنيسة من الحقيقة الدينيّة والمسلكيّة والذي يقترح رؤية خاصّة به للحياة الفرديّة والجماعيّة ، ويعتبر هذه الرؤية حقيقةً أكيدة نهائيّة أوحى بها الله ؟

٣) وأخيرًا ، هل هنالك أفق مشترك وهدف مستقبليّ تعترف به

والجماعات ، مما يؤدّي بسهولة إلى خلافات بينها قد تتعلّق أيضًا بالمبادئ الأساسيّة والعقائديّة . وتمسّ الوحدان المثاليّ السائد والتوجّه الرئيسيّ في المجتمع . راجع المقالة :

" Pluralismus ", in : *Staatslexikon*, Hg. Görres-Gesellschaft, 4. Freiburg, 1988, 427.

ولذلك فالمؤلّف يرى أنّ مثل هذه المجتمعات لا تدوم إلاّ بشرطين : أوّلاً أن تكون ديموقراطيّات تعدّديّة مرتكزة على قيمة الحقّ العامّ الذي يشكّل فيها عبارة عن الاتّفاق على مبادئ البنى الأساسيّة . وثانيًا بأن تقوم بوجه الخصوم الذين يواجهون الديمقراطيّة التعدّديّة بالعداء العلنيّ ، وبوجه القوى التي ليست مستعدّة أن تمارس على الأقلّ السماحة تجاه الآخرين ، بأن تقوم بوجههم وتعزلهم أو تدافع عن نفسها ضدّهم (راجع ص ٤٢٧-٤٢٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جميع الأديان الأصيلة اعترافًا ما ، في إيمانها ، أفق تشعر جميع الأديان – مهما كان بينها من اختلاف – أنّها مدعوّة إلى أن تسير معًا لبلوغه ، كلٌّ على أساس رؤيته الخاصّة ، لا سيّما بعدما اتّسعت أبعاد هذه الرؤية ، بفضل الاتّصالات واللقاءات العالميّة والخدمة المقرونة بالصلاة والسعي إلى ما من شأنه أن يقرّب البشريّة من الوحدة والكمال ؟

٢– تصريح الكنيسة بشأن حقّ الأشخاص والجماعات في الحرّيّة الاجتماعيّة والمدنيّة في الشؤون الدينيّة

٢–١ تعليم الكنيسة بشأن الحرّيّة الدينيّة وفصل الدين عن الدولة ، من الوجهة التاريخيّة

إنّ أهمّ النقاط في تعليم الكنيسة بشأن الحرّيّة الدينيّة والفصل بين الدولة والكنيسة ، وردَت في وثائق المجمع الفاتيكانيّ الثاني ، لا سيّما البيان في الحرّيّة الدينيّة (" الكرامة الإنسانيّة ") والدستور الراعويّ وفي الكنيسة وعالم اليوم (" فرح ورجاء ") [١١] . وهذه النصوص المجمعيّة تشكّل خطوة هامّة في تفتّح التعليم الرسميّ للكنيسة الكاثوليكيّة [١٢] .

وفي هذه النصوص المجمعيّة أحرزت الكنيسة تقدّمًا وفتحت مجالاً جديدًا أمام حرّيّة الشخص البشريّ وحقوقه ، وواجبات الدولة وحقوقها

---

[١١] لاسيّما ١٢ ؛ ١٦–١٧ ؛ ٢٧–٢٨ ؛ ٣٦ ؛ ٤٠–٤٢ ؛ ٧٥–٧٦ .

[١٢] إنّ الكنائس المنضمّة إلى مجلس الكنائس العالميّ لها في هذه القضيّة أصلاً المواقف عينها التي تقول بها الكنيسة الكاثوليكيّة . قابل :

E.Vetvik, " Religion and State from a Western Christian Perspective ", in : J. S. Nielsen (ed.), *Religion and Citizenship in Europe and the Arab World* (SCIS Studies on Islam and Christianity). London 1992, 14.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الشؤون الدينيّة ، والعلاقة القائمة بين النظام القانونيّ والنظام الخلقيّ . والواقع أنّها تخلّت عن مواقفها السابقة في التعليم ، بدون أن تتخلّى عن تأكيد حقيقة الدين الكاثوليكيّ . وقبل كلّ شيء ، تمّ التوفيق بين تأكيد امتلاك الحقيقة من جهة ، والحرّيّة الفرديّة من جهة أخرى ، على أساس تأكيد حقّ الشخص البشريّ في الحرّيّة . فالكنيسة تريد ، ليس فقط أن تساهم في التعايش والوئام ، في جوّ من الحرّيّة والأسُس المشتركة ، مع أناس ينتمون إلى أديان مختلفة ويعيشون معًا ، بل أيضًا أن تساهم في إيجاد الشروط الاجتماعيّة السياسيّة لفعل الخضوع لله في الإيمان ، بحيث يكون هذا الخضوع شخصيًّا ، أصيلاً ، مُعتَقًا من كلّ نوع من أنواع الإكراه أيًّا كان .

أمّا الموقف الكاثوليكيّ التقليديّ من التسامح المدنيّ فكان يتميّز بالرفض المستمرّ للتسامح المدنيّ ، كمبدإ قانونيّ [١٣] . وحيثما مارست الكنيسة التسامح الكنسيّ في الماضي ، مهما كان المدى ، فقد أقدمت على ذلك باعتباره أهون الشرّين وتنازلاً منها أمام الواقع .

" إنّ أساس هذا الموقف كان من جهة أنّ مبدأ الحقيقة له الأسبقيّة على الحرّيّة ، وأنّه لا يجوز أن يتساوى الحقّ والباطل ، ومن جهة ثانية أنّ الإيمان هو علاقة وفاء ذي طابع قانونيّ ، وبالتالي فإنّ خرق هذا الوفاء لا

---

[١٣] يمكننا بالنسبة إلى تطوّر تعليم الكنيسة في السماحة بين المواطنين ، أن نميّز ثلاث حقبات . هناك أوّلاً الزمن قبل قرار القيصر تيودوسيوس الأوّل الكبير (٣٧٩-٣٩٥) في فرض العقيدة المسيحيّة على جميع رعايا الإمبراطوريّة الرومانيّة ، وسنة ٣٩٢ في إغلاق الهياكل الوثنيّة وحظر تقديم الضحايا . ثمّ تلي المرحلة بعد تيودوسيوس التي اتّسمت قرونًا عديدة بعدم السماحة ، حتّى أُفسح ابتداءً من القرن الثامن عشر ولا سيّما في تعاليم البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨-١٩٠٣) مجالٌ للسماحة . وأخيرًا الحقبة التي بدأت مع المجمع الفاتيكانيّ الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥) التي طالبت فيها الكنيسة بالحرّيّة الدينيّة لجميع الناس واعترفت بالمساواة بين جميع الأديان والمعتقدات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بدّ من معاقبته كخرق للقانون " [١٤] .

ومع أنّ الكنيسة أدخلت تعديلات شتّى على تعليمها في الآونة الأخيرة ، إلاّ أنها لم تتخلّ قطّ عن مبدئها القائل إنّ من واجب الدولة أن تقبل بالدين الصحيح وتدافع عنه . وهذا التعليم كان يعني ضمنًا أنّها تطبّق معيارَين : فتحدّ من حقوق أتباع الأديان الأخرى حيث تسود أغلبيّة تابعة للكنيسة ، فيما تطالب بالمساواة في الحقوق معهم حيث يكون أتباعُها الأقلّيّة .

فالبابا لاون الثالث عشر مثلاً ، في رسالتَيه العامّتَين " الله الأزليّ " و " الحريّة " ، استبقى نظريّة الدولة الكاثوليكيّة وواجبات الدولة إزاء الدين الصحيح أي الكنيسة ، وفي الوقت ذاته رفض الحرّيّة الدينيّة كحقّ طبيعيّ ، وتكلّم على التسامح إزاء الأديان الأخرى كشرٍّ لا بدّ من القبول به في ظروف معيّنة [١٥] .

---

[١٤] راجع " المقدّمة " لكاتبها :

E.-W. Böckenförde, in : *Zweites Vatikanisches Ökumenisches Konzil, Erklärung über die Religionsfreiheit*. Aschendorff, Münster 1968, 6.

لقد ساند مثلاً توما الأكوينيّ (نحو ١٢٢٥-١٢٧٤) الرأي القائل بأنّ السلطة المدنيّة لها أن تعاقب الهراطقة بالموت ، إذ إنّهم يجدّفون على الله : قابل في كتابه *In IV Sentent.* d. 13 q. 2 a.3 . والمصلحان الكبيران في القرن السادس عشر ، لوتر وكَلفين ، دعما الرأي نفسه بالنسبة إلى هراطقة مذهبهم مثل مكرّري المعموديّة وأصحاب البدع .

[١٥] جاء في رسالة البابا لاون الثالث عشر Immortale Dei (١٨٨٥) : " وإن كانت الكنيسة تعلّم أنّ أنواع عبادة الله المختلفة لا يجوز أن تنعم بالحقّ نفسه الذي ينعم به الدين الصحيح، فإنّها لا تدين السياسيّين الذين يسعون في التوصّل إلى خير أكبر أو في تجنّب شرّ معيّن ، ويغضّون النظر عن مثل هذه الأنواع تماشيًا مع القرن والعادة " .

(وردت في :

Mensch und Gemeinschaft in christlicher Schau. Dokumente, ed. E. Marmy, Freiburg 1945, 594, n° 892.)

ثمّ إنّ البابا بيوس الثاني عشر كرّر سنة ١٩٥٣ مبدئيًا هذا التعليم ، وإن كان ذلك بشكل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمّا نواة التعليم الكاثوليكيّ السابق للمجمع ، في هذا الشأن ، فكان ينصّ على أنّ المقصود لم يكن الشخص البشريّ (بالمعنى القانونيّ) في حدّ ذاته ، بل " الحقيقة " ، أي مجرّد مفهوم نظريّ . واستنادًا إلى هذه النظريّة ، لم تكن الحقوق تعود إلى الكائن البشريّ باعتباره شخصًا بشريًّا ، أي إنّها لم تكن منبثقة من شخص باعتباره كائنًا له شخصيّة قائمة في ذاتها ، ولم يكن هدفها ضمانَ حرّيّة الإنسان البشريّة ، إنّما كانت تعود إلى الشخص البشريّ باعتباره – وبمدى ما يمكن اعتبارُه – معتنقًا للحقيقة الدينيّة أو المعنويّة . وهكذا ، في الحياة العمليّة ، حيث لا نجد الحقيقة كجوهر قائم في حدّ ذاته ، بل في القناعات الباطنيّة لبني البشر المرئيّين ، كانت الحقوق كلّها تنحصر عمليًّا في السلطة التي تقرّر ما هي الحقيقة . ومن ثَمَّ ، عمليًّا ، كانت الكنيسة وحدَها وأتباعُها وحدَهم هم الذين يمتلكون الحقوق .

لذا ، لم يكن أمام الدولة الحديثة ، الراغبة في ضمان الحرّيّة الدينيّة لجميع المواطنين ، من خيار سوى معارضة هذه النظريّة ، والحيلولة دون قيام الكنيسة بممارستها . وهكذا مهّدت الدولة الحديثة السبيل للحرّيّة الدينيّة ، خلافًا للمعارضة الرسميّة الأولى للكنيسة .

٢–٢ التعليم الرئيسيّ الجديد للبيان المجمعيّ

إنّ البيان في " الكرامة الإنسانيّة " الصادر عن المجمع الفاتيكانيّ الثاني

أكثر اعتدالاً وارتكازًا أخلاقيًّا : " بهذا تبيّن المبدآن : ١) ما لا يطابق الحقيقة والقانون الأخلاقيّ ، ليس له موضوعيًّا حقّ في الوجود والدعوة والنشاط ؛ ٢) عدم التدخّل من قبل قوانين الدولة وأساليب القمع يمكن أن يكون مبرَّرًا نظرًا إلى خير أسمى وأشمل : (وردت في . (E. W. Böckenförde, Münster, 1968, 8

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يبتعد مبدئيًّا عن المواقف الأولى لتعليم الكنيسة الرسميّ [١٦] . فهو لم يَعُدْ يتكلّم على التسامح ، بل على " الحقّ في الحرّيّة الدينيّة " . كما أنّه يفهم هذا الحقّ كحقّ مستقلّ غير مشروط ، منوطٍ بالشخص البشريّ ، وكحرّيّة تخوّله الحقّ في ممارسة دينه ، بشكل خصوصيّ وعموميّ ، وفقًا لمقتضيات ضميره ، منفردًا أو مشتركًا مع سواه . وبتعبير آخر ، تحوّل تعليم الكنيسة من مبدإ " حقوق الحقيقة " إلى مبدإ " حقوق الشخص البشريّ " . وممّا جاء في البيان :

" الحقّ في الحرّيّة الدينيّة مبنيّ على فطرة الإنسان ذاتها ، لا على استعداداته الشخصيّة . لذلك يبقى هذا الحقّ مصونًا ، حتّى عند الذين لا يَفُون بالالتزام الذي يوجب عليهم البحثَ عن الحقيقة واعتناقَها . ولا يجوز انتقاص هذا الحقّ ، طالما أنّه يحترم النظام العامّ العادل " (الفقرة ٢).

إنّ هذه الجملة تعبّر عن النواة القانونيّة لعقيدة المجمع .

وعلاوةً على ذلك ، يذكر الفصل الثاني من البيان ، بصورة مفصّلة نسبيًّا ، " أنّ هذا التعليم موطّد على كرامة الشخص ، التي بدت مقتضياتها للعقل البشريّ بوضوح متزايد عبر اختبار الأجيال ، وأنّ له جذورًا في الوحي الإلهيّ " (الفقرة ٩) :

" وعلى الرغم من أنّ الوحي لا يؤكّد بصريح العبارة حقّ الإنسان في الحصانة من أيّ ضغط خارجيّ في الأمور الدينيّة ، فإنّه يوضح مع ذلك

---

[١٦] إنّ جون مورّي اليسوعيّ (John Courtney Murray) ، الذي ساند بحزم وثيقة المجمع الفاتيكانيّ الثاني في الحرّيّة الدينيّة ، يُشير من جهة إلى أنّ مبدأ الحرّيّة الدينيّة قد تمّ الاعتراف به منذ زمن طويل في القانون الدستوريّ وأنّ الكنيسة إنّما اعترفت بصحّة هذا المبدإ في خطوة متأخّرة . وهو يعتبر الوثيقة من جهة أخرى بأنّها " حدث مهمّ في تاريخ الكنيسة " . راجع :

W. M. Abbott (ed.), *Documents of Vatican II*. New York 1996, 673.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كرامة الشخص البشريّ بكلّ أبعادها ويبيّن كيف أنّ المسيح احترم حرّيّة الناس في إتمام واجبهم إزاء الإيمان بكلام الله . كما أنّ الوحي يعلّمنا الروح الذي يجب أن يتحلّى به تلاميذ هذا المعلّم ويسترشدوا به ، كمَثَل أعلى ، في كلّ أعمالهم ... وقبل كلّ شيء ، إنّ الحرّيّة الدينيّة في المجتمع تنسجم تمامًا والحرّيّةَ التي يقتضيها فعل الإيمان المسيحيّ " (الفقرة ٩) .

وفي الفقرتَين ١٠ و ١١ يستشهد البيان بأقوال العهد الجديد وكتابات آباء الكنيسة ليُثبت أنّه ، إذ يعترف بمبدإ الحرّيّة الدينيّة ويعزّزه لأنّه ينسجم مع كرامة الإنسان ووحي الله ، فالمجمع إنّما يفعل ذلك ولاءً منه لحقيقة الإنجيل واتّباعًا لمنهج السيّد المسيح ورسله (الفقرة ١٢) . كما يعترف البيان بصريح العبارة " أنّ ثمّةَ تصرّفات حدثت في حياة شعب الله ، وهو يسير نحو محجّته عبر تقلّبات التاريخ البشريّ ومنعطفاته ، لم تكن مطابقةً لروح الإنجيل ، بل كانت منافيةً له " (الفقرة ١٢) . ويتكلّم البيان على " خميرة الإنجيل " التي ظلّت تعمل في أذهان الناس ، وبذلك ساهمت مساهمةً عظمى في حَمْل البشر على أن يعترفوا اعترافًا أكمل بحقّ الإنسان في الحرّيّة الدينيّة ، ورسّخت في أذهانهم هذا اليقين [١٧] .

---

[١٧] يشير بوكنفرده (E. W. Böckenförde, Münster 1968, 18) إلى أنّ ما جاء في هذه الوثيقة لا يعطي جوابًا مرضيًا عن السؤال كيف يمكن توفيق التعليم الكاثوليكيّ المتوارد عن استمراريّة التعليم الكنسيّ الرسميّ في القضايا الجوهريّة ، والواقع الذي يبيّن أنّه في مدّة أقصر من ١٥٠ سنة قد أعطي بشأن القضيّة الواحدة أجوبة متناقضة ينفي الواحد منها الآخر .

وموري (J. C. Murray) يصرّح : " إنّ مفهوم تطوّر (تعليم الكنيسة) لا مفهوم الحرّيّة الدينيّة ، كان الحافز الحقيقيّ لكثير من الذين عارضوا الوثيقة حتّى النهاية . فمسيرة التطوّر من " لائحة الأخطاء " (Syllabus ١٨٦٤) حتّى وثيقة الحرّيّة الدينيّة (١٩٦٥) لا تزال قضيّة على اللاهوتيّين أن يشرحوها . ولكنّ المجمع هو الذي صدّق صراحة على مشروعيّة هذا التطوّر نفسه . وهذا حدث عقائديّ بالغ الأهمّيّة بالنسبة إلى الفكر اللاهوتيّ في كثير من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢-٣ تطبيق مبدإ الحريّة الدينيّة

إنّ البيان ذاته يورد بعض التطبيقات العمليّة . وسنورد في ما يلي مختارات منها :

(١) لا يحقّ للكنيسة أن تطالب شرعًا بوضع امتيازيّ في الدولة . وإن كان لها امتيازات نشأت بفضل التطوّرات التاريخيّة في بعض المجتمعات التي كانت مسيحيّة في أغلبيّتها ، فانّ البيان لا يشجب تلك الامتيازات صراحةً ، لكن يرى أنّه لا يجوز بأيّ حال من الأحوال أن تقود إلى الحدّ من الحرّيّة الدينيّة للمواطنين ولا لأتباع الأديان الأخرى (الفقرة ٦) .

(٢) التخلّي عن مبدإ " الدولة الكاثوليكيّة " كمثال أعلى للنظام السياسيّ . فالكنيسة ليست مرتبطةً بأيّ نظام سياسيّ [١٨] . كلّ ما هو مطلوب من الدولة هو أن تصون وتعزّز حقوق الإنسان التي لا يجوز المساس بها وأن تنشئ الظروف الملائمة لنموّ الحياة الدينيّة (الفقرة ٦) . والكنيسة تؤكّد إيمانها بأنّ الله انتدبها بنوع خاصّ للذود عن الحقيقة ، وأنّ هذا الانتداب يتطلّب الحرّيّة . ومن الواضح أنّ الكنيسة لا تطلب من الحقوق أكثر ممّا يعود إليها باعتبارها جماعة من المؤمنين ، على أساس الحرّيّة الدينيّة العامّة [١٩] .

المجالات الأخرى " (انظر كتابه المذكور في الحاشية ١٦، ص ٦٧٣) . فمن أراد أن يقيم وزنًا لما تضمّنته إدانة المواقف الليبراليّة من قبل السلطة البابويّة السالفة ، عليه بالإكباب على مساهمة :

R. Aubert, " Das Problem der Religionsfreiheit in der Geschichte des Christentums ", in : H. Lutz (ed.), *Zur Geschichte der Toleranz und Religionsfreiheit* (Wege der Forschung 246). Darmstadt 1977, 422-454.

[١٨] قابل الوثيقة في الكنيسة في عالم اليوم " فرح ورجاء " ، ٧٥-٧٦ .

[١٩] إنّ الوثيقة تصرّح : " وهكذا تتّفق حرّية الكنيسة وهذه الحرّيّة الدينيّة التي يجب أن يُعترف بها حقًّا لكلّ الناس ولكلّ الجماعات ، وأن تُثبّت في النظام التشريعيّ " (فقرة ١٣) . وهكذا فإنّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣) والكنيسة ، إذ تعترف اعترافًا لا التباس فيه ، بالحرّيّة الدينيّة كمبدإ قانونيّ ، فهي لا تتخلّى بأي حال من الأحوال ، عن تأكيدها بأنّ الإيمان الكاثوليكيّ ينطوي على الحقيقة ، كما أنّها لا تقلّل من شأن الواجب الملقى على كاهل كلّ شخص بالبحث عن الحقيقة واعتناقها .

" إنّ الله ذاته أوحى للبشر الطريقة التي يستطيعون بها ، طاعةً له ، أن يبلغوا الخلاص وينالوا البركة بالمسيح . ونحن نؤمن أنّ هذا هو الدين الوحيد الحقيقيّ وأنّه لا يزال قائمًا في الكنيسة الرسوليّة الكاثوليكيّة ... ومن واجب جميع الناس أن يبحثوا عن الحقيقة ، لا سيّما تلك التي تتعلّق بالله وكنيسته ، وأن يعتنقوها ويثبُتوا فيها عندما يجدونها " (الفقرة ١ ؛ راجع أيضًا ٢) .

والبيان ، إذ يُصرّ على واجب الإنسان في البحث عن الحقيقة واعتناقها والتمسّك بها ، لا يناقض نفسه ، لأنّه يميّز بوضوح بين النظام القانونيّ من جهة ، والواجبات المعنويّة من جهة أخرى . فهو عندما يتحدّث عن واجب البحث عن الحقيقة والثبات فيها ، إنّما يشير دائمًا إلى واجب أخلاقيّ . وهكذا فهو لا يمسّ ما للشخص البشريّ من حقّ مستقلّ في الحرّيّة الدينيّة ، بل يحرّم البيان كلّ تدخّل للحدّ منه ، سواءٌ أتمّ هذا التدخّل على يد أشخاص أم على يد السلطات السياسيّة .

والمجمع هو أوّل مَن يؤكّد أنّه لا يجوز الفصل كلّيًا بين التنظيم الشرعيّ والنظام الخلقيّ ، مع أنّه يعلن أنّ بينهما فارقًا واضحًا ، من حيث المضمون ومن حيث الغاية . فبما أنّ القانون ليس مرتبطًا بالخلاص الأبديّ للإنسان ولا بالكمال الخلقيّ للشخص البشريّ ، إنّما يُعنى بالتنظيم الخارجيّ

إدانة الفصل بين الكنيسة والدولة ، كما نطق بها بتأكيد البابا لاون الثالث عشر ، قد ألغيت على أساس الحرّيّة الدينيّة وفي قرائنها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للحياة الاجتماعيّة ، فهو ليس في المقام الأوّل نظامَ فضيلة وحقيقة ، بل نظام سلام وحرّيّة . فإذا فهمنا النظام التشريعيّ على هذا النحو ، توقّعنا منه أن يمكّن كلّ فرد بشريّ من أن يعيش وفقًا للحقيقة كما يراها بعقله أو يعتنقها بالإيمان ، وهكذا " يعمل " على خلاصه الأبديّ .

وبالتالي ، فإنّ الاعتراف القانونيّ بحقّ كلّ إنسان في الحرّيّة الدينيّة ليس إلاّ تحديدًا لهذا النوع من الحرّيّة وحمايته من تدخّل الأشخاص الآخرين وسلطة الدولة . فهو لا يشكّل ولا يبرّر ، بأي حال من الأحوال ، إعفاءَ الشخص من الالتزامات الأدبيّة ومن المسؤوليّة إزاء الله وإزاء الحقيقة . بل على النقيض من ذلك ، إنّه يفترض هذه الالتزامات وهذه المسؤوليّة . والبيان بشأن " الكرامة الإنسانيّة " يضمن للإنسان الإمكانيّة المستقلّة بأن يعبد الله ويخدمه وفقًا لصوت ضميره ، وأن يعلن فرديًّا وجماعيًّا إيمانه أو يمتنع عن إعلانه ، وأن يتخلّى عن دينه ويعتنق دينًا آخر أو ينتمي إلى الجماعة الدينيّة التي يختارها بملء حرّيّته وإرادته ، كما أنّ البيان يحمي له هذه الإمكانيّة .

(٤) إنّ التعليم الكاثوليكيّ في هذا العصر ينزع إلى اعتبار القانون جزءًا من علم الأخلاق الذي يُعنى بالعلاقات الإنسانيّة بين بني البشر وينظّمها من الناحية الخارجيّة باعتبارها حقًّا مُكتسَبًا . أمّا البيان فيبرز ناحيةً أخرى وهي أنّ رَبْط النظام العامّ بدين معيّن من الأديان بحيث يصبحان واحدًا ، لا يمكن إلاّ أن يكون أمرًا عرضيًّا ، غير ضروريّ بتاتًا . ذلك أنّ إقدامَ الدولة على الدعم القانونيّ لهذه الوحدة يقضي على الحرّيّة الدينيّة أو على الأقلّ يحدّ من مداها . هذه الأفكار ينطوي البيان عليها ضمنًا . ففي الظروف والإمكانات التي تسود مجتمعات اليوم ، سواء أخذنا كلّ دولة على حدة ، أو شملنا في اعتبارنا سائر الدول ، لا يمكن عمليًّا ضمان الحرّيّة الدينيّة ، إلاّ إذا تخلّينا عن رَبْط الدين بالدولة قانونيًّا .

(٥) على أساس هذا التمييز بين المجال الخلقيّ والمجال القانونيّ ، فإنّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التعليم التقليديّ الكاثوليكيّ من أنّه لا يجوز قانونيًّا أن يتساوى الحقّ والباطل، يمكن توفيقه مع الاعتراف بالحرّيّة الدينيّة. أجَل، يصحّ دائمًا أن يقال إنّ الإنسان مقيَّد بمطالب الحقيقة الخلقيّة والدينيّة. وكلّ إنسان أخلاقيّ يقبل بهذا الموقف. إنّما يبدأ الإشكال - وكثيرًا ما حدث ذلك في التاريخ - كلّما نُقلت المبادئ السائدة في المجال الأدبيّ إلى المجال القانونيّ على حالها، الأمر الذي جرّ أوخم النتائج على الحرّيّة. وذلك يبرّر ما يقوله بوكنفوردِه في تعليقاته على البيان في "الكرامة الإنسانيّة"، التي غالبًا ما نستشهد بها في هذا البحث:

"يتعذّر الدفاعُ عن التعليم التقليديّ الكاثوليكيّ السابق بشأن التسامح، لا بسبب مبادئه، فهي صحيحة، بل لأنّه تمّ نقلُ هذه المبادئ على حالها من الميدان الخلقيّ إلى الميدان القانونيّ"[٢٠].

(٦) إذا نظرنا إلى الحرّيّة الدينيّة من الزاوية القانونيّة، لا بدّ من أن نثير مسألة حدودها التي تنشأ من ضرورة إيجاد مجتمع مدنيّ مسالم. وإلاّ انتَفت، كما قدّمنا أعلاه عندما حدّدنا التعدّديّة. لكن عمليًّا ليس من السهل أن نقرّر ما حدودُها. فالمجمع هنا - وهذا يشرّفه - لا يلجأ إلى مفهوم غيبيّ، كمفهوم "الدين الصحيح" الذي ذكرناه آنفًا. فالبيان يتحدّث هنا عن واجب كلّ طرف في المجتمع تجاه "الخير العامّ" الذي يحدّده البيان بكلمات أكثر دقّة حيث يقول: "إنّ الخير العام للمجتمع هو مُجمَل ظروف

---

[٢٠] راجع Böckenförde, Münster 1968, 13. لذلك تستطيع الوثيقة أن تستخلص بحقّ: "وبما أنّ الحرّيّة الدينيّة التي يُطالب بها الناس في أداء واجب العبادة لله، تعني البُعد عن الضغط في المجتمع المدنيّ، فهي لا تلحق أيّ تنقّص بالتعليم الكاثوليكيّ التقليديّ في موضوع ما يقع على الأفراد والجماعات من واجب أدبيّ تجاه الديانة الحقيقيّة وكنيسة المسيح الواحدة" (فقرة ١).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحياة الاجتماعيّة التي تمكّن الناس من تنمية كفاءاتهم الذاتيّة على وجه أكمل وأسهل . وهو يقوم خصوصًا على صيانة حقوق الشخص البشريّ وواجباته " (الفقرة ٦) .

وكحدّ عامّ خلقيّ للحرّيّة الدينيّة يضع المجمع مبدأ المسؤوليّة الشخصيّة والاجتماعيّة . وعليه ، يرى المجمع أنّه ينبغي على الأفراد والفئات الاجتماعيّة الفرديّة أن تحترم حرّيّة الآخرين وتقوم بواجباتها إزاء الآخرين وتصون الخير العامّ (الفقرة ٧) . ومن واجب السلطة المدنيّة أن تسهر على الحدود القانونيّة للحرّيّة الدينيّة وأن تدرأ عنها كلّ اعتساف . وفي هذا الصدد يستعمل البيان تعبير " النظام العامّ " ، وهو يقوم ، من جهة ، على التقاليد والأعراف المرعيّة في البلد . لكنّ الحرّيّة الدينيّة ، من جهة أخرى ، بحُكم اعتراف الدستور بها ، تشكّل جزءًا من " النظام العامّ " ولا بدّ من حمايتها من أيّ انتهاك . وبالتالي فالاعتبار الأساسيّ إنّما يعني : كلّ ما هو ضروريّ للمحافظة على التعايش السلميّ المنتظم ، كلّ ما يمكّن من ضمان الحرّيّة ذاتها لكلّ إنسان ولجميع الناس .

والبيان يعي تمام الوعي حاجتَه إلى أن يقرّب مفهوم " النظام العامّ " من الأذهان ، تقريبًا عمليًّا . فالنظام العامّ لا يستطيع أن يزدهر بدون احترام القانون الخلقيّ وبدون الجهود التربويّة الرامية إلى إحلال هذا الاحترام ، ومنها : الحماية القانونيّة الفعّالة لصيانة ما لكلّ شخص ولجميع الناس من مصالح وحقوق . والسلام العامّ في جوّ من العدالة . وحماية الأخلاق العامّة . لكن هنا لا بدّ من الاحتياط لئلاّ يتذرّع بعضهم بمبدإ النظام العامّ لتقويض المبدإ الذي يوجب إعطاء الناس أكبر قدر ممكن من الحرّيّة ، فلا يتمّ تقييدها إلاّ عند الضرورة وبقدر ما هو ضروريّ " (الفقرة ٧) .

(٧) وعليه ، فإنّ حرّيّة الدين ليست ترخيصًا عامًّا للسلوك المتعصّب المتضارب مع السلام الاجتماعيّ ، الذي تسلكه – مثلاً – بعض الطوائف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والفئات الدينيّة أو الدينيّة السياسيّة المتطرّفة . لذا كان لا بدّ من اللجوء إلى مبدإ ما يمكن أن يُطاق اجتماعيًّا الذي يقوم على أساس الحرّيّة القانونيّة الواحدة للجميع . فالبيان يفترض إذًا ألاّ تتضارب الفئات الدينيّة المتنوّعة التي تشكّل المجتمع التعدّديّ . لكن هل لكلّ فئة دينيّة حتمًا هذا الاستعداد للتعايش الاجتماعيّ مع الآخرين ؟ جانب كبير من الجواب يبقى رهنًا بمفهوم كلّ فئة دينيّة للدين ، وكيفيّة تحديدها له بالنسبة إلى الواقع الاجتماعيّ والاجتماعيّ السياسيّ عمومًا . وممّا يقوله بوكنفوردِه مُصيبًا في هذا الشأن : ليست كلّ عقيدة جدّيّة مُخلصة ذاتيًّا ومتعلّقة بالأمور المصيريّة الأخيرة للوجود البشريّ ، ولا قواعدُ العمل المنبثقة من تلك العقيدة تنسجم حتمًا مع المقتضيات الاجتماعيّة . فلا يسوغ لنا إذًا أن نفترض بسذاجة أنّ النظام الاجتماعي يتبع بصورة آليّة أو شبه آليّة القناعات الدينيّة الذاتيّة أو ينبع منها [٢١] .

(٨) من السذاجة أيضًا ألاّ نتوقّع مشاكل وتوتّرات مستمرّة في ما يُبذَل من جهود لبناء النظام العامّ استنادًا إلى القناعات الذاتيّة التي يعمل بها الجميع ضميريًّا . وهنا ينفتح أمامنا مجال واسع للحوار بين جميع الفئات التي يتألّف منها المجتمع الحديث ، على الصعيد القوميّ أو العالميّ ، لا سيّما بين المسلمين والمسيحيّين . وممّا يمكن أن يرمي إليه هذا الحوار من جهة أولى ، هو أن نحدّد ، من جديد ، الشروطَ التي ينبغي أن تتوفّر في النظام العامّ ليكون مُلزِمًا للجميع وينال حماية الجميع . ومن جهة ثانية ، أن نساعد شتّى الجماعات الدينيّة التي يتألّف منها المجتمع التعدّديّ ، على أن تستنبط – كلٌّ منها وفقًا لتقليدها الإيمانيّ الخاصّ – المبرّر الخلقيّ الذي يمكّنها من الذود عن المصالح المشتركة للمجتمع التعدّديّ المدنيّ المعيّن . فالتغييرات المطلوبة لتطبيق

---

[٢١] راجع : Böckenförde, Münster 1968, 15-16 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقوق الإنسان والنهوض بمسؤوليّة إحلال السلام على النطاق الوطنيّ والدوليّ ، لا يمكن أن تتحقّق ضدّ الأديان ، بل فقط بالتعاون معها .

لكنّه من الثابت ، كما يؤكّد كونغ (H. Küng) بحقّ في كتابه " المسؤوليّة الشاملة : مشروع أخلاقيّات عالميّة جديدة " ، من الثابت أنّ الحوار ، إذا اكتفى بالسعي إلى مجرّد الإجماع القانونيّ في المجتمعات التعدّديّة ، لن يكون كافيًا : " لا ريب في أنّ الدولة الديموقراطيّة الحرّة يجب أن تكون محايدة في نظرتها إلى العالم ، غير أنّها مع ذلك تحتاج إلى إجماع أساسيّ أدنى حول بعض القِيَم والقواعد والمواقف الخاصّة ، لأنّه ، بدون هذا الإجماع الأدبيّ الأساسيّ ، يتعذّر قيامُ مجتمع جدير بالحياة . ينجم عن ذلك أنّه ... لا يمكن لمجتمع إنسانيّ خال من الأخلاق أن يستمرّ في البقاء " [٢٢] .

وعلى جدول أعمال حوارٍ مسيحيّ إسلاميّ في هذا الصدد ، أن يشمل المسألة التالية : " إلى أيّ مدىً يستطيع المسيحيّون والمسلمون ، باعتبارهم مواطنين في دول معيَّنة ، ومتساوين في الرعويّة ، أن يبلغوا على نطاق شاملٍ إجماعًا أدبيًّا في أخلاقيّة لا تتجزّأ تربط بين الناس وتكون ملزِمة لِلبشريّة جمعاء [٢٣] ؟ " إنّ هذا المشروع بدوره ينبغي أن يأخذ في حسابه ، أنّ مثل هذا الحوار لا بدّ أن يكون منسجمًا أعمق انسجام مع الحقيقة الدينيّة التي يعترف بها المتحاورون ويشهدون لها في إيمانهم ، بل عليه أن ينبع منها حتمًا .

وهذا يقودنا إلى البحث في كيف أنّ الكنيسة تعتزم أن تعبّر عن تأكيدها امتلاكَ الحقيقة وعن الشهادة لها ، وفقًا للشروط والروح الواردة في بيان " الكرامة الإنسانيّة " وللظروف السائدة في المجتمعات الحديثة المتشرّبة من

---

[٢٢] الطبعة الثانية ، مونخن ، ١٩٩٠ ، ص ٤٥-٤٦ .

[٢٣] راجع : H. Küng, *Global Responsibility in Search of a New World Ethics*, London 1991, 27 ss.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التعدّديّة .

٣- الكنيسة تشهد للحقيقة بالرسالة التبشيريّة

تساءلنا آنفًا : هل في استطاعة الكنيسة ، باعتبارها مؤتمَنة على الحقيقة الموحاة التي هي يسوع المسيح ، أن تؤكّد بإخلاص أنّها منفتحة على جميع الأديان المماثلة الأخرى ، بل أنّها بحاجة إليها وإلى ما يؤكّده كلّ واحد منها من أنّه حامل رسالة وحقيقة ؟

٣-١ هدف الرسالة التبشيريّة وطبيعتها

رأينا سابقًا أنّ " الرسالة " كلمة كتابيّة (متّى ٢٨: ١٦-٢٠/ مرقس ١٦: ١٤-١٩/ لوقا ٢٤: ٣٦-٤٩/ يوحنّا ٢٠: ١٩-٢٩/ أعمال ١: ٦-١١) وأنّها جزء من أساس الكنيسة . فمنذ بدء الحركة التبشيريّة العظمى في الحقبة الحديثة ، أخذ الناس يتكلّمون على " الإرساليّات " (بصيغة الجمع) بدلاً من " الرسالة " . وأخذوا يركّزون الانتباه على " الإرساليّات " وعلى البلدان التي تنظّمها ، أي البلدان المعروفة تقليديًّا بأنّها مسيحيّة . فهذه كانت ترسل مبشّرين لنشر الإنجيل بين الشعوب " غير المسيحيّة " . وقد عُهِدَ بهذه المهمّة إلى الرهبنات (الكاثوليكيّة) التبشيريّة وإلى المؤسّسات (البروتستانتيّة) التبشيريّة أيضًا .

وهكذا نرى أنّ الوعي الجديد في الكنيسة ليس إلاّ استعادةً لما كان عليه في القرون الغابرة الأولى . فالكنيسة منتشرة في كلّ مكان ، وهي دائمًا أبدًا في حالة التبشير . ذلك أنّ " نشر الإنجيل ... هو النعمة المعطاة للكنيسة والمهمّة المميِّزة لها . إنّها تشكّل هُوِيّتها العميقة . الكنيسة وُجِدَت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتبشّر " [٢٤] . وبالتالي فإنّ رسالة الكنيسة تبقى على حالها في كلّ مكان . إنّها دعوة جميع الكنائس المحليّة الشقيقة ، التي تؤلّف الكنيسة الواحدة الجامعة .

الغاية من إنشاء الكنيسة هي إذًا التبشير أي نشر البشرى ، الخبر السارّ ، إنجيل يسوع المسيح . أي أن تجعل سرّ يسوع المسيح حاضرًا ، مرئيًّا ، فعّالاً ، بالكلمة وبالعمل . لكن إذا كان هدف الرسالة هو التبشير ، " فلا بدّ من التساؤل : ما هو التبشير ؟ ما هي النشاطات الكنسيّة التي تفترضها رسالة الكنيسة التبشيريّة بطبيعة حالها ؟ هل يعني التبشير مجرّد الوعظ وإعلانَ الإنجيل وحثَّ الآخرين على أن يرتدّوا إلى يسوع المسيح ويصبحوا تلاميذًا له في الكنيسة ؟ أم أنّ التبشير ينطوي على معنى أشمل : إذا حدّدْنا من نطاقه ، حكَمْنا على رسالة الكنيسة بالشلَل ؟ " [٢٥] .

٣-٢ الرسالة التبشيريّة تتضمّن عناصر عضويّة جوهريّة ، منها تعزيز العدالة ودعم الحوار بين الأديان

ليس هذا المقام ملائمًا لعرض التطوّرات الحديثة نسبيًّا ، التي طرأت على المفهوم الضيّق للتبشير . فقدكان ذلك المفهوم ينحصر قبلاً في الوعظ وإعلان الإنجيل ، ثمّ غدا مع التطوّر يتضمّن فكرةً أوسع ، تشمل أنشطة أخرى ، كالنموّ البشريّ والكفاح الأصيل في سبيل العدالة وحتّى الحوار

---

[٢٤] رسالة البابا بولس السادس " التبشير بالإنجيل " في عالم اليوم (١٩٧٥/١٢/٦) ، فقرة ١٤ .

[٢٥] راجع ص ٤٠٩ من مقال :

J. Dupuis, " Evangelizzazione, i.e. Emissione ", in R. Latourelle - R. Fisichella (ed.), *Dizionario di Teologia Fondamentale*. Assisi 1990, 406-415.

أمّا السؤال كيف حصل أنّ مفهوم بشارة الإنجيل اليوم في تعليم الكنيسة قد تطوّر تدريجيًّا بحيث عاد واقترب من أصول نشأة الكنيسة واكتسب غنًى إضافيًّا عبر خبرة التاريخ وبصائره ، فهذا ليس موضوع بحثنا في هذا المقام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بين الأديان ، فأصبحت هذه المجالات الجديدة تشغل مكانًا مشروعًا في الرسالة التبشيريّة .

وممّا يُذكر أنّ البابا يوحنّا بولس الثاني لفت الانتباه مرارًا وتكرارًا في تعليمه إلى الصلة الوثيقة التي تربط التبشير بتعزيز العدالة . حتّى في رسالته العامّة الأولى " مخلّص العالم " (١٩٧٩) أوضح البابا أنّ هذا الاهتمام بالإنسان " يُعتبَر عنصرًا جوهريًّا لا يمكن فصله عن رسالة الكنيسة " [٢٦] . وقال " إنّ الإيمان الوطيد الذي يحمله أتباع الأديان غير المسيحيّة هو نتيجة لفعل روح الحقّ الذي يعمل خارج الحدود المرئيّة لجسد المسيح السرّيّ " . ويساند البابا كلّ فكرة تدعو إلى التقارب الوثيق بين الطرفين ، بالحوار والاتّصالات والصلاة المشتركة والبحث في كنوز الروحانيّة الإنسانيّة ، التي لا يخلو منها أتباع تلك الأديان " [٢٧] . وتماشيًا مع تعليم آباء الكنيسة على اختلاف مشاربهم ، فإنّ البابا يرى في مختلف الأديان " نوعًا من انعكاسات الحقيقة في بذور الكلمة " ، وكلّها يشهد أنّ الطرُق ، وإن اختلفت ، إلاّ أنّها تؤدّي كلّها إلى هدف واحد ، يتوق إليه الإنسان من أعماق قلبه ، كما يتّضح ذلك من بحثه الحثيث عن الله ومن سعيه الدائب إلى تحقيق ملء إنسانيّته " [٢٨] . وبذلك يدعو البابا إلى الاعتراف بالحضور الإيجابيّ لروح الله في مؤمني الأديان الأخرى ، كما أنّه يُرسي الأساس اللاهوتيّ لأهمّيّة الحوار مع الأديان الأخرى في رسالة الكنيسة .

هنالك وثيقة صدرَت عام ١٩٨٤ عمّا كان يسمّى في ذلك الحين أمانة السرّ لغير المسيحيّين ، بعنوان : " موقف الكنيسة الكاثوليكيّة من مؤمني

---

[٢٦] الفقرة ١٥ .

[٢٧] الفقرة ١٢ .

[٢٨] الفقرة ٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأديان الأخرى : خواطر وتوجيهات بشأن الحوار والرسالة " . وهذه الوثيقة تنطوي على تعليم البابا بشأن العمل في سبيل العدالة والعلاقات بين الأديان ، خصوصًا في ميدان التبشير [٢٩] . وممّا جاء في هذه الوثيقة " أنّ رسالة الكنيسة هي واحدة ، غير أنّ أساليب النهوض بها تختلف باختلاف الظروف السائدة (١١) . وتورد الوثيقة خمسة عناصر رئيسيّة " لتلك الحقيقة الواحدة والمعقّدة في آن " ، التي هي الرسالة التبشيريّة للكنيسة : ١) حضور الشاهد ؛ ٢) مساهمته في خدمة الإنسان أي عمله في مجال التطوّر الاجتماعيّ والتحرّر البشريّ ؛ ٣) الحياة الطقسيّة (الليتورجيّة) والصلاة والتأمّل ؛ ٤) الدخول في الحوار مع الأديان الأخرى ؛ ٥) الوعظ أي إعلان البشارة والتعليم الدينيّ (١٣) [٣٠] .

٣-٣ الكنيسة تواصل رسالة المسيح

أدّى يسوع رسالته التبشيريّة ليس بكلامه فحسب ، بل أيضًا بأفعاله وأعماله . والواقع أنّ حياته البشريّة كلّها ، التي انتهت بموته وقيامته ، كانت رسالته [٣١] . فإن كنّا نرغب في أن نفهم رسالة يسوع وبالتالي

---

[٢٩] الفقرة ١١ . وقد نُشرت هذه الوثيقة في دار المكتبة البولسيّة ، جونية ١٩٩٣ .

[٣٠] الفقرة ١٠ . إنّ دوبوي (راجع ص ٤١١ من كتابه المذكور في الحاشية ٢٥) ، يلاحظ ناقدًا : إنّ جميع عناصر النشاط الرسوليّ " هي أشكال من البشارة ، ولكن ليس لجميعها المقام عينه في نشاط الكنيسة الرسوليّ . فالحوار بين الأديان مرحلة سابقة للبشارة . وليس من المهمّ أن يحصل بالفعل تواصل الحوار والبشارة ، المهمّ أنّ مسيرة البشارة لا تتبسّط إلاّ عندما تتبع البشارة الحوار ، إذ إنّ البشارة وتقبّل الأسرار هما قِمم تلك الرسالة التي عهد بها إلى الكنيسة بالنسبة إلى البشارة بالانجيل " .

[٣١] هكذا لخّص مثلاً الإنجيل حسب مرقس حياة يسوع كلّها وتعليمه ، كما شهد له فيه ، تحت عنوان : " إنجيل يسوع المسيح " (مرقس ١ : ١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسالة كنيسته التبشيريّة ، وجب علينا أن ننظر ليس فقط في كلام يسوع وأعماله ، بل أيضًا في حياته برمّتها : مواقفِه ، اختياراتِه ، أساليبِ نظرته إلى الأمور . هذه كلّها هي التي تميّزه وتضعه في مكانة فريدة . فهذه المواقف والاختيارات والطرق ، التي كان يسوع ينظر بها إلى الأمور ، هي التي ينبغي أن تميّز الرسالة التبشيريّة المنوطة بالكنيسة .

" إنّ يسوع يتّخذ موقفًا صريحًا في معارضته تمسّكَ الكتبة بحرفيّة الشريعة ، وتبريرَ الفرّيسيّين لأنفسهم ، وتقيُّدَ الكهنة وخدّام الهيكل بالمراسم الخارجيّة للعبادة . وهو لا يخشى أن يعارض الذين يمارسون السلطة تعسّفًا ، حتّى لو كانوا الرؤساءَ الروحيّين لبلده . وهو يرفض كلّ مظهر من مظاهر التمييز الاجتماعيّ ويؤثر التضامن مع الفقراء والمظلومين والمرذولين . وهو يعلن أنّ البشرى موجّهة إليهم هم قبل سواهم . أجَل ، ليس يسوع بالرجل السياسيّ الثائر ، ومع ذلك فلا شكّ في أنّ لحياته وموته بُعدًا سياسيًّا ، بقدر ما كانت مواقفه تشكّل تحدّيًا وتهديدًا لكِلتا السلطتَين الدينيّة والسياسيّة . وهذا التهديد عينه هو الذي أوصله إلى عذاب الصلب " [٣٢] .

وهكذا يتبيّن أنّ الإنجيل الاجتماعيّ هو جزء من ملكوت الله . ومن ثَمَّ فإنّ تعزيزَ العدالة والتحرّرَ البشريّ هما جزءٌ جوهريّ من رسالة الكنيسة . فلا يجوز والحالة هذه أن تُنتَقص هذه الرسالة وتُحصَر في إعلان الخلاص بيسوع المسيح أو في مجرّد التبشير بالمعنى الضيّق .

وخلافًا للمعنى الظاهريّ لبعض المقاطع الإنجيليّة إذا عُزِلَت عن سياق الحديث (راجع مثلاً متّى ١٥: ٢٤ و ١٠: ٥-٦) ، فإنّ شواهد الإنجيل تصوّر لنا يسوع بمواقف تُجيز لنا أن نعتبر استعداد الكنيسة للتحاور مع سائر الأديان جزءًا عضويًّا من رسالتها التبشيريّة :

---

[٣٢] دوبوي (عنوان كتابه في الحاشية ٢٥) ، ص ٤١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" إنّ يسوع يُعجَب بإيمان قائد المئة الرومانيّ ويذهب إلى حدّ القول إنّه لم يجِد مثل هذا الإيمان في إسرائيل (متّى ٨: ٥-١٣) . ويصنع مُعجزات للأجانب (مرقس ٧: ٢٤-٣٠/ متّى ١٥: ٢١-٢٢) . ويتحدّث مع سامريّة ويقول لها : ستأتي ساعة يعبد فيها العابدون الحقيقيّون الآبَ بالروح والحقّ (يوحنّا ٤: ٢٣) . ففي نظر يسوع ، إنّ ملكوت الله الذي يقوم بإحلاله في العالم أصبح حاضرًا وهو يعمل في ما وراء حدود الشعب المختار . وفي الواقع ، يعلن يسوع بصريح العبارة دخول الوثنيّين في ملكوت الله (متّى ٨: ١٠-١١ و ١١: ٢٠-٢٤ و٢٥: ٣١-٣٢) ، وهو ملكوت تاريخيّ ومَعاديّ في آن "[٣٣] .

٣-٤ هدف الحوار بين الأديان وتحدّياته

إنّ الحوار بين الأديان هو إذن جزء أصيل من الرسالة العامّة للكنيسة ، لا مجرّد عنصرٍ خارجيّ أو طريقة مفيدة للتبشير بالإنجيل . " فالمسيحيّون يلتقون مؤمنين من سائر الأديان بغية التقدّم معًا في البحث عن الحقيقة والتعاون في الميادين ذات المصلحة المشتركة " (١٣) [٣٤] . وفي هذا الحوار يُطلَب من المسيحيّين وسواهم أن يرتدّوا إلى الله على نحوٍ أعمق ، إذ ليس هدفُ الحوار ردَّ غير المسيحيّين إلى الدين المسيحيّ والازديادَ العدديّ للجماعة المسيحيّة ، بل الاغتناء المتبادل والمشاركة الروحيّة مع الذين لا ينتمون إلى ديننا .

فالحوار والتبليغ يمثّلان جانبَين مختلفَين من الرسالة التبشيريّة للكنيسة ، لأنّ لهما أهدافًا متميّزة . ولئن كان لا يسوغ لنا أن نعتبر الحوار الدينيّ مجرّد وسيلة للتبشير ، إلاّ أنّه يبقى مفتوحًا لهذا الاحتمال .

---

[٣٣] دوبوي ، ص ٤١٤ .

[٣٤] حوار وبشارة ، فقرة ١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وللحوار مقتضيات داخليّة ، إذا فقدها تعذّر عليه أن يكـون حقيقيًّـا أو أصيلاً . ومنها أنّ الواجب يُلزِم كلَّ طرف من الأطراف ، بقدر المستطاع ، أن يدخل الخبرةَ الدينيّة للطرف الآخر لكي يفهمه مـن الداخـل . هـذا لا يعني أنّه ينبغي علينا أو أنّنا نستطيع ، ولو موقّتًا ، أن نضع إيماننـا جانبًـا . بل العكس هو الصحيح ، إذ إنّ الصدق والنزاهة يقتضيان من مختلف الأطـراف أن يلتزموا بالحوار وكذلك بوفائهم الكامل لدينهم .

" إنّ الشكّ المنهجيّ والإضمارات الذهنيّة والمساومة على الإيمـان الفعلـيّ أو الانتقاص من مضمونه الحقيقيّ ، ذلك كلّه غـير وارد في هـذا المجـال . فالإيمان الأصيل لا يُجيز التوفيقيّة ولا الانتقائيّة . فهو لا يحاول أن يُخفـي التناقضات الممكنة بين شتّى المعتقدات الدينيّة ، بل يسعى إلى أن يتفهّمها بأناة في ظروفها الواقعيّة الراهنة . فالتغطية المتعمَّدة إنّما تضـاهي الغـشّ وتـؤول في النهاية إلى عكس ما يتوخّـاه الحـوار ... وإذا وضعنـا جانبًـا المجابهـات التي يمكن أن تحدث في باطن كلّ امرئ بين الجوانب المتناقضـة لمعـتقَدَين مشترَكَين ، فإنّ كلّ معتقَد دينيّ يشكّل وحدةً لا تتجزّأ ويفترض الالـتزام التامّ . ويبدو من المستحيل بداهةً أن تتمّ المشاركة في هذا الالـتزام المطلـق – أو أن يُقسَم هذا الالتزام ، إن جاز لي التعبير – بين دينَين مختلفَين [٣٥] .

ولمّا كان روح الله هو الذي يعمل داخلَ كلٍّ من الطرفَين المشاركَين في الحوار الدينيّ ، فلا يجوز أن نفهم هذا الحوار إلاّ بمثابـة عطـاء وأخـذ . أمّا كون الكنيسة تلقّت ملء الوحي في شـخص يسـوع المسيح ، فليس هو ذريعة تعفيها من الإصغاء . ذلك أنّ المسيحيّ لا يحتكر الحقيقـة ، بـل عليه أن يدع الحقيقة تستملكه على نحو أكمل . والطرف الآخر في الحـوار –

---

[٣٥] راجع ص ٣١٤ في مقال :

J. Dupuis, " Dialogo interreligioso ", in : R. Latourelle - R. Fisichella (ed.), *Dizionario di Teologia Fondamentale*. Assisi 1990, 310-317.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتّى لو لم يسمع بالوحي الذي به كشف الله عن نفسه في شخص يسوع المسيح – قد يتأثّر تأثّرًا أكبر بهذه الحقيقة التي لا يزال يبحث عنها وبروح المسيح الذي يُشرق نورُه في باطنه [٣٦] . ذلك أنّ الحوار في الواقع يمكّن المسيحيّين وغير المسيحيّين من التقدّم معًا في المسيرة إلى الحقيقة [٣٧] .

إنّ المسيحيّين مدعوّون – أسوةً بسواهم من بني البشر – أن يستجيبوا إلى دعوتهم الإنسانيّة بأعمق ما فيها وأن يساهموا في نموّ الأشخاص والجماعات ، أي إنّهم بذلك يصيرون "جماعة مؤلّفة من جماعات" [٣٨] . وبهذه الطريقة فإنّ اللقاء بين المسيحيّين وسواهم من أتباع الأديان أو النظريّات الأخرى ، يغدو المقامَ الملائم الذي فيه تتمّ المشاركة في التاريخ الروحيّ . وعلى الرغم من تنوّع الثقافات الدينيّة فإنّ بني البشر يتداعون كشركاء لإجراء حوار أو للقيام بعمل مشترك بهدف التنقية والنقد ، وهذه العمليّة تؤثّر في الأبعاد الاجتماعيّة والبِنيويّة للحياة . وهكذا سيسير بنو البشر في سبيلٍ يفضي بهم إلى تحقيق دعوتهم الإنسانيّة ، التي تقوم على الدخول – بتصميمٍ متزايد – في "نظام" المحبّة التي تعطي ذاتَها ، أو في "قانون" هذه المحبّة . وهذا بالضبط هو السبيل الذي شرّعه روح الله .

إنّ يقين المسيحيّين من أنّ دعوة جميع البشر تحقّقت ، على نحو لا يُجارى ، في شخص يسوع المسيح ، وأنّ الروح القدس يقود الكنيسة تدريجيًّا إلى الدخول في حقيقة المسيح الكاملة ، إنّ هذا اليقين هو الذي يطبع إيمان الكنيسة بطابعها المسيحيّ المميِّز . غير أنّ جميع الناس ، سواء

---

[٣٦] قابل وثيقة المجمع الفاتيكانيّ الثاني في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة ، فقرة ٢ .

[٣٧] حوار وبشارة ، فقرة ٤ .

[٣٨] قابل مقال محمّد الطالبي :

M. Talbi, " Une communauté de communautés. Le droit à la différence et les voies de l'harmonie ", in : *Islamochristiana* 4 (Rome 1978), 11-25.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أكانوا من المسيحيّين أم من غير المسيحيّين الذين يؤلّفون الأغلبيّة العظمى لبني البشر ، هم أيضًا مدعوّون – بطريقةٍ ما – الدعوةَ ذاتها ، وكأنّي بها تتحدّاهم أن يعيشوها في نطاق تقاليدهم الدينيّة الخاصّة .

٣–٥ روح يسوع هو الذي يوجّه الرسالة التبشيريّة للكنيسة ويحكم في جميع نواحيها

إنّ صورة يسوع ، كما يصفها الإنجيل ، تنطوي على جميع عناصر الرسالة . فالإنجيل يرينا يسوع في شتّى ظروف حياته : في الصمت ، في العمل ، في الصلاة ، في الحوار ، في التعليم . ولا يمكن الفصل بين رسالته من جهة ، وأعماله وبذله حياتَه حتّى الموت من جهة أخرى . ويسوع يعامل دائمًا محاوريه باحترام ومحبّة [٣٩] . إنّ الرسالة في " الكرامة الإنسانيّة " تطلب من الكنيسة " أن تتجنّب ، في رسالتها ، كلّ أسلوب في العمل من شأنه أن ينطوي ولو على مجرّد تلميحٍ بالإكراه أو على أيّ نوعٍ من الإقناع غير مشرِّف وغير لائق ، لا سيّما في معاملتها الفقراءَ أو غيرَ المثقّفين من الناس . وتصف الرسالة مثل هذا التصرّف بأنّه " تجاوز لحقوق صاحبه وخرق لحقوق الآخرين " [٤٠] . ويؤكّد البابا يوحنّا بولس الثاني ، في رسالته العامّة " رسالة المخلّص " لعام ١٩٩٠ ، أنّ المحبّة التي تستبين في التضامن مع الفقراء وقضيّتهم " تبقى القوّة الدافعة في الرسالة التبشيريّة ، وهي أيضًا المعيار الوحيد لمعرفة ماذا يجب أن يُفعَل أو ألاّ يُفعَل ، أن يُغيَّر أو ألاّ يُغيَّر . إنّها المبدأ الذي ينبغي أن يوجّه كلّ عمل ، والهدف الذي ينبغي أن يقود إليه

---

[٣٩] قابل حوار وبشارة ، فقرة ١٥ .

[٣٩] قابل حوار وبشارة ، فقرة ١٥ .

[٤٠] الوثيقة في الحرّيّة الدينيّة ، فقرة ٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلّ عمل " [٤١] .

كلّ من كان مطّلعًا على تاريخ الكنيسة وأنشطتها التبشيريّة يعلم أنّها ، لمّا كانت كنيسة الخطأة ، كان لا بدّ لها أن تتقاعس مرارًا وتكرارًا – وأحيانًا على الملأ – عن مستوى مُثُلها العُليا . لذا فإنّ البابا في رسالته ذاتها يطلب من الكنيسة ومبشّريها أن يؤدّوا شهادة التواضع ، أوّلاً إزاء أنفسهم ، بحيث تحملهم هذه الشهادة على محاسبة ضميرهم شخصيًّا وجماعيًّا ، فيُصلحون في سلوكهم كلّ ما يناقض الإنجيل ويشوّه وجه المسيح " [٤٢] .

٤ – المميِّزات الخاصّة للعلاقة بين الكنيسة والأمّة

رأينا كيف تعتزم الكنيسة ، في إتمام رسالة الشهادة للحقيقة الدينيّة ، أن تنظّم علاقاتها بالأديان الأخرى ، عندما تنهض برسالتها التبشيريّة ، التي فيها كان الحوار بين الأديان عنصرًا لا يتجزّأ من عناصرها . والواقع أنّ الكنيسة تعتقد أن ثَمّةَ علاقة خاصّة تربطها بالأمّة التي ينتمي إليها المؤمنون المسلمون .

٤–١ المجمع الفاتيكانيّ الثاني

بعد " قرون من النزاعات والمشادّات الكثيرة " [٤٣] ، قرّر المجمع الفاتيكانيّ الثاني في دستوره العقائديّ " نور الأمم " وبيانه في العلاقة بين الكنيسة

---

[٤١] من المنشور البابوي " رسالة المخلّص " ، فقرة ٦٠ . إنّ المقطع المذكور هنا مأخوذ عن عظة لإسحق الذي من ستلاّ (القرن الثاني عشر) : راجع *Patrologia Latina* 194, 1793 .

[٤٢] من المنشور البابوي " رسالة المخلّص " ، فقرة ٤٦ . قابل أيضًا المنشور الرسوليّ " إطلالة الألف الثالث " ، فقرة ٣٥–٣٦ .

[٤٣] الوثيقة في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة ، فقرة ٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأديان غير المسيحيّة ، أن يضع معيارًا نموذجيًّا للعلاقة التي يجب أن تقوم بين الكنيسة والأمّة ، فأرساها على أساس جديد . كما أصدر المجلس العالميّ للكنائس بيانات مماثلة باسم الكنائس المتّحدة فيه [٤٤] .

انطوت الفقرة الأولى من بيان " في عصرنا " على نظرة إيجابيّة لا مجال للشكّ فيها . وممّا جاء فيها : " في عصرنا الذي يتقارب فيه بنو البشر تقاربًا وثيقًا وتنمو فيه علاقات الصداقة بين الشعوب المختلفة ، تنعم الكنيسة النظر ، أوّل الأمر ، في ما هو مشترك بين الناس ومن شأنه أن يعزّز أواصر المودّة بينهم ". وهي تؤكّد بلا تحفّظ أمرًا واقعًا هو أنّ جميع الناس يؤلّفون جماعة واحدة ، تنحدر من أصل واحد وتسير نحو هدف واحد .

كما يؤكّد المجمع في " الدستور العقائديّ في الكنيسة " إيمانه بالتصميم الخلاصيّ الشامل الذي وضعه الله لأنّه يريد الخلاص لجميع الناس : " ويشمل التصميم الخلاصيّ أيضًا جميع من يعترف بالخالق ، لا سيّما المسلمين الذين ينتمون إلى إبراهيم في الإيمان ويعبدون معنا الإله الواحد الرحيم ، الذي سيدين البشر في اليوم الآخر " [٤٥] .

لا داعي لأن نورد هنا النصّ الكامل للفقرة الثالثة من بيان " في عصرنا " . فالكنيسة تُثني فيه على طاعة المسلمين لله في العبادة وما يبذلونه من جهود ليسلّموا الأمر كلّه " لقضاء الله الخفيّ " بلا تحفّظ ، على غرار إيمان إبراهيم ، كما تقدّر الكنيسة إكرامَهم ليسوع كنبيّ وتعظيمَهم لأمّه العذراء

---

[٤٤] قابل :

Guidlines on Dialogue with People of Living Faiths and Ideologies, ed. World Council of Churches. Geneva 1979, 4th printing revised 1990 ; *Ecumenical Considerations on Christian-Muslim Relations*. Geneva 1991.

هذا كان نصًّا أوّلاً للنقاط التي قُرّرت سنة ١٩٩٢ وطُرحت للدرس تحت عنوان :

Issues in Christian-Muslim Relations, Ecumemical Consideration.

[٤٥] الوثيقة في الكنيسة " نور الشعوب " ، فقرة ١٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحياتَهم التي يقضونها مترقّبين مجيء يوم الدين . كما تلاحظ الكنيسة أنّ المسلمين يحملون ، من حيث الإيمان والممارسة العمليّة ، تراثًا روحيًّا ومجموعةً من التعاليم الخلقيّة ، تعتبرها الكنيسة ، في عناصرها الرئيسيّة ، جوهريّةً في إيمانها وممارساتها .

لذا ، فهي تناشد الجميع بأن يقوموا ببدء جديد " وتحثّهم على بذل جهود مُخلِصة لإحراز تفاهم متبادل " ، كما تطلّب " حرصًا على مصلحة جميع الناس ، أن يعمل المسيحيّون والمسلمون على السواء ، لحماية السلام وتعزيز الحرّيّة والعدالة الاجتماعيّة والقِيَم الخلقيّة " [٤٦] .

٤-٢ البابا يوحنّا بولس الثاني

إنّ تعاليم البابا يوحنّا بولس الثاني في الإسلام نجدها في خُطَب كثيرة ألقاها في المقابلات التي منحها إمّا للمسيحيّين أو للمسلمين أو للمسيحيّين والمسلمين معًا ، وذلك منذ انتخابه أسقفًا على رومة في العام ١٩٧٨ .

وكان من شأن تلك الخُطَب أنّها ساهمت مساهمة عظمى في تعميق بيانات المجمع وتطويرها . والحقيقة ، كما يقول توما ميتشل : " أنّه يمكننا أن نؤكّد بلا مبالغة أنّه ما من بابا أولى مثلَ هذه العناية للعلاقات بين المسيحيّين والمسلمين كالبابا يوحنّا بولس الثاني . فسواء أفي الخطابات التي وجّهها للمسيحيّين الذين يعيشون بين المسلمين في آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط وأوروبّا ، أم في خطاباته الموجَّهة للمسلمين الذين التقاهم في الرحلات التي قام بها إلى شتّى الأقطار الإسلاميّة ، فإنّ البابا الحاليّ حاول أن يُرسِي أسُس الحوار الإسلاميّ المسيحيّ ومبادئ التعايش بين أتباع هذَين الدينَين

---

[٤٦] في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة ، فقرة ٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموحِّدَين [٤٧] .

بين العناصر المشتركة في الإيمان ، يركّز البابا يوحنّا بولس الثاني على ما يتعلّق بالشخص البشريّ . فكِلا الدينين يعتبر الله مصدرًا لكرامة الإنسان . وهذا ما يعبّر عنه الإسلام عندما يقول إنّ الإنسان " خليفة الله في الأرض " . وكلا الدينين يعتبر الله مصدرًا للحقوق والواجبات والقِيَم الإنسانيّة . والبابا يوحنّا بولس الثاني يقدّر القِيَم الإنسانيّة الأصيلة التي يعلّمها كِلا الدينين . وكلاهما ينظر إلى الشخص البشريّ كآية من آيات الله في ما أبدع ، ويرى أنّ له كرامة ذاتيّة لا تُقدّر ، ومرامِيَ بعيدة لا تعرف الحدود : " في نظر المسلمين ، خُلِق العالم ليخضَع للإنسان ، خليفةِ الله ، أي قيِّمِه على المخلوقات . والكتاب المقدّس هو أيضًا يؤكّد أنّ الله أمر الإنسان ليس فقط بإخضاع الأرض ، بل أيضًا بفلاحتها وصيانتها (تكوين ٢: ١٥) . ولمّا كان الإنسانُ خليفةَ الله ، كان له حقوق لا يجوز امتهانُها ، بيدَ أنّه مقيَّد على حدٍّ سَواء ، بشريعة الخير والشرّ ، التي تقوم بدورها على النظام الذي وضعه الله " [٤٨] .

وفي الخطاب ذاته ، يُنعم البابا النظر في إيمان إبراهيم ، المرجع المشترك بين المسيحيّين والمسلمين : " إنّهم (المسلمين) مثلكم يؤمنون إيمانَ إبراهيم بالله الواحد القدير الرحيم ... وهذا الإيمان بالله ، الذي يشترك فيه المسيحيّون والمسلمون واليهود ، إذا عاشه الإنسان بإخلاص ، إذا كان متشرِّبًا منه

---

[٤٧] راجع ميتشل :

Th. Michel, *Christianity and Islam. Reflections on Recent Teachings of the Church* (Encounter, ed. Pontificio Istituto di Studi Arabi e d'Islamistica, 112). Roma 1985, 1-22.

[٤٨] راجع جويا :

F. Gioia (ed.), *Il dialogo interreligioso nel Magistero Pontificio. Documenti 1963-1993*. Vaticano 1994, n° 339, p. 243.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في حياته ، فإنّه يكون أساسًا وطيدًا لكرامة البشر وإخائهم وحرّيّتهم ، ومبدأً لاستقامة السيرة الخلقيّة والحياة في المجتمع " [٤٩] .

إنّ المجمع ، في بيانه " في عصرنا " اكتفى بالقول ، على سبيل الوصف ، إنّ المسلمين يربطون إيمانهم بإيمان إبراهيم . أمّا البابا يوحنّا بولس الثاني فيؤكّد النتائج الاجتماعيّة والخلقيّة لذلك الإيمان ويصفه ، على ما يبدو ، بأنّه أصيل . وفي الواقع ، قال في خطاب ألقاه أمام المسلمين في كادونا بنيجيريا في العام ١٩٨٢ : " أتحدّث إليكم في هذه المسائل (التي تهمّ كلا الطرفين) ، لأنّكم مسلمون ، ومثلَنا نحن المسيحيين ، تؤمنون با لله الواحد ، مصدر الحقوق والقِيَم الإنسانيّة كلّها " [٥٠] .

للّاهوتيّ المسيحيّ أن يتساءل مع توما ميتشل : أفلا يخلُص المسلمون ، على غرار اليهود ، باعتبارهم أبناءً لإبراهيم في الإيمان ، ووارثين للوعود التي قطعها ا لله لأبي الآباء ؟ أمّا مضمون الإسلام فهو الخضوع المطلق بلا قيود لقضاء ا لله الخفيّ [٥١] .

ومهما يكُن من أمر ، فالبابا يرغب إلى المسيحيّين الذين يعيشون مع المسلمين أو في بيئة إسلاميّة ، أن يتذكّروا باستمرار القاعدة المشتركة للإيمان با لله بينهم وبين المسلمين . فالبابا إذًا ينظر إيجابيًّا إلى وجود الإسلام ، الذي يشهد له المسلمون المؤمنون الممارسون لدينهم ، ويعتبره مصدر غنًى ممكنٍ لإيمان المسيحيّين با لله ، الذي يدعو المؤمنين من كلا الطرفين إلى التعاون والتنافس الشريف في الميدان الخلقيّ الروحيّ [٥٢] .

---

[٤٩] جويّا ، ص ٢٤١-٢٤٢ .

[٥٠] جويّا ، ص ٢٨٤ .

[٥١] ميتشل ، ص ١٣ .

[٥٢] جويّا ، ص ٢٤٣ . راجع أيضًا ص ١٣-١٩ من مقالة :
Claude Geffré, " La portée théologique du dialogue islamo-chrétien ", in :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنّ القِيَم الأساسيّة ، المتضمَّنة في الخضوع لله وعبادته والتسليم لمشيئته (الإسلام) ، التي يأخذ بها المسيحيّون والمسلمون على السواء ، بأساليب تميِّز كلّ طرف من الآخر ، لكنّها مع ذلك متّصلة أعمق الاتّصال ، هي الركن الذي تقوم عليه المودّة الخاصّة بين المسلمين والمسيحيّين . ففي العام ١٩٨١ ، بينما كان البابا يوحنّا بولس الثاني يزور دافاو (Davao) ، عاصمة ولاية ميندناو (Mindanao) في جنوب الفيليبين ، وهي منطقة معروفة جيّدًا بأنّها مسرح لتوتّر مزمن بين السكّان المسيحيّين والمسلمين ، أعلن البابا : " إنّي أتعمّد أن أُخاطبكم كإخوة ... يجهدون ساعين ، عن وعي أو عن غير وعي ، إلى الله والحقيقة التي تنبثق منه . لكنّنا إخوة خصوصًا في الله الذي خلقنا والذي نسعى لنبلغه ، وفقًا لأساليبنا الخاصّة ، بالإيمان والصلاة والعبادة وحفظ وصاياه والخضوع لمشيئته " [٥٣] .

إنّ الالتزام بتلبية أوامر الله في أعمال العبادة ، وقد وصفناه بأنّه جوهريّ في الدينين كليهما وتقاليدهما العريقة ، هو في نظر يوحنّا بولس الثاني " حلقة عظمى تربط بين جميع المسيحيّين والمسلمين " [٥٤] .

وممّا جاء في تعليق لتوما ميتشل ، الذي يشغل منذ سنوات كثيرة منصب رئيس الدائرة الإسلاميّة في المجلس البابويّ للحوار بين الأديان ، قوله : " سواءٌ أتحدّثنا عن الصلاة التي يؤدّيها المسلمون خمس مرّات يوميًّا في أوقات محدّدة والتي يجدّدون فيها التزامهم بالتسليم لمشيئة الله والعمل على تنفيذها ، أم عن الصوم الذي يستغرق شهرًا كاملاً وينطوي على عناصر كثيرة كالذكر والتجديد الروحيّ على النطاق الفرديّ والجماعيّ ، والإخاء والصفح ، أم عن الزكاة التي يؤدّيها جميع المسلمين المؤمنين لصالح

Islamochristiana 18 (Rome 1992), 1-23.

[٥٣] جويّا ، ص ٢٦٢ .

[٥٤] جويّا ، ص ٢٥٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفقراء وللعناية بالمساكين ، هذه العبادات كلّها لا يمكن إلاّ أن تؤثّر في المسيحيّين ، لأنّنا نؤمن بأنّ الله الذي نحبّه والذي يحبّ جميع البشر ، هو الذي يعبدونه ويطيعونه في جميع أعمالهم " [٥٥] .

٤-٣ الدعوة المشتركة بين المسيحيّين والمسلمين في المجتمع التعدّدي

(١) القضايا المشتركة

إنّ الفقرة الثالثة من بيان " في عصرنا " ، بعدما أوردت عددًا من الحقائق الجوهريّة المشتركة بين المسيحيّين والمسلمين ، تنتهي بالإرشاد الرسميّ : " على المسلمين والمسيحيّين أن يصونوا السلام والحرّيّة والعدالة الاجتماعيّة والقيَم الخلقيّة ويعملوا على تعزيزها " .

وطالما ركّزَ البابا ، في رسائله العامّة الوثيقة الصلة بهذا الموضوع ، وفي الخُطَب التي وجّهها إلى مستمعيه المسيحيّين والمسلمين في شتّى أنحاء العالم ، على القضايا المشتركة والقِيَم التي تهمّ الجانبين ، المسيحيّ والإسلاميّ ، والدعوة التي يوجّهها الله إليهما ليؤدّيا شهادة مشتركة من شأنها أن تحثّ الآخرين وتساعدهم في البحث عن الله .

ومن هذه القضايا المشتركة التي تهمّ الجانبين ، يذكر يوحنّا بولس الثاني ، في المقام الأوّل ، صيانة الأبعاد الروحيّة للشخص البشريّ ودَعم القِيَم الروحيّة والخلقيّة في المجتمعات المهدَّدة بالماديّة والأنانيّة وقلب القيَم الإنسانيّة والروحيّة الأصيلة رأسًا على عَقِب . كما أنّ للمسيحيّين والمسلمين مفهومًا مشتركًا لمعنى الحياة البشريّة وغايتها ، والانقسامات التي تمزّق البشريّة ،

---

[٥٥] ميتشل ، ص ١٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والخلافات ، واستقطاب المظالم المتزايد وبقائها ، والمشاكل الاقتصاديّة الناجمة في معظمها عن التقصير في التضامن الدوليّ ، والقضايا الاجتماعيّة والسياسيّة كضرورة الحكومات العادلة النزيهة الفعّالة ، والتزام قواعد اللياقة والانضباط في الحياة العامّة ، ومكافحة التمييز العنصريّ بجميع مظاهره ، والذود عن حقوق الإنسان وممارسته الحرّيّة الدينيّة ، وصيانة حياة الأسرة وحقّ الأهالي في تربية أولادهم تربيةً دينيّة ، وحقوق الجنين . كما أنّ المسيحيّين والمسلمين ، باعتبارهم خلفاء الله في الأرض ، يشاطرون مسؤوليّة مشتركة لاستعمال موارد الأرض الطبيعيّة باحترامٍ ولصيانتها .

ولمّا كان المسيحيّون والمسلمون يجابهون هذه المهامّ كما قدّمنا ، ويشاطرون الالتزام بالعناصر الجوهريّة للتقاليد التوحيديّة في الإيمان والأعمال ، فإنّ عليهم أن يَعُوا أنّهم مُبحِرون في سفينة واحدة ، وأنّ نجاة البشر هي رهنٌ بالتعاون الوثيق المستديم بين المسيحيّة والإسلام .

(٢) دعوة مشتَرَكة

المسيحيّون والمسلمون إذًا مدعوّون لأن يعيشوا فعلاً دعوةً مشتَرَكة في عالم تتجاذبه تجارب عبادة الأوثان بشتّى الأشكال . ودعوتهم المشتركة هذه تقوم ، في المقام الأوّل ، على إعطاء جواب الإيمان الواقعيّ الفعّال ، كبديلٍ معقول للفراغ الروحيّ والخلقيّ الذي يهدّد بابتلاع الحضارة المعاصرة . ويطالب يوحنّا بولس الثاني " بتركيز الجهود للتغلّب على الوهم الذي يطمح في بناء عالم جديد خال من الله " [٥٦] ، ويصلّي مع المسلمين والمسيحيّين في كراتشي ، " سائلاً الله أنّ يُلهِمنا طرقًا أفضل للتعاون والتكاتف لما فيه

---

[٥٦] جويّا ، ص ٢٩٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخير للجميع " [٥٧] ، ويحثّ على التنافس الشريف في العمل معًا لخدمة أكثر الناس بؤسًا (بروكسيل ١٩٨٥) [٥٨] ، لكي نصبح حلفاء متآخين في خدمة الإنسان (نَيروبي ١٩٨٥) [٥٩] .

غير أنّ هذا الهدف لا يمكن أن يتحقّق ما لم يتعاضد المسيحيّون والمسلمون ليحافظوا على حيويّة البُعد الروحيّ ، استنادًا إلى أفضل ما في تقاليد كلّ طرف . وبوجيز القول : إنّ المسلمين والمسيحيّين مدعوّون إلى السعي معًا في عالم اليوم لبلوغ هدف مشترك ، لا يقلّ طموحًا عن بلوغ القداسة . وهذا يعني ضمنًا في نظر يوحنّا بولس الثاني العمل على تعزيز التضامن البشريّ بروح الوفاء للدين الذي نعتنقه . ففي حديثه عام ١٩٨٢ مع ممثّلي الأديان التوحيديّة الثلاثة في لِشبونة قال : " هنالك دائمًا مُتّسَع للتضامن البشريّ بروح الولاء للدين الذي نعتنقه ، يقينًا منّا أنّ الإيمان با لله ينطوي على خير لنا وأنّ الرغبة في مشاطرة هذا الخير مع الآخرين هي عفويّة . وفي استطاعتنا ، من جميع النواحي ، أن نجعل ذواتنا رمزًا للقدرة الإلهية ...

إنّ تقديرنا للكنوز التي لا ريب أنّها متوفّرة في روحانيّة كلّ دين ، وإقامة صلاة مشتركة كلّما كان ذلك ممكنًا ، مِن شأن ذلك كلّه أن يؤدّي إلى تركيز الجهود لنتجنّب الوهم الرامي إلى بناء عالم جديد خال من ا لله ، ولنتلافى غرور حضارة إنسانيّة محصورة في الإنسان دون سواه .

---

[٥٧] جويّا ، ص ٢٦١ .

[٥٨] جويّا ، ص ٣٢٨ .

[٥٨] جويّا ، ص ٣٤٣-٣٤٤ .

[٥٩] جويّا ، ص ٢٩٠ . لقد أشار البابا يوحنّا بولس الثاني في خطاب وجّهه سنة ١٩٨٠ إلى سامعيه المسلمين في ألمانيا الذين يقيمون صلاتهم جهارًا ، " يعطون مثلاً حسنًا يستحقّ أكبر التقدير ، ويشجّعون إخوتهم المسيحيّين ويساهم في صيانة القيَم الأخلاقيّة والروحيّة في هذا العالم المادّيّ : راجع ص ١٩٠ في كتاب ميتشل :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك أنّ الإنسان ، إذا جُرِّد من بُعدِه الدينيّ ، وكم بالحريّ إذا جُرِّد من حرّيته الدينيّة ، يصبح فقيرًا ، ويفقد واحدًا من حقوقه الرئيسيّة [٦٠] .

لا أحد يُنكر أنّ هذا المَثَل الأعلى الذي يضعه البابا نُصْبَ أعيُن المسيحيّين والمسلمين لا يخلو من نواحٍ خياليّة ، يتعذّر تطبيقها عمليًّا . لكنّ البابا يصرّ على أن يبقى هذا المَثَل الأعلى حيًّا في قلوب المؤمنين ، إذ إنّ من شأنه أن يحملهم على الشروع في بذل ما يلزم من جهود . كما أنّ البابا عرض هذا المثل الأعلى للشبيبة بنوعٍ خاصّ ، عرضًا وافيًا ، وذلك في الدار البيضاء في شهر آب/أغسطس ١٩٨٥ ، عندما كان يتحدّث إلى الشبيبة المغربيّة ، فوصفه بقوله إنّه الحلّ المِثاليّ " لعالمٍ يتيح لكلّ إنسان مكانًا في جوّ من الكرامة والحرّيّة " . وقال إنّ تحقيق مِثل هذا العالم " رهنٌ بإرادة الشبيبة المنتشرة في جميع أقطار العالم " .

هذه الرؤية تتخيّل مجتمعًا شاملاً مبنيًّا على مشيئة الله ، يحتلّ فيه الله المكانة المركزيّة ، بحيث تمارس فيه الشعوب التضامن ، وفي الوقت ذاته تقبَل بما بينها من فروق ، ويعرف بعضُها بعضًا ، يقينًا منها " أنّ الله خلق جميع الناس متساوين في الكرامة ، ومع ذلك مختلفين من حيثُ النعَم والمواهب . فالبشريّة جماعة واحدة ، يؤدّي فيها كلّ فرد دورَه ، كما أنّه ينبغي على الجميع أن يعترفوا بقيمة كلّ شعب وبما للشعوب من ثقافات متنوّعة . كأنّي بالعالم يكوّن كائنًا حيًّا ، على كلّ عضوٍ فيه أن يتلقّى شيئًا من سائر الأعضاء ويُعطيَها هو أيضًا شيئًا " [٦١] .

وفي هذا الجسد الكبير الحيّ المؤلّف من شعوب وثقافات متنوّعة ،

Th. Michel, " Pope John Paul II's Teaching about Islam in his Addresses to Muslims ", in : *Bulletin* (Secretariatus pro non Christianis, 21, n° 62 (Vatican 1986), 182-191.

[٦١] حويّا : كتابه المذكور في الحاشية ٤٨ ، ص ٣٥٠-٣٥١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نرى المسيحيّين والمسلمين مدعوّين للتعاون ، كي يُهيّئوا معًا الظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة لحياةٍ تليق بكرامة الإنسان ، وكي " يشهدوا للقِيَم الروحيّة التي يحتاج إليها العالم : الإيمان بالله ، والبحث المتواضع عن مشيئته ، والاحترام لما للطرف الآخر من تقاليد دينيّة " [٦٢] . وهكذا يُمسي المسيحيّون والمسلمون إخوةً متحالفين يعملون يدًا بيد لإنشاء " حضارة المحبّة " [٦٣] .

(٣) الطرق العمليّة للتعاون وشروطها

إنّ المسيحيّين والمسلمين اليوم ، على اختلاف مشاربهم ، يؤلّفون مع سواهم من الشعوب ، اجتماعيًّا وثقافيًّا ودينيًّا ، مجتمعات تعدّديّة . أمّا مهمّتهم ، فتتناول ، في المقام الأوّل ، العمل على تعليم جماعاتهم الدينيّة وتربيتها وإصلاحها.

" ليست رسالتهم أن يفرضوا حلولاً مسبّقة على مواطنيهم . إنّما هم مدعوّون إلى إيقاظ ضمائر المواطنين بحيث يُدركون ضرورة التعدّديّة التي تتطوّر تدريجيًّا مع تطوّر أوضاع الجماعات (بحكم العوامل الاقتصاديّة والثقافيّة والدينيّة الخ) ، لأنّ الخلافات القائمة ناجمة عن هذه العوامل مجتمعةً [٦٤] .

وتمشّيًا مع مبدإ التبعيّة المتبادلة ، فعلى المؤسّسات الخاصّة ، الإسلاميّة

---

[٦٢] في كتاب جويّا :

F. Gioia (ed.), *Interreligious Dialogue. The Official Teaching of the Catholic Church (1963-1995)*. Boston 1997, n° 468, p. 299.

[٦٣] جويّا : كتابه المذكور في الحاشية ٤٨ ، ص ٢٨٤ .

[٦٤] راجع بورمانس :

M. Borrmans, *Guidlines for Dialogue between Christians and Muslims*. New York, 1990, 35.

وقد صدر هذا الكتاب باللغة العربيّة : موريس بورمانس : توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيّين والمسلمين ، المكتبة البولسيّة ، حونية ١٩٨٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمسيحيّة ، أن تؤثّر في الرأي العامّ والبِنى الاجتماعيّة : ١) لتُذكّر ممثّلي الدولة بأنّهم إنّما خُوِّلوا السلطة لخدمة " الخير العامّ " وتنشيط التقدّم الإنسانيّ ؛ ٢) لتدخل في حوار ، بعضُها مع بعض، وتنشئ لجانًا مختلطة من مسيحيّين ومسلمين ، بهدف تنظيم التعدّديّة القائمة في شتّى القطاعات الاجتماعيّة أو بهدف النهوض بمشاريع مشتركة لخدمة الخير العامّ .

أمّا المجالات التي ينبغي أن يتناولها المشرفون على هذه الحملة الإعلاميّة ، من مسلمين ومسيحيّين ، بالحوار وبالتعاون المتبادل ، فهي ، على سبيل المثال : الثقافة ، وسائل الإعلام ، التربية ، المؤسّسات المختصّة بالعمل والرفاهة الاجتماعيّة ، حركات حماية البيئة ، أخيرًا لا آخرًا : المسائل الخلقيّة الناجمة عن بعض الميادين كالطبّ وعلم الأحياء الوراثيّ : " بالتعاون في جميع هذه المجالات يستطيع المسيحيّون والمسلمون أن يشجبوا المظالم والمواقف المتحيِّزة ، ويقدّموا الإعلام النزيه ، ويربّوا الضمائر على احترام الآخرين في تنوّعهم ... ذلك كلّه يفترض أن يقوم المجتمع بتنظيم التعدّديّة على كلّ مستوى من مستويات الحياة المشتركة ، مع ضمان الحريّة التامّة للجميع ، واحترام ما يختاره الضمير ، سواءٌ أتناولَ هذا الاختيار أمور الطعام والشراب واللباس والأعياد أم شؤونَ الإيمان [٦٥] .

وهكذا تُدعى الجماعات إلى المشاركة في التنافس الروحيّ الشريف (" فاستبقوا الخيرات " : القرآن ٥ : ٤٨) ، حيث يتآزر الطرفان فيتحدّى أحدهما الآخر وينتقده وبالتالي يعمل على تنقيته .

وبلوغًا إلى هذا الهدف المثاليّ ، كان من الضروريّ - على ما يبدو - الفصل بين السلطات ، وبالتالي بين المهامّ التي تضطلع بها السلطات المدنيّة والدينيّة والسياسيّة والثقافيّة . وهكذا يستطيع كلّ إنسان أن ينهض بمسؤوليّته

---

[٦٥] بورمانس ، ص ٣٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في نطاق عمله الخاصّ وأن يشارك - في الوقت ذاته - مشاركةَ وئامٍ وانسجام ، في ممارسةٍ تعدّديّةٍ تحترم الأفراد وجماعاتهم ، وتمنح جميع الأطراف حقوقًا متساوية وفُرَصًا متساوية في إطار مجتمعٍ مدنيّ .

من هنا يتّضح أنّ التعايش بين دينَين تبشيريَّين ، يؤكّد كلٌّ منهما أنّه يمتلك الحقيقة الشاملة ، كالكنيسة والأمّة ، يقتضي قواعد مسلكيّة مشتركة (مثلاً : في الرسالة والدعوة وآداب المرسَلين) ، على أن تقوم بوضع هذه القواعد السلطاتُ المسؤولة لكِلتا الديانتَين . كما يقتضي أيضًا تشكيلَ لِجان للمراقبة ، على الصعيد الوطنيّ والإقليميّ والدوليّ . وهكذا يصبح في الإمكانِ أن نقيِّم - في جوٍّ يسوده روح الاحترامِ المتبادل وتمنّي الخير والنقدِ البنّاء - ما يتعلّق بالدعوة إلى التبشير من شؤون وتطوّرات ، لنتجنّب كلَّ ما من شأنه أن يسبّب ، لدى أيٍّ من الطرفَين ، الريبةَ والخيبةَ والغضب . هذا كلّه يساهم في تنقية جوّ العلاقات القائمة بين الديانتَين . فيكون الكاسبَ كلُّ مَن يشهد أنّ الله واحدٌ أحد .

في أساس كلّ ما ذكرناه ، يكمُن السؤال الجوهريّ الموجَّه لكلٍّ من هذين المعتقَدَين : ما هي الوسائل المشروعة وما هي الوسائل غير الملائمة وغير المشروعة ، التي يمكن أن يلجَأ - أو لا يجوز أن يلجأ - إليها كلٌّ من الدينَين المسيحيّ والإسلاميّ ، ليعزّز وينشر القبولَ بالقِيَم التي يرى كلُّ طرف أنّه مدعوّ ليبشّر بها ، في ظروف اجتماعيّة سياسيّة معيَّنة ؟

أورَدْنا أعلاه التعاليم الواضحة التي لا لبس فيها ، الصادرة عن الكنيسة في هذا الشأن . غير أنّ ذكر هذه النقاط لا يعني - بطبيعة الحال - أنّها تنال الرضا حاليًّا أو أنّها ستنال الرضا دائمًا ، وبأولى حجّة لا يَعني أنّ الطرف الآخر يعتبرها واجبةَ القبول . من هنا ضرورة قيام المؤسّسات الرسميّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بتنظيم حوار دائم للنظر في هذه الأمور في ظروفها الواقعيّة المتغيّرة [٦٦] .

٦- خاتمة : حدث أسّيزي وروحه
- حَجّ مشترَك إلى الله في التعدّديّة الدينيّة

إنّ البابا يوحنّا بولس الثاني ، منذ الرسالة الجامعة الأولى التي أصدرها في العام ١٩٧٩ حتّى الآن ، ما برِح يشجّع أتباع مختلف الأديان ، على إقامة الصلاة المشتركة (مخلّص البشر : ٦) . وقد اختتم بعض لقاءاته مع المسلمين بالصلاة ، أو سأل مستمعيه أن ينضمّوا إليه في الدعاء إلى الله . وكان أعظم حدث في هذا الشأن ، يومَ الصلاة والصوم ، الذي دعا البابا قادةَ العالم الدينيّين إلى الاشتراك فيه في تشرين الأوّل / أكتوبر عام ١٩٨٥ [٦٧] .

---

[٦٦] هنا ينبغي التشديد على ضرورة حوار مُخلص حول الجهود المتكرّرة التي تبذلها بعض الحكومات والأحزاب والحركات الإسلاميّة لإخضاع بنى المجتمع لأحكام الشريعة إخضاعًا متزايدًا وإخضاع غير المسلمين لبُنى الشريعة الإسلاميّة . وهكذا يُرفض رفضًا صريحًا أو ضمنيًّا الاعتراف بقطاع حياديّ دينيًّا في الحياة العامّة ، والعمل على تمكين جميع المواطنين من الاشتراك معًا اشتراكًا مماثلاً في هذا القطاع ، وذلك في مجتمعات ودول تتّسم بطريقة واضحة بتعدّديّة الثقافات والأديان والطوائف أو البدع . وهذا يوضح مرّة أخرى ضرورة الحوار النصوح لتطوير العلاقات المسيحيّة الإسلاميّة في المستقبل تطويرًا إيجابيًّا . ومن الضروريّ أيضًا عقد اتّفاقيّات حول علاقة الدول بالدين وحول حقوق الإنسان . راجع رسالة البطاركة الكاثوليك في الشرق : " معًا أمام الله ، في سبيل الإنسان والمجتمع ، العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيّين في العالم العربيّ " ، لبنان ١٩٩٤ .

[٦٧] إنّ عرضًا لهذ الحدث الفريد في تاريخ الأديان ولطريقة فهم البابا له ، ورد في مقالة :

M. Fitzgerald, " Mission and Dialogue : Reflection in the Light of Assisi 1986 ", in : *Bulletin* 23, n° 68, Vatican 1988, 113-120.

راجع أيضًا عند جويّا ، كتابه المذكور في الحاشية ٤٨ ، رقم ٥٣٢-٥٥٢ ، ص ٤٠٦-٤٢٠ ؛ وقابل أيضًا في كتاب عن صلوت السلام في أسّيزي ، مع مقدّمة من الكردينال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا ريب أنّ يوم الصوم والصلاة هذا ، يُعتبَر علامةً نبويّة ، تدلّ رمزيًّا على الهدف الذي يسعى جميع الباحثين الدينيّين لتحقيقه في محجّتهم إلى المطلق ، كما تدلّ على الطرق الملائمة لبلوغ ذلك الهدف .

واسمحوا لي أنا أيضًا أن أختتم حديثي هذا بالصلاة التي تلاها البابا يوحنّا بولس الثاني في نهاية اللقاء المسكونيّ الذي تمّ في لِشبونة (البرتغال) في العام ١٩٨٢ :

" أللهمّ ، أيّها الواحد الذي يفوق الوصف ،
يا مَن تحدّثنا عنه جميع المخلوقات ،
يا مَن هو على كلّ شيء قدير ،
يا مَن لا يُكرِه الإنسانَ أبدًا ، بل يدعو البشريّة إلى الخير ،
أيّها الرحمن ، الذي يحبّ الرحمة لجميع الناس ،
نتوسّل إليك أن تقودنا دائمًا في سبلك وتملأ قلوبنا بمحبّتك وسلامك وفرحك ، وتباركَنا [٦٨] " .

فرانتس كونغ ، وتعليق من هانس فالدنفلس (Hans Waldenfels) ، فرايبورغ ١٩٨٧ .

[٦٨] حويّا ، رقم ٤٠٣ ، ص ٢٩١-٢٩٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تروبّ – المناقشات في الجلسة العامّة

مدير الجلسة : البروفسّور الدكتور عادل تيودور خوري
(مونستر / ألمانيا)

خوري :

مسألة النظريّة والواقع

في محاضرته الحاثّة على التفكير انطلق البروفسّور تروبّ من التأكيد أنّ المبادئ الملزمة في الأديان تشكّل قواعد تقاس عليها قيمة الواقع المُعاش . وقد وصف هذه المبادئ بأنّها مقياس لإصلاح الواقع على صعيد الحياة العمليّة والتصرّف الراهن . وهنا يُطرح سؤالان . أوّلاً كيف يمكن بناء جسر يربط بين المبادئ الملزمة في الجماعات الدينيّة من جهة وتصرّفها غير المرضيّ من جهة أخرى . وهنا لا يفيد أن نعتذر مسبّقًا بأنّ الواقع من جرّاء ضعفنا البشريّ وغيره من الأسباب لا يرتقي إلى مستوى المثال الذي ينعكس دون انقطاع في تعاليم الدين . من الممكن أن يكون الأمر على ذلك في كثير من الأحيان أو في أغلب الأحيان . ولكن ألا ينبغي لنا بكلّ رصانة وجدّ أن نسائل أنفسنا هل يدلّ التقصير في العمل والواقع على تقصير او انصداع في تعاليم الأديان نفسها ؟ في تعاليم معرّضة دومًا لأن تكون أسيرة وجهات نظر ومواقف عقائديّة قامت في زمن معيّن ، أو أن تكون قد وقعت تحت تأثيرها ، ثمّ تستعمَل أداة تبرير لبعض التصرّفات العمليّة ؟ ألا يجب من هذا المنطلق أن نقابل دومًا بالنقد الفكريّ تاريخنا وحاضرنا ؟

الانتباه الى الرؤية العَلمانيّة

والسؤال الثاني يشير إلى ما قيل في أنّا نستطيع أن نحصّل شيئًا مهمًّا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لعالمنا ، لا بمعاداة الأديان ، بل بمساهمتها . كيف يمكن تبرير هـذا الرأي أمام أناس لا يؤمنون بدين معيّن أو يفضّلون ، نظرًا إلى ما تجلّى في تاريخنا من نقص ، توجيه سلوكهم لا على أساس المبادئ الدينيّة ، بل على أساس بصائر من هذا العالم ؟

تروليّ (Troll) :

تحوّل في الواقع – تحوّل في التعليم

إنّ ما عُرض في السؤال الأوّل ، مفاده أنّنا في جماعتينا الدينيّتين ، علينا أن نكون على استعداد لتغيير تعاليم قد تبدو لنا جوهريّة ، إذا أردنا حقيقةً أن نصل إلى تغيير عميق راهن في العمل والواقع ، في واقع ، كثيرًا ما سلكنا فيه ، كما يوضح ذلك اعتبار التاريخ ، سبل الضلال . آمل أن يكون كلامي قد بيّن أنّ الكنيسة ، في قضيّة حقوق الإنسان مثلاً ، قد قامت فعلاً بمثل هذا التغيّر . وذلك لا على صعيد الواقع فقط ، كما قد نعتقد ، بل أيضًا على صعيد التعليم . ففي وثيقة المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ في " الحرّيّة الدينيّة " أعطت الكنيسة مثلاً عن مثل هذا التطوّر في التعليم . وربّما لا يصحّ هنا أن نتكلّم على تطوّر ، بل نوعًا ما على تحوّل في التعليم . فإنّا لو تتبّعنا ما قاله الباباوات من زمن ليس ببعيد عن العلاقة بين الدين والدولة [1] وقابلناه بما علّمته الكنيسة مؤخّرًا في المجمع الفاتيكانيّ الثاني ، فلا بدّ من التصريح هنا بأنّه حصل تحوّل في التعليم ، إن لم نقل إنّه حصل انكسار وفجوة ، كما يؤكّد البعض . من المفهوم أنّ المفكّرين الكاثوليكيّين يتجنّبون مثل هذا التعبير ، لأنّهم يصرّون دومًا على أنّ هناك استمراريّة في تطوّر التعليم الكنسيّ . ولكن لنضرب مَثَلَ المفكّر بوكنفورده (Ernst-Wolfgang Böckenförde)

---

[1] راجع ما ورد أعلاه ص ٧٩ ، ولا سيّما الحاشية ١٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذي يتساءل ألم يكن التحوّل خلال المئة سنة الماضية في الحقيقة أكثر من تحوّل بسيط ؟ أفلا ينبغي ، بالنظر أيضًا إلى قضايا أخرى ، أن نتوقّع قيام ضرورة تحوّل حقيقيّ في شؤون عقائديّة ، ممّا لا يستقيم ولا شكّ دون كيل طافح من الشجاعة للقيام بإعمال الفكر الجديد والتدقيق في التعابير الجديدة ؟ أنا على يقين أنّنا سنبلغ في بعض النقاط التي مرّت علينا خلال التاريخ إلى تطوّرات أخرى في التعليم ، دون أن يقود ذلك الكنيسة إلى فقدان هوّيتها .

تحديد أدقّ لمفهوم الدين أمر ضروريّ

إنّي أوافق على القول بأنّه أمر ذو حدّين قد يزجّ في الخطر ، إن صرّحنا بأنّ التطوّرات ذات الضرورة الماسّة لزماننا لا تُنال إلاّ بإسهام الأديان . مثل هذا الرأي ينجم بقدر كبير عن قلّة الدقّة في تحديد مفهوم الدين . وأعتقد أنّ العلاقات المسيحيّة الإسلاميّة تتوثّق أكثر ، إن نحن سألنا من وقت الى آخر بدقّة أشدّ ، ما نعني الآن في الحال عندما نتكلّم على الدين . إليكم في ذلك مثلاً : إنّي كتبتُ منذ بضع سنين مقالاً في معنى مفهوم الدين في العربيّة والفارسيّة والأردو عند المفكّرين المسلمين في الهند [٢] . فاتّضح أنّ المفهوم يختلف عند ثلاث فئات مختلفة . وهكذا فإنّ مَن يزعم أنّ مفهوم الدين هو واحد دومًا ، يتعارض مع الواقع الذي بيّن أنّ كلمة الدين عند المسلمين في الخمسين سنة الأخيرة قد فهمت بطريقة مختلفة جدًّا ، مثلاً عند أبي الحسن علي مروي ، والسيّد أبي الأعلى المودودي (توفّي سنة ١٩٧٩) ومدرسته ، وأخيرًا أهِلو ذِرهَن . وكذلك يبدو من جهة المسيحيّين مُقلقًا وخطرًا استعمال هذه المفاهيم العامّة بنوع غامض

---

[٢] كريستان تروّل :

" The Meaning of **din**. Recent Views of Three Eminent Indian Ulama ", in: Troll (ed), *Islam in India. Studies and Commentaries*. New Delhi 1982, 168-177.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دون تحديد دقيق .

مُمْجو (Mumcu) :

تطوّرات سارّة

أنا لست من علماء الدين ولا أفهم الكثير من اللاهوت المسيحيّ أو الكاثوليكيّ ، ولكنّي بصفتي أستاذًا في الحقوق قد أُعجبتُ كثيرًا بالجهد الكبير الذي يبذله اللاهوتيّون المسيحيّون للإكباب على حقل الحقوق المدنيّة في الزمن الحاضر . ولقد سرّني أن تكون الكنيسة الكاثوليكيّة لا تحتكر لنفسها امتلاك الحقيقة ، فيتضّح من ذلك كيف حصل التطوّر في التاريخ .

عدم احتكار السفينة للمسحيّين والمسلمين وحدهم

لقد قال المحاضر إنّ المسيحيّين والمسلمين جالسون في سفينة واحدة . وأنا أسأل ألا يمكننا أن نستقبل في هذه السفينة أتباع الأديان الأخرى من مثل البوذيّين والهندوسيّين وغيرهم ممّن لا يعتنق دينًا ولكنّه لا يزال يؤمن بإله ، وحتّى الملحدين ؟ أفليس أنّنا بقدر ما نقبل بعالم تعدّديّ ، نتخلّى عن حجز السفينة لأتباع دينَينا ، المسيحيّة والإسلام وحدهما ؟

الحريّة الدينيّة والاعتقاد الدينيّ

أنا أعلم أنّنا من خلال اليوم الثاني للمؤتمر ستتاح لنا الفرصة للإكباب على الموضوع التالي ، ولكنّني أودّ أن أطرح السؤال عنه في هذا المقام : أين تمتدّ الحدود في رأيكم بين الاعتقاد الدينيّ ومطلب الحرّيّة الدينيّة ؟ إنّ هذا السؤال القانونيّ قد تمّ الالتفات إليه في المؤتمر الأوّل قبل أربع سنوات [٣] ،

---

[٣] راجع : أندراوس بشته / عادل تيودور خوري : " سلام للبشر . المسيحيّة والاسلام ينظر ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن قد تمّ منذ ذلك الوقت تقدّم كبير مهمّ في قضيّة حقوق الإنسان ولا سيّما في قضيّة الحرّيّة الدينيّة .

تروللّ :

سفينة جميع الذين يسعون وراء الحقيقة والعدل

متى قلنا إنّ المسيحيّين والمسلمين جالسون في سفينة واحدة ، فإنّ هذا الكلام يمكن تفسيره تفسيرًا حرفيًّا وحصريًّا ، ويمكن أيضًا فهمه كتعبير رمزيّ قابل للتطبيق على أصعدة مختلفة في اتّجاهات مختلفة . أنا أستعمل العبارة هنا طبعًا كمثل يمكن تطبيقه على جميع المؤمنين الذين يلتمسون الله ، فيقال عنهم إنّهم سائرون في طريقهم في سفينة واحدة . قد يكون هذا أيضًا استعمالاً ضيّقًا ، نظرًا إلى أنّ جميع الناس ، أو – كما يقال – جميع ذوي الإرادة الصالحة يسعون وراء حقيقة أكبر وعدالة أكبر واحترام للغير مهما كان دينه . وهؤلاء جميعًا يؤلّفون اليوم أكبر جماعة في العالم . ولكن يستطيع المرء أن يقصي نفسه عن هذه الجماعة عندما يرفض بملء حرّيّته الهدف الكبير المشترك ، وهو التماس الحقيقة والعدالة . في هذا يكمن حدّ فاصل . ومع ذلك فهناك السفينة الكبيرة التي تحمل الذين يعتبرون أنفسهم حجّاجًا يسعون وراء هدفهم ، ومِن عدادهم أولئك الذين يتبعون صوت ضميرهم ويرون أنّه لا ينبغي لهم أن يتبعوا دينًا معيّنًا منظّمًا ،

في أسسه ومشاكله وأبعاده المقبلة " (سلسلة المسيحيّة والاسلام في الحوار والتعاون، ٣)، المكتبة البولسيّة، جونيه – لبنان ١٩٩٧؛ خصوصًا مقالة غيرهارد لوف : " السلام وحقوق الإنسان في منظار الكنائس " ، ص ١٧٥–١٩٥، ومقالة محمد مجتهد شبستري : " أسس الحرّيّة اللاهوتيّة والفقهيّة . استقلال الإنسان وسيادته في نظر الإسلام ، كقاعدة للسلام العالميّ المرغوب فيه جدّيًّا " ، ص ٢٢٣–٢٢٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكنّهم مع ذلك يلتمسون العدالة والحقيقة .

كيف يمكن الآن على هذا الصعيد الموسّع الوصول إلى اتّفاق ؟ هذا ولا شكّ قضيّة الحوار والالتزام الشخصيّ . فبالنسبة إلى هذا السؤال الأوّل أرى أنّا جميعًا ، مسيحيّين ومسلمين ، ليس فقط لصالحنا ، بل أيضًا لصالح البشريّة كلّها ، علينا أن نعمل في سبيل إقامة إنسانيّة ، إنسانيّة دينيّة بالمعنى الذي أوضحتُه لهذه الكلمة ، إنسانيّة تشمل جميع الذين يلتمسون الحقيقة والعدالة .

مطلب الحقيقة والحقّ في الحريّة الدينيّة

أتعرّض الآن للقسم الثاني من المداخلة ، الذي يتعلّق بما عرضته في مطالبة المسيحيّة بامتلاك الحقيقة . أودّ هنا أن أعود إلى التمييز بين الصعيد القانونيّ والصعيد الأخلاقيّ . فقد حاولت في محاضرتي أن أبيّن أنّه على الصعيد القانونيّ ، في ما يتعلّق بنظام مجتمع المواطنين ، يجب أن يكون هناك حقّ بحرّيّة ممارسة الدين . أمّا على الصعيد الأخلاقيّ فإنه يجب على كلّ واحدٍ منّا – كفرد وفي علاقته مع جماعته – أن يتبع ما يعتبره الحقيقة أو ما يُفرض عليه كحقيقة . وفي ذلك قد يكمن ما يميّزه من سائر أعضاء هذا المجتمع .

قصدي هو أن أوضح أنّه في مفهوم المسيحيّة الكاثوليكيّة ليس هناك تناقض بين أن يقصد الكاثوليكيّ الرصين بقناعته اتّباع كنيسته في حقلي الإيمان والسلوك ، وأن يعمل ، إلى جانب ذلك وعلى هذا الأساس ، في سبيل تعدّديّة اجتماعيّة ، أي في سبيل مجتمع مدنيّ يضمن احترام الغير في غيريّته ، أي الجماعات الأخرى في المجتمع نفسه . ثمّ حاولت أن أظهر ، نظرًا إلى المسائل الصعبة الناتجة عن حدود التوافق الاجتماعيّ ونظرًا إلى مجموعة الرغبات والمطالب التي تتقدّم بها بعض البدع الدينيّة باسم حرّيّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الضمير والتي لا تكون دائمًا متوافقة مع مطالب الفئات الأخرى في المجتمع الواحد ، أنّنا يجب علينا العكوف على الحوار . هذا مجال يلقي علينا أسئلة كثيرة جدًّا . فلنفكّر على سبيل المثال في ما شاهدنا عند بعض الفرق من أفعال هدّامة . من هذه الناحية علينا أن نعود إلى محتوى محاضرتي بمزيد من المحاورات والإيضاحات .

شنايدر (Schneider) :

هل هناك حقيقة واحدة في الدين ،
وتعدّد في الحقل الاجتماعيّ والسياسيّ ؟

إن كنتُ قد فهمتُ جيّدًا شرح المحاضر ، كانت إحدى أهمّ المقولات في حديثه التمييز بين مجالات مختلفة للواقع والإلزام . فهناك مثلاً التمييز بين ما هو ، استنادًا إلى القناعة الإيمانيّة ، ملزمٌ أخلاقيًّا ، وما هو مفروض في النظام الراهن . وهكذا ينتصب ، وفقًا لموضوع النهار ، مطالبة الدين بامتلاك الحقيقة مقابل التعدّديّة الاجتماعيّة والسياسيّة .

وبتعبير آخر : في مجال الإيمان هناك " الحقيقة الواحدة " ، أمّا في الواقع الاجتماعيّ السياسيّ فهناك تعدّد ، بل تعارض في الغايات والمصالح وأساليب الأخلاق . والتوفيق بين الطرفين يحصل هنا بالإشارة إلى التعليم المتعلّق بحرّيّة الضمير وبالاستناد إلى التمييز بين دائرة الإيمان الشخصيّ والأخلاقيّات الملزمة للضمير من جهة ، ودائرة النظام العامّ والمشروعيّة من جهة أخرى .

فإذا تنبّهنا لصدى مثل هذه المقولة عند سامع مسلم ، فحين ذاك يمكن التساؤل أليس هنا تلميحٌ ما إلى " نظريّة الملكوتَين " (السماويّ والأرضيّ ، كما أقرّها لوتر) وإلى النظريّة الليبراليّة ؟ صحيح أنّ هذا إرث لا يُستهان به ، وقد سبق توما الأكوينيّ نفسه وأكّد أنّ قوانين الدولة ليس غرضها أن تقود الناس إلى العمل بمشيئة الله ، بل أن تضمن التعايش السلميّ بين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعضاء المجتمع [٤] .

ولكن أليس من المفيد أن نضيف هنا شيئًا آخر ؟ هنا في هذه القاعة يجلس معًا مؤمنون من " ديانات الكتاب " ، وفي الوسط عُرضت طبعتان ثمينتان من كتبهم المقدّسة ، وهي تعتبر مصدرًا للحقيقة . والقضيّة هي هل تُسلَّم الحقيقة إلى ضمير المؤمن ليتّخذ منها موقفًا حرًّا ؟ وهل هي بالنسبة إلى صياغة النظام العامّ لا عبرة فيها ، إن كان حقّ الشخص بحرّيّة الضمير له الأسبقيّة على حقّ الحقيقة ؟

وقد يزيدنا علمًا أن نتذكّر كيف تمّ الوصول إلى فهم تعدّديّ للتعايش . حيث كان الناس في البدء يسلّمون بأنّ الإيمان الواحد في ظلّ الحقيقة الواحدة عليه أن يملي القواعد المترتّبة على النظام السياسيّ والتشريعيّ . إنّ التحوّل إلى نوع من " التعايش السلميّ " بين الطوائف نتج عن صراع دمويّ لنصرة " حقيقة عامّة " صاغتها طائفة معيّنة . فإنه باسم التأويل الحقّ للوحي ولمشيئة الله قامت حروب دينيّة وحروب أهليّة ، وكان كلٌّ من الطرفين المتحاربين يعتبر نفسه مدافعًا عن الحقيقة ، ويعتبر المعادين حزبَ الباطل والكذب والخداع . وأخيرًا تغلّبت فكرة نزع السلطة السياسيّة من المتنازعين – وقد وصف ذلك الأستاذ بوكِنفورده ، الذي أشار إليه البروفسّور ترولّ ، وصفًا مليئًا بالعبر [٥] . حول منتصف القرن السابع عشر أعلن توماس هوبز (Thomas Hobbes) : " إنّ القانون تعلّمه السلطة ،

---

[٤] الخلاصة اللاهوتيّة ١/٢، القضيّة ١٩، المقطع ٤؛ راجع ص ٢٨٧–٢٨٨ من مقال :

H. Schneider, " Gestaltungsprobleme der Gerechtigeit im weltpolitischen Kräftefeld ", in : A. Bsteh - S. M. Mirdamadi (ed.), *Gerechtigheit in den internationalen und interreligiösen Beziehungen in islamischer und christlicher Perspektive*. Mödling 1997, 275-316.

[٥] راجع :

E.W. Böckenförde, " Die Entstehung des Staates als Vorgang der Säkularisation " (1967), in : *Staat, Gesellschaft, Freiheit*. Frankfurt/M. 1976, 42-64.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا الحقيقة " ، السلطة ، أي السلطة البشريّة المستقلّة . وهذا يعني أنّ تأويل حقيقة الإيمان قضيّة تعني الفرد وليس فيها عبرة للنظام العامّ .

ولكن بين الفكرة القديمة القائلة بسلطة حقيقة الإيمان المطلقة حتّى على النظام السياسيّ – هكذا اعتبر ريتشارد هوكر (Richard Hooker) ، قبل هوبز بنصف قرن ، المجتمع قضيّةً سياسيّة كنسيّة – وبين موقف هوبز يقوم الوصل بين التواضع الفكريّ والثبات في الإيمان ، كما اتّضح عند جرمي تيلور (Jeremy Taylor) : الناس يقرأون الكتب المقدّسة بطرائق مختلفة ، وعليهم أن يتحلّوا بالتواضع بالنسبة إلى صحّة عملهم الخاصّ . كثيرًا ما لا يكون تقابل بين الحقيقة والباطل ، بل تكون تصوّرات مختلفة لحقيقة الله قائمة الواحدة إلى جانب الأخرى ، وتؤلّف معًا الكلّ الراهن .

أيسمح الله بقيام أنواع مختلفة من الحقيقة ؟

قد تبدو مثل هذه التعاليم بسهولة " نسبانيّة " وتخفيضًا من قيمة الدين . ومن يقول بذلك كثيرًا ما يُتّهم أنّه يستهين بكلام الله وينصب فقط مركّبات الفكر البشريّ بعضها تجاه بعض . أفيستطيع إنسان كُشِفت له حقيقة الله الواحدة أن يواجه التعاليم الأخرى بأكثر من مجرّد تسامح ؟

قد يساعد على التقدّم في هذا المضمار أن لا نكبت الواقع الذي يشهد بأنّ هناك في القطاع الدينيّ نفسه تنوّعًا مختلف الأشكال : تعدّدَ اختبار الله في العهد القديم [٦] ، وتعدّد أناجيل في العهد الجديد ، وتَواجُهَ الرسل في ما بينهم في إطار مجمع الرسل (راجع أعمال الرسل ١٥ : ٥–٢٢) ، وتنوّعَ الشهادات الذي لا يعود فقط إلى أنّ أناسًا ينتمون إلى ثقافات وأساليب

---

[٦] " إن الله كلّم الآباء قديمًا بالأنبياء مرّات كثيرة بوجوه كثيرة " (عبرانيّين ١ : ١) . قابل :
Hans Urs von Balthasar, *Die Wahrheit ist symphonisch. Apsekte des christlichen Pluralismus* (Kriterien 29). Einsiedeln 1972, 8.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تفكير مختلفة جدًّا يقابلون الحقيقة بما عندهم من معارف حياتيّة مختلفة .

وبعبارة أخرى : لا يمكننا الإحاطة بالتعدّد إن اعتبرناه تحدّيًا من قبل الواقع الاجتماعيّ السياسيّ موجّهًا إلى اللاهوت والجماعة الدينيّة ، التي تلتزم الأمانة للحقيقة الواحدة الخالية من التناقض ، النابعة من الله الواحد .

التعدّد ليس " الآخر المختلف " مقابل الحقيقة الدينيّة ، بل هو صفة لانشراح الحقيقة نفسها على أوجه متعدّدة [٧] . فإن عرفنا أنّ ذلك في المجال الداخليّ الخاصّ هو غنى يجوز ويجب أن يسبّب لنا الانشراح ، عند ذلك نبلغ – هذا رجائي – إلى موقف آخر إيجابيّ من التنوّع في محيطنا ، وفي القطاع الاجتماعيّ السياسيّ ، وحتّى في القطاع الدينيّ .

بوتس (Potz) :

ما هو وضع التعدّديّة في قطاع الجماعة الخاصّة ؟

هل يمكن أن نلاحظ أنّ هناك في الكنيسة تقديرًا إيجابيًّا للتعدّد وموقفًا إيجابيًّا من التعدّد وحقوق الإنسان ؟ أفلا يفضي هذا كلّه ضرورةً إلى التساؤل كيف تتصرّف الكنيسة في هذا الحقل داخل حدودها ؟ وهكذا يجب على الكنيسة أن توجّه السؤال ضمن قطاعها الداخليّ : كيف أتصرّف داخل الجماعة الدينيّة الخاصّة تجاه حقوق الإنسان وتجاه التعدّديّة الراهنة ؟ والسؤال موجّه لا محالة إلى الإسلام أيضًا .

---

[٧] قابل مثلاً :

J. Timmermann, *Nachapostolisches Parusiedenken. Untersucht in Hinblick auf seine Bedeutung für einen Parusiebegriff christlichen Philosophierens.* München 1968.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ترولّ

صيانة وحدة الإيمان ، ولكن بأيّة وسائل ؟

كلّ جماعة من المؤمنين – وإن كان من الممكن أن تبتعد عنها فرقة أو أفراد لينضمّوا إلى جماعة أخرى – عليها بطريقة أو أخرى أن تجتهد في صيانة هويّتها . فالوصيّة القائلة بوجوب الحفاظ على الوحدة نابعة بالنسبة إلينا نحن المسيحيّين من الإنجيل مباشرة ، من السيّد المسيح . ومن الظاهر أنّه لا يمكن جمع شمل أعضاء جماعة دون عقيدة مشتركة ومسلك مشترك . ولكن يجب أن يتّسع المجال ضمن هذه الوحدة لتعدّد كبير وأن يُحترَم ضمير الأفراد .

وبقدر ما تكون جماعة دينيّة مرتبطة بالسلطة السياسيّة الحاكمة ، يكون لكلّ قرار صادر من أحد أعضائها يتناول العقيدة أو المسلك ، عواقب مختلفة حتّى في الحقل الاقتصاديّ والسياسيّ ، قد تجلب عليه صعوبات ضخمة ، حتّى الفصل عن الجماعة أو القتل . وهكذا يجب هنا أيضًا أن نراعي الفرق القائم بين جماعة دينيّة تعيش في بلد مُعلمَن ومجتمع مدنيّ ، وسواها . وفي مثل هذه الجماعة قد يحصل أنّها تستطيع ضمن نظامها الخاصّ وضع التوضيحات اللازمة ، ولكنّ قراراتها ، حتّى فصل أحد أعضائها ، قد تبقى مبدئيًّا بالنسبة إلى أفرادها المعنيّين دون عواقب سياسيّة سلبيّة .

فلنضرب مثلاً وجود نظرات لاهوتيّة متعدّدة ضمن الكنيسة الكاثوليكيّة . فهل يطابق موقفها من هذا التعدّد ما تنادي به كقاعدة في الحوار مع الجماعات الدينيّة الأخرى ، أوَلا يجب على الكنيسة في هذا الوضع ، مثلاً بالنسبة إلى شجب آراء لاهوتيّ ما ، أن تصغي طوعًا إلى ما يقوله آخرون ، حتّى من بين غير المسيحيّين ، في هذا الشأن ؟ ومهما يكن من أمر ، فإنّه من الواضح أنّ جماعةً مثل الكنيسة عليها دومًا أن تحافظ على الوحدة ، في الأمانة لما اؤتمنت عليه . أمّا ما يتعلّق باختيار الوسائل المناسبة للقيام بهذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المهمّة على شتّى الأصعدة قيامًا ملائمًا ، فيجب أن يقوم فيه حوار يرتكز على النقد الذاتيّ في الكنيسة ، ومع غير المسيحيّين أيضًا .

إيزاك (Esack) :

إقرار التعدّديّة أوّلاً في صفوف الجماعة الخاصّة

في الواقع قد يكون من واجبنا أوّلاً أن نعزّز التعدّديّة بالنسبة إلى الآخرين ضمن جماعاتنا الدينيّة الخاصّة ، إزاء مهمّتنا على الصعيد اللاهوتيّ في توضيح علاقتنا بمؤمني الجماعات الدينيّة الأخرى . وهكذا يتوجّه النظر أوّلاً ، لا إلى ما يقوله الفاتيكان عن المسلمين ، بل كيف يعامل الفاتيكان مؤمني جماعته ، كيف يتصرّف مثلاً تجاه لاهوتيّ مثل هانس كونغ (Hans Küng) أو تيسّا بلازُريا (Tissa Balazuriya) ، والأخير لاهوتيّ كاثوليكيّ من سريلانكا . وكذلك ليست القضيّة إثبات ما يقوله المسلمون عن سماحة الإسلام تجاه غير المسلمين ومدح وضع الذمّيّين ، بل بالأحرى السؤال كيف يعامَل بالفعل المنشقّون عن صفوف المسلمين . أخشى أن لا تكون النتيجة من الطرفين مدعاة للثناء والإطراء .

الاهتمام بالتعدّديّة تحت شعار المصالح التسلّطيّة ؟

السؤال الثاني الذي أطرحه على نفسي منذ سنين و لم أتوصّل حتى اليوم ، رغم كلّ الجهود ، الى حلّ له ، هو شعوري بأنّنا نتناقش في موضوع التعدّديّة كأنّ هذا النقاش مغلق على نفسه ، أي كأنّ العالم يصبح عالمًا أفضل بمجرّد أنّ أناسًا لهم قناعاتهم الدينيّة المختلفة تعلّموا أن يخاطب بعضهم بعضًا وأن يحتمل بعضهم بعضًا وأن يهتمّ بعضهم ببعض . وقد يكون الأمر على ذلك . ولكنّ المشكلة هي أوّلاً أنّ التعدّديّة الدينيّة بحدّ ذاتها وفي إطار الخطاب العصريّ قد تتناسى أو تنكر ما نسمّيه الحداثة وما بعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحداثة . فإنّه لا يمكن الإكباب على قضيّة التعدّديّة في فـراغ ذهـنيّ ، ولا يمكن أيضًا التكلّم على الحداثة وما بعد الحداثة في جوّ انعزاليّ منطوٍ علـى نفسه . فكِلاَ الأمرين حاصلان في عالم صناعيّ وممتـدّ إلى مـا بعـد حقبـة التصنيع ، في عالم يسعى – صراحة أو ضمنيًّا – إلى الهيمنـة علـى سـائر بلـدان العالم ، التي لا تملك السلطة بيدها . هل هناك تعدّديّة في إطار دنيا مُعولمـة ، أو بكلام أشدّ : في عالم تسود فيه تسويةٌ ساحقة للثقافات ؟ فإن كان المسيحيّون يدعوننا نحن المسلمين إلى أن نركب معهم سفينة التعدّديّة ، فيما التعدّديّـة الدينيّة تميل إلى رفض ما سواها مـن أنـواع التعدّديّـة ، أفـلا يدعوننـا لأن نكون شركاء في قضيّة تتّفق ومصالحهم التسلّطيّة الخاصّة ؟

جفّره (Geffré) :

الاتّفاق في مجال القيَم الأخلاقيّة وقضيّة حقوق الإنسان

في محاضرته المهمّة جدًّا شدّد البروفسّور تروللّ علـى إنسـانيّة يشـترك في تقديرها المسيحيّون والمسلمون ، وعلى أنّه لا يتمّ تحقيقها إلاّ بحوار صادق . وفي الواقع نحن نجتمع على عدد مـن القيَـم الروحيّـة والأخلاقيّـة . فـإن أنعمنـا النظر في هذه المجموعة من القيَم ، التي بحدّ ذاتها لا تزال مفهومًا غامضًا ، نتوقّف عند قضيّة حقوق الإنسان . فإنّه وإن كانت الكنيسة الكاثوليكيّـة لها تأويلها الخاصّ لحقوق الإنسان ، الذي لا يطابق دائمًا ما يُقـال مـن الناحيـة العَلمانيّة ، فهذا لا يمنع أنّ الطريقة التي عالجت بها هذه المسـألة في المجمـع الفاتيكانيّ الثاني ، تتعلّق بنظرة معيّنة إلى حقوق الإنسان ، لا سيّما بالنسبة إلى الحرّيّة الدينيّة . والله يعلم كم كانت هذه القضيّة موضوع نقـاش داخـل الكنيسة .

فإن تكلّمنا إذن على اتّفاق بين المسيحيّين والمسلمين ، فالسؤال هو : إلى أيّ حدّ يمتدّ هذا الاتّفاق من وراء حقل القيَم المشترك إلى التعليم عـن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقوق الانسان ، وليس فقط في معناه العَلمانيّ . وبدقّة أكبر هل هو يتوافق - حتّى في مسألة الحرّيّة الدينيّة - وحقوق الله (ألاحظ أنّ هذا المفهوم الأخير لم يرد في المحاضرة) ؟ ألا يجب أن نلاحظ أنّ هناك رغم اتّفاقنا توتّرًا بين موقف المسيحيّين وموقف المسلمين ؟ إذ إنّ الطرف المسيحيّ ، كما يبدو لي ، يعتبر التوتّر بين حقوق الإنسان وحقوق الله قضيّة مضى عليها الزمن ، فيما التوتّر لا يزال قائمًا عند الطرف المسلم . هذا كان سؤالي بالنظر إلى الاتّفاق بين المسيحيّين على إنسانيّة مشتركة .

ماذا يعني التخلّي عن المطالبة بامتلاك الحقيقة ؟

السؤال الثاني يذهب إلى أبعد من ذلك . من السهل في مجتمع تعدّديّ أن نتكلّم على شهادة إيمان مشتركة في الحقل الاجتماعيّ والسياسيّ وحتّى الأخلاقيّ . أمّا إن كنّا نعني التعدّديّة الدينيّة ، فكيف يمكن التوفيق بين صيانة كامل محتوى الإيمان والهويّة والقبول بتعدّديّة دينيّة ؟ قيل - وأنا مستعدٌّ للموافقة على ذلك - إنّ الكنيسة الكاثوليكيّة قد تخلّت حاليًّا نوعًا ما عن مواقف توحي بأنّها تطالب بأنّها تمتلك وحدها الحقيقة الدينيّة . أنا أفهم ذلك من وجهة نظر عمليّة . أمّا إذا نقلنا ذلك إلى مستوى نظريّ ولاهوتيّ ، حين ذلك ينطرح السؤال هل وإلى أيّ مدى يمكن التوفيق بين ذلك وقناعة حاصلة في المسيحيّة كما في الإسلام ، قناعة الدينين كليهما ، بأنّهما يشهدان للوحي الحقّ ، لكلام الله الحقّ . فإن كنتُ إذن أوافق على أنّ الحقيقة الدينيّة ليست هي بمجرّد نقيض للضلال وأنّ الحقيقة التي نطالب بها يمكن إثراؤها بواسطة الحقيقة التي يعترف بها الآخرون ، فإنّي أرى أنّ العبارة القائلة " بأنّا لا نملك وحدنا الحقيقة " ليست واضحة ، إن كان المراد أنّنا نتخلّى عن أن نكون شهودًا لوحي الله الحقّ . كيف يمكن تبرير مثل هذا التخلّي ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باليتش (Balic) :

الدمج بين الدين والسياسة

إنّ الدمج بين الدين والسلطة والسياسة في الإسلام قد ألحق بالثقافة الدينيّة أضرارًا لا تقدّر . فالإسلام كدين منذ نشأته متسامح جدًّا ، ومنفتح على التعدّد والحوار . فإلى جانب المبدإ المعروف ، أنّه " لا إكراه في الدين " (سورة البقرة ٢: ٢٥٦) نجد في القرآن آيات مثل هذه : " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " (سورة الكهف ١٨: ٢٩) .

وهناك دلائل تشير إلى أنّ الإسلام هو في التطبيق العمليّ أيضًا متسامح وميّال إلى التعدّديّة . وبقدر ما يمكن فهمه كواقع سياسيّ ، فإنّ هذا يقود إلى اهتمام السياسة لتطبيق نظرات معيّنة عند العلماء في نطاق المجتمع . هذا يعود إلى أنّ الإسلام لا يرجع فقط إلى القرآن كوثيقة وحي الله ، بل أيضًا إلى السنّة . وهكذا تظهر هنا عناصر إضافيّة يجب إخضاعها لفحص نقديّ . فإنّ السنّة كسبيل اتّباع محمّد هي أساسًا جواب عن المسلكيّة المسيحيّة ، كما يعبَّر عنها بالشعار القائل " بالاقتداء بالمسيح " . هذا أوصل المسلمين ، كما بيّنه المستشرق الألمانيّ كارل هاينريخ بِكِر (Carl Heinrich Becker)[٨] إلى الشروع باعتبار السنّة ، أي اتّباع سبيل النبيّ ، كمصدر مفروض للإيمان . هكذا انتصب الإسلام على أسس أوسع ، واتّخذ عملُ الفقهاء شكلاً ليس له بالمعنى الحصريّ أساس في الحقّ الإلهيّ . من هذا المنظار حصلت زيادات لاحقة ، يمكن اليوم الحذف منها ، مثل فكرة تقسيم العالم إلى " دار السلم ودار الحرب " ، أو الحكم على المرتدّ بالقتل ... هذه كانت زيادات لاحقة صلتُها ضئيلة أو لا صلة لها بالشريعة الأصليّة للإسلام .

---

[٨] راجع :

C.H. Becker, *Islamstudien. Vom Werden und Wesen der islamischen Welt*, 2 vol., Leipzig 1932.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تِسّيه (Teissier) :

المطالبة بامتلاك الحقيقة والتعدّد ، على ضوء الأزمة الجزائريّة

إنّ موضوع اليوم الذي يتناول "مطالبة الدين بامتلاك الحقيقة والتعدّديّة الاجتماعيّة" ، ليس هو في نظري قبل كلّ شيء قضيّة العلاقات بين جماعة دينيّة مسيحيّة وجماعة مسلمة عمومًا ، بل هو قضية أساسيّة ، فينبغي إعمال الفكر فيها بالنسبة إلى الأزمة الجزائريّة . إنّ التوتّر بين ما تتطلّبه الحقيقة الدينيّة من جهة والتعدّديّة الاجتماعيّة السياسيّة من جهة أخرى ، إنّ هذا التوتّر كامن في جوهر الأمّة الإسلاميّة ، التوتّر بين الذين يرغبون في احترام تعدّد العلاقة بالإسلام كما يحياه المواطنون ، وأولئك الذين يعتبرون أنّ مفهومهم للإسلام هو وحده يطابق المصادر الدينيّة .

نحن المسيحيّين أقلّيّة صغيرة في بلدنا . ولكنّا في الواقع منذ بدء الأزمة قد نعمنا بتطوّر ملحوظ . فإنّه كلّما اشتدّ علينا تهجّم المعتدين ، ازداد تضامن أكثريّة المسلمين ، الذين يتعاطفون معنا ، إذ أضحينا ، مثل كثيرين آخرين من أعضاء المجتمع ، ضحايا هذا العدوان . ولكن ما ينقص بعد هو الجواب النظريّ . صحيح أنّه قيل مرارًا إنّ النظريّة المنشودة قد أنشئت مرّات متكرّرة ، ولكنّ الواقع يناقض النظريّة .

يجب ، فضلاً عن التضامن العمليّ ، عرض براهين مناسبة

كان إذن الجواب واضحًا ومقنعًا ، ذلك الجواب الذي اختبرناه في تضامن المسلمين الذين يعيشون حولنا ومعنا ، عند جريمة مثل التي ارتكبت بقتل سبعة رهبان في دير تِبْحَرين . كان الجميع يتوجّهون إلينا ويقولون : "مَن يضربهم ، يضربنا نحن أيضًا !" ولكنّ الذين يضربوننا يأتون ببراهين تستند تمامًا إلى طريقة معيّنة لقراءة نصوص التراث . وعلى هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصعيد لا تعود ردّة الفعل العمليّة كافية . بعد مصرع الرهبان السبعة أدان العالم الإسلامي هذه الفعلة على جميع الأصعدة التي نعرفها واطّلعنا أيضًا على ذلك . ولكنّ المسؤولين عن هذه الجريمة لهم ، كما قلتُ سابقًا ، برهانهم الخاصّ . فقد صدر مؤخّرًا كتيّب في نحو أربعين صفحة [٩] ، جمع كلّ المراجع التي تبرّر هذه الجريمة ، حتّى ابن تيميّة (توفي ١٣٢٨) . وأنا لا أرى من الناحية الإسلاميّة جوابًا على الصعيد عينه الذي برز عليه برهان الذين يقتلوننا . على صعيد آخر ، الصعيدِ العمليّ – وهذا يسبّب لنا فرحًا كبيرًا – أختبر كلّ يوم الجوابَ المؤاسي .

طالبي :

هناك في بلاد الإسلام مسلمون مضطهَدون

إنّي أودّ أن أتطرّق الى ثلاث نقاط : الحقيقة والتعدديّة وإمكانيّة الإسهام في بناء عيش مشترك .

ولكن لي قبل ذلك كلمة شخصيّة : إنّ الإسلام واحد في وثيقته الأساسيّة ، وهو متعدّد في تأويلها . وذلك التأويل الذي ذكره سيادة المطران تسيّه ناقدًا ، هو تأويل ضالّ وخاطئ . ولكنّه لم يلاقِ بعد ردًّا عليه . هذا مؤسف . وإن أمكن في هذا الوضع أن نوجّه كلمة عزاء إلى المصابين ، فإنّي أوكّد أنّ هناك في بلاد الإسلام مسلمين نبلاء ، ملتزمين مصلّين ، تُقطع رؤوسهم حتّى اليوم لمجرّد أنّهم يقولون بما ينعته المتزمّتون بالردّة أو البدعة . هناك مؤمنون يصلّون ويصومون ، هم مسلمون مميّزون ، ومع ذلك تُقطع رؤوسهم . بهذا أودّ فقط أن أقول إنّ هناك إسلامًا لا يمكن

---

[٩] راجع :

Ibn Taymiyya, *Le Statut des moines*, traduction de N. Lebatelier et introduction de J. Michot, Beyrouth 1997.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموافقة عليه في نظريّته ومسلكه .

لم يُجعَل أحدٌ حفيظًا

هذا يقودني إلى القيام بإيضاح آخر: أنا مسلم عن قناعة ، بحيا إيمانه . قلتُ إنّ الرأي الذي ذكرته آنفًا يبدو لي موقفًا ضالاً ، وهو في الوقت نفسه غير ضالّ . إذ إنّنا اليوم لا نعرف بعد من ينطق باسم الإسلام . قد يُدعى أحدُهم مسلمًا لأسباب ثقافيّة ، وقد يكتب ويتكلّم على الإسلام ، أي عن دين لا يلتزم به . وإنّي لأتمنّى أن يصارحنا بذلك من قبلُ ، ويقول إنّه يتكلّم بصفته عالمًا بالإسلاميّات ، لا كمفكّر مسلم . يبدو لي أنّ منهم من يبغي الشبهات لأسباب يجب تحليلها بدقّة . فإن كنتُ أنا أتكلّم في هذا المحضر - وأودّ أن أؤكّد ذلك - فإنّي أتكلّم كمسلم ، لا باسم الإسلام ، إذ ليس لديّ أيّ سلطان يبرّر ذلك ، وليس هناك ، ورائي أيّة مؤسّسة ، ولأنّي أنكر على أيّ شخص آخر حقّه بالتكلّم باسم الإسلام . إنّ الله لم يجعل أحدًا حفيظًا على الآخرين ولم يخوّله أن يتكلّم باسمه . هناك فرقة مسلمة واحدة ، وهي الطائفة الشيعيّة ، تتّبع رأيًا آخر : فإنّها تنتظر إمامًا سيتكلّم باسم الله، ولكنّه يعيش في الغيبة إلى موعد غير محدّد . فالذين ينتظرونه ، هم أحرارٌ في ذلك . أمّا أنا فأصرّح بأنّي لا أنتظره ، دون أن أنكر على أحدٍ الحقّ بأن يبغي ذلك ، وأعتبر ذلك أمرًا مشروعًا وصالحًا . هذا لأصارحكم عن موقفي الشخصيّ .

الدين إزاء قضيّة الحقيقة

إنّ السيّد تروتّ ، عندما تكلّم على الحقيقة تطرّق إلى قضيّة شائكة وصعبة جدًّا ، وذلك ليس فقط على الصعيد اللاهوتيّ ، بل أيضًا على الصعيد الفلسفيّ والإنسانيّ . فمن جهة كلّ واحد منّا مقتنع بلا شكّ أنّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هناك حقيقة ، إذ إنّه غُرس فينا حِسٌّ طبيعيّ يوعينا على أننّا بشر ، ويوقظ فينا الشعور الشديد بأنّ هناك حقيقة قائمة في ذاتها غير قابلة للجدل . ومن جهة أخرى يصعُب أن يقرّر أحدٌ أين تكمن وكيف يجب تحديدها . وبالوقت عينه نجد في شأنها عددًا من الآراء . فهناك المغالطون الذين ينكرون أن تكون هناك حقيقة مطلقًا ، ويقرّرون بأنّ هناك فقط طريقة مضلّة لإظهار ما للحقيقة المزعومة وما عليها ، ممّا لا يستطيع أن يرضي العقل . فلنذكر " الوسادة الهنيئة " التي كان يحبّها ميشال مونتاني (Michel E. Montaigne توفّي ١٥٩٢) . ولا أدري كيف يمكن النوم عليها بسكون ، دون الوقوع في اللامبالاة – وهذا هو الدين في عصرنا . فإن اعتبرنا الحقيقة مغالطة لا غير ، نتج عن ذلك القول بالنسبانيّة ، أي بأنّ الحقيقة نسبيّة وأنّ كلّ واحد له حقيقته . الصحيح في ذلك هو أنّ لكلّ واحد طريقة في إبصار الحقيقة وفهمها . أمّا إن قبلنا بنسبيّة مطلقة ، فأين تبقى الحقيقة ؟ لذا ينبغي أن نتخطّى النسبانيّة المطلقة .

إنّ لدى الإنسان استطاعة طبيعيّة لمعرفة الحقيقة

لقد نشرتُ مقالة سعيتُ أن أبيّن فيها أنّ كلّ إنسان له دعوته ، أنّ لديه حسًّا يُشعره بما هو حقّ وبما هو عدل [١٠] . وهذا الحسّ مخلوق فيه . ولذلك يحمل كلّ إنسان الحقيقة في ذاته . ولقد تساءلت هل يوجد في النصوص المقدّسة ولا سيّما القرآنيّة منها ما يؤيّد هذه النظرة . هناك في القرآن آية تدعى عمومًا آية الإشهاد (القرآن ٧: ١٧٢) ، فيها يسأل الله ، عندما لم تكن الخليقة كلّها سوى تصميم محض ، ذاك الذي سيصبح إنسانًا ،

---

[١٠] راجع :

M. Talbi, " La liberté religieuse: droit de l'homme ou vocation de l'homme ", in : *Actes de la IV^e Rencontre Islamo-Chrétienne*, Tunis 1988, 171-201.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أي يسأل الإنسان السابق ، في مرحلة ما قبل الخلق : " ألستُ بربّكم " ، فيجيب الإنسان : " بلى شهدنا " . هذا ما أعنيه بقولي إنّ في الإنسان من قبل خلقه استطاعة معيّنة لمعرفة الحقيقة ، وهنا الحقيقة بمعناها المطلقة ، أي الحقيقة العليا ، أي المطلق الذي منه يأتي كلّ شيء وإليه يرجع كلّ شيء . وبهذا المعنى يمكن القول بحقيقة قائمة في ذاتها وتكمن في الوقت نفسه في قلب الإنسان . الإسلام يصف ذلك بالفطرة .

التعدّديّة ضروريّة من أجل الحرّيّة

أمّا التعدّديّة ، فإنّها ضرورة لازمة من أجل حرّيّة الإنسان ، إن وافق المرء على أنّ الإنسان يحمل في ذاته مفهوم المطلق واستطاعة معرفة الحقيقة ، وخصوصًا إن اقتنع بأنّ الله أراده كائنًا حرًّا . أوَيستطيع الإنسان أن يختبر حقًّا حرّيّته ، إن لم تكن لديه إمكانيّة نفي الحقيقة ؟ هنا يظهر اختلاف السبل – إلى حدّ أنّ الإنسان لدى اختباره سبيلاً معيّنًا يستطيع أن ينفي الحقيقة – كشيء تابع لذات الحرّيّة البشريّة ، ومن ثمّ كأمر ضروريّ . وبعبارة أخرى : إنّ التعدّديّة ضروريّة لتكون الحرّيّة ممكنة . والقرآن يشير إلى ذلك بطريقة مغلّفة بالأسرار ، في مجال التعرّض لمشكلة الشرّ وما يتبعها (راجع القرآن ٥: ٤٨؛ ٦: ١٦٤؛ ١٦: ٩٢؛ ٣٩: ٤٦) .

نحن مدعوّون معًا لنكون شهودًا لإبراهيم

أمّا بالنسبة إلى الإسهام في إقامة عيش مشترك ، فإنّي أودّ أن أشير إلى الفكرة الأساسيّة لمحاضرة سألقيها في تشرين الأوّل القادم في سافونا ، وعنوانها " إبراهيمُ أمّة " [١١] . رغبتي هي أن أدعو جميع المؤمنين الذين ينتمون

---

[١١] صدر موجز للمحاضرة تحت العنوان التالي :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى إبراهيم إلى أن يتخطّوا اختلاف مواقفهم ، على الأقلّ على الصعيد التطبيقيّ ، باتّجاه مسلك مشترك ، ليكونوا حقّا شهودًا لإبراهيم . نجد في القرآن ، كما في الكتاب المقدّس ، آية واضحة جدًّا تسترعي الانتباه : " إنّ إبراهيم كان أُمّة " (قرآن ١٦ : ١٢٠) . إبراهيم هو إذن أمّة وجماعة . ونحن نستطيع أن نجتهد معًا في إنشاء " جماعة إبراهيم " هذه ، وهي تصلح لأن تكون موضوع اتّفاق وقاعدة صالحة لنشاط مشترك .

سلومب (Slomp) :

لقد بدأنا نطبّق ما هو مشترك بيننا

إنّ التصاريح لا تغيّر أوضاع العالم . علينا أن نقوم بالعمل . لذلك أنا سعيد بأنّ كلمة البروفسّور طالبي ومحاضرة البروفسور ترولّ من قبلُ ، قد نبّهتا إلى ضرورة بذل الجهود المشتركة من قبل المسيحيّين والمسلمين على صعيد العمل التطبيقيّ . وفي الواقع قد تمّ تحقيق جزء من العمل المشترك ، إذ قد اهتممنا نحن في أوروبّا بإنجاز مقترحات مختلفة . فقد أُلّفت لجان مشتركة كثيرة من مسلمين ومسيحيّين تعمل في سبيل إثبات أشكال محسوسة من التعايش والتضامن . ومن المهمّ خاصّة أنّها تثبّت علاقات الكنائس المحلّيّة والمساجد المحلّيّة . وإنّي لأحيّي مسبّقًا اليوم الذي فيه تقيم كلٌّ من المساجد الستّة آلاف في أوروبّا الغربيّة (وكذلك في أوروبّا الشرقيّة) علاقة بالكنيسة المحلّيّة ، فيشعر كلاهما بمسؤوليّته تجاه الآخر .

خطر الانعزال الجديد

إنّي أشدّد على ذلك ، تفاعلاً مع مؤتمرٍ عُقد قبل سنوات في " معهد

" Tornare alla tomba di Abramo ", in: *Coscienza* (Movimento Ecclesiale di Impegno Culturale) 50 (1998), n° 5, 9-12.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالم العربيّ" بباريس . هناك أشير إلى وضع يرجع إلى تأثير الأحزاب اليمينيّة من جهة وإلى العنصريّة والبطالة من جهة أخرى ، وهو أنّ المجتمع المضيف والجماعات الجديدة المؤلّفة من الضيوف المسلمين ينجرّون إلى الانعزال بعضهم عن بعض ، فتظهر نزعات إلى إنشاء قطاعات مغلقة [١٢] . فيبدو لي من ثمّ من باب الضرورة الملحّة إنشاء مجتمع متعدّد .

بلعربي

الحقيقة في تشادّ بين الحوار والتعدّديّة

ليس اختصاصي علم الدين . فأنا أحاول الفهم من منظار علم الاجتماع وعلم التربية . لقد وردت في محاضرة السيد تروّل ثلاثة مفاهيم : الحقيقة ، والحوار ، والتعدّديّة .

أمّا الحقيقة فيمكن تحديدها كمجموعة مبادئ ووقائع لفهم العالم كما هو ، وربطها أيضًا بالبحث عن الحقيقة ، ومن ثمّ يمكن الكلام على نسبيّة الحقيقة ، كطرف علاقة .

أمّا الحوار فيتّسم بالتفاعل والتأثير المتبادل . وهو ممكن عندما يعي المرء أنّ الحقيقة لا يمكن أن يحتكرها أحد بمفرده ، بل هي غرض يُبحَث عنه بالحوار وإعمال الفكر في ما قد تمّ الاعتراف به سابقًا كحقيقة مطلقة .

وأن تكون التعدّديّة تعني الاعتراف بالمغايرة ، فهذا ممّا لا شكّ فيه ، ومهما يكن من أمر ، فإنّي ألاحظ تناقضًا ما بين مفهوم الحقيقة ومفهوم

---

[١٢] لقد صدر البيان في الكتاب التالي :

R.Bistolfi - F. Zabbal, *Islams d'Europe. Intégration ou insertion communautaire?* Paris 1995.

في هذا الكتاب ورد لأوّل مرّة استعمال كلمة الإسلام بصيغة الجمع ، دلالة على إمكانيّة تعدّد تأويل الإسلام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التعدّديّة . وفقًا لما قاله السيّد ترولّ ، يستند موقف الكنيسة على حقيقة تعتبَر واحدة . وأنا أتساءل : كيف يستطيع أحدٌ أن يدخل في حوار ، إن كان موقفه معلّقًا بحقيقة لا يملكها الآخرون ؟ وكذلك أتساءل ، هل وبأيّ قدر يمكن التوفيق بين الحقيقة التي يظنّ المرء أنّه يمتلكها ، والتعدّديّة لا في المجال الدينيّ فقط ، بل أيضًا على الصعيد السياسيّ والعرقيّ والاجتماعيّ والثقافيّ . وبعبارة أخرى : كيف تستطيع الحقيقة الاعتراف بالمغايرة ؟

هل هناك تعدّد مشروع في فهم الحقيقة ؟

إنّا نشترك هنا في مؤتمر مسيحيّ إسلاميّ موضوعه " عالم واحد للجميع " . لماذا لا نُقرّ بتعدّد الحقائق ونفكّر بالتالي ، مسيحيّين ومسلمين ، بحقيقة تنبع من الإيمان با لله الواحد الأحد من جهة ومن الإيمان بالإنسان من جهة أخرى ، ذلك الإنسان الذي هو كائن روحيّ ، اقتصاديّ ، اجتماعيّ ، ثقافيّ ؟ ألا يتضمّن هذا الإيمان بالإنسان احترام حرّيّة الفرد وكرامته ومبادئ المساواة والعدالة بين الناس ؟

تانيا (Tania) :

إنّ الدعوة إلى التوبة موجّهة إلى الجميع

أنا قسّيس بروتستانتيّ من إندونيسيا ، وقد سرّني أنّ الدكتور ترولّ قد تطرّق إلى طائفة من أسئلة تُطرح ضمن كثير من الجماعات الدينيّة بالنسبة إلى قضيّة الحوار والتعدّديّة . وأنا من جهتي أودّ أن أؤكّد ما قاله في التوبة . ففي المفهوم المسيحيّ تعني التوبة الاستعداد للارتداد . والارتداد لا يعني أنّ أتباع الأديان الأخرى يجب أن يرتدّوا إلى المسيحيّة . بل الأمر هو أنّا نحن ، أتباع الديانات العديدة ، علينا أن نرجع دومًا ومجدّدًا عن طريقتنا في فهم الأشياء لنرتدّ إلى الطريقة التي بها يرى ا لله الأشياء . أليس أنّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلمة "أمّة" تعود إلى أمّ ، إلى أمّ للمؤمنين . هذا يطابق تمامًا مفهوم الكنيسة كأمّ للمؤمنين . وهكذا آمل أن تبادر الكنيسة إلى إدراج أتباع أديان كثيرة في حركة مسكونيّة واسعة .

لا ينبغي الفصل بين النظام القانونيّ والنظام الأخلاقيّ

انطلاقًا من ذلك أودّ أن أورد بعدُ بعض الخواطر التي تتعلّق بالتمييز بين النظام القانونيّ والنظام الأخلاقيّ . إنّي أرى أنّنا حتّى في نظرتنا المسيحيّة إلى الأمور ، لا نقبل بالفصل بين الكنيسة والدولة ، بل نتبع مبدأ التمييز بين سلطة كنسيّة وسلطة مدنيّة . وهكذا فإنّ بلدًا مثل إندونيسيا يؤلّف فيه المسلمون أكثريّة السكّان ، لا يقوم على الشريعة الإسلاميّة كقاعدة قانونيّة ، بل بطريقة أوسع على قيَم سكّانه الثقافيّة . ولكن بما أنّ المسلمين هم الأكثريّة ، فمن القسط أن يأخذ قانون الدولة ببعض القيَم الاسلاميّة . فالفصل التامّ بين النظام القانونيّ والنظام الأخلاقيّ يظهر لي غير مستحبّ . ولكن علينا بالأحرى أن نتحوّل من مفهوم سياسيّ وقانونيّ للدين إلى دين يتّسم بنوع أشدّ بالبُعد الأخلاقيّ والصوفيّ . وهذا يكون من صالح الجميع .

إنّ الانفتاح على الآخرين هو فرض الساعة

إن نحن تحدّثنا عن وضع تعدّديّ لأديانّنا ، فهذا يعني أنّنا في الوضع القائم لا يمكننا أن نحيا دون علاقات متنوّعة مع الجماعات الدينيّة الأخرى . ولذلك حان الوقت لنعي ذلك وننتقل إلى مجال تطبيقه . إنّ المسلمين والمسيحيّين عليهم اليوم أن يتعلّموا أن يعيشوا في جوّ هذا التحدّي . هذا يفرض علينا أن نتوب ونرتدّ ، لا بمعنى أن ننتقل من دين إلى آخر ، بل أن يكون لدينا الاستعداد الباطن لنرتدّ إلى سُبُل الله ونتجرّد دومًا ، في حياتنا ، من النظرة البشريّة المحضة للأمور .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحمد :

لا شيء دينيّ محض أو علمانيّ محض

عُقدت مؤخّرًا في كراتشي حلقة حول الموضوع التالي : " القيَم المسيحيّة العَلمانيّة والمجتمعات الإسلاميّة " ، حُدّد فيه المجتمع المسيحيّ كمجتمع عَلمانيّ ونُصب من قبل الإسلاميّين مقابل المجتمع الدينيّ . إلى أيّ مدى يمكن فهم المجتمع المسيحيّ كمجتمع عَلمانيّ ، هذه قضية متنازع فيها . ولعلّ المجتمع المسيحيّ قد قرّر يومًا أن يتّخذ شكلاً عَلمانيًّا للحياة فميّز بين القطاعات الدينيّة والعَلمانيّة ، فيما لم يستطع المسلمون حتّى اليوم أن يميّزوا بينها ، وما لبثوا يعتبرون الدين قوّة تهيمن على الحياة كلّها . أمّا أنا فأرى وفقًا لنظريّة غير واسعة الانتشار ، أنّه لا يصحّ استعمال المفهومين كليهما – الدينيّ والعَلمانيّ – لوصف المجتمع الاسلاميّ . فليس هناك أيّ شيء هو دينيّ محض أو عَلمانيّ محض . كِلا القطاعين مرتبط الواحد بالآخر ارتباطًا وثيقًا ، بحيث أنّ كلّ مجتمع مرتكز على الاختبار الدينيّ يضمّ مُثُل العدالة الاجتماعيّة والسماحة والتناغم يمكن وصفه بالإسلاميّ . وهكذا فليس تركيب نظريّة لاهوتيّة هو ما يقود إلى الهويّة الإسلاميّة ، بل الأفكار الأخلاقيّة التي لا ترتكز على المنفعة الخاصّة .

حقّ الشخص – وحقّ الحقيقة

ولي ملاحظة على محاضرة البروفسّور تروتّ . إنّه جاء بعدد من المقولات ، مثلاً بأنّ من خصائص الحقيقة أنّها لا إكراه فيها من الخارج . وقال إنّ الكنيسة تنطلق اليوم من " حقّ الانسان " ، لا من " حقّ الحقيقة " . إنّ التمييز هذا يجب التطرّق إليه من نواحٍ عدّة . ولكنّ العبارة تظلّ بحدّ ذاتها صحيحة . إنّ " حقّ الحقيقة " لا يمكن الإكراه عليه بواسطة الأوامر . الحقيقة تُقبل أو تُرفض بإرادة الشخص الحرّة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولويّة الرسالة النبويّة والاختبار الدينيّ

إن كنّا نريد أن نفهم الإسلام ، فلا بدّ من التمييز بين اللاهـوت (أو قل الكنيسة عند المسيحيّين) والإسلام المحـض . اللاهـوت يعـرض في عبـارات محدّدة ما يعنيه الإسلام كدين ، ولكنّه لا يمكن حصر هويّته في هذه العبـارات ، ولا اعتبارها كافية للتعبير عنه تعبيرًا خالصًا . العبارات مركّبـات ، وقـد يكـون هناك عدد من مركّبات ، لا يمكن نعت أيٍّ منها بالضلال . إنّه مـن حـقّ الشخص ، كما يقول البروفسّور ترولّ ، أن يتقبّل كلّ واحـدة مـن هـذه العبارات ، أو أن يرفضها جميعها ، ومع ذلك يلبث " إنسانًا متديّنًا " أو مسلمًا .

عمومًا يقوم النقاش في حلقات الحوار حول مركّبـات معيّنـة تصـف الإسلام كتجسيد للحقيقة الأخيرة . هذا يعكّر البصر ولا يطابق الديناميّة التاريخيّة لمفهوم الإسلام .

لقد اتّبع الإسلاميّون منذ قرون في مناقشات لاهوتيّة وقانونيّة أسلوبًا استخراجيًّا ، واستعملوا نصوص القرآن والحديث كمقدّمـات لاسـتنتاجاتهم . إنّي أخشى أن يكون ذلك منطقًا معكوسًا . فمتى سُلك هذا الأسـلوب ، غاب التوجّه الأساسيّ للتعاليم النبويّـة والاختبـار الدينيّ ، وتحوّلـت الرسـالات النبويّة إلى مجموعة عبارات يُحكم فيها أنّها صحيحة أو باطلة .

ولعلّه من الممكن ، من الطرف المسيحيّ والمسلم تطوير مفهوم أعمق ، إن عَلِمنا أنّ اللاهوت هو مجموعة مركّبات وأنّ صحّة هذه المركّبـات أو بطلانهـا لا تعكس إلزاميّة الاختبار الدينيّ والرسالة النبويّة . وهذه الرسالة هـي الأسـاس المشترك ، كما أعلن القرآن : " تعالوا إلى كلمة سَـواءٍ بيننـا وبينكـم (٣: ٦٤) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأكيدات الدينيّة بامتلاك الحقيقة
وعلاقتها بالتعدّديّة الاجتماعيّة والسياسيّة

السيّد محمد الخامنئي
طهران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم الرحيم الذي وهب العقل والحكمة لعباده ليميّزوا الخبيث من الطيّب ويختاروا الأفضل ، وخلق فيهم القلب المفعم بالحبّ ليكنّ الإنسان الوُدَّ لسائر المخلوقات ويتعامل بالرحمة والإحسان . وسلام الله على أنبيائه العظام محمّد وعيسى المسيح وموسى وإبراهيم وبقيّة الرسل الذين بعثوا لهداية البشريّة إلى سعادة الدنيا والآخرة وتحمّلوا ما لا يُطاق من العناء في هذا السبيل .

أقدّم سلامي واحترامي إلى كافّة الحضور الكرام ضيوفًا ومضيفين ، لا سيّما الأخ العزيز البروفسّور الدكتور بشته ، وكلّ أولئك الذين أتاحوا هذه الفرصة لكي أساهم في هذا المؤتمر المهمّ . ولا بدّ أيضًا من تقديم أسمى آيات الشكر إلى وزير الخارجيّة المحترم ومؤسّسة سانت غابريل ومعهد القدّيس جبرائيل الذي وفّر إمكانيّة عقد هذا المؤتمر بهذه الصورة المنتظمة الدقيقة .

سيّدي الرئيس ، أيّها الضيوف الكرام ،

أبدأ حديثي بهذه الآية القرآنية الكريمة : " إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأنا ربّكم فاعبدون "[١] .

نحن نمرّ اليوم بمرحلة تاريخيّة وحسّاسة شعر فيها الإنسان بالإرهاق من جرّاء التناحرات والحروب والعداوات والتكتّلات ، ولم يَجْنِ شيئًا من عمليّات القتل والغزو والاعتداء على حقوق الآخرين ، وبات يحلم بأمن عالميّ وتعايش حقيقيّ خالٍ من الحروب الباردة .

إنّ الشعوب في هذا اليوم تشعر أكثر من أيّ وقت مضى بعلاقة الجوار ، كما أنّ وسائل الاتّصال والإرسال العامّة ، قد جعلت من عالم الأمس الكبير الواسع عالمًا صغيرًا ، وكان الأجدر بالبشريّة ، ورغم كافّة الاختلافات القائمة بين أفرادها ، أن تشعر كأنّها أسرة صغيرة متآلفة وليست جماعات متفرّقة تعيش على هذه الكرة الأرضيّة الواسعة .

وتُعدّ أحدَ أهداف بعثة الأنبياء الحيلولةُ دون الانفصام المعنويّ لبني الإنسان والتشتّت الروحيّ ، وهو عَينُ ما أخبر عنه القرآن ودعانا إليه ، وعدّه الأسلوب الطبيعيّ الوحيد لحياة هادئة هانئة حافلة بسعادة الإنسان والمجتمع العالميّ .

وأطلعت الآية السابقة كافّة أفراد الإنسان على أنّهم كيان واحد وأسرة واحدة ، عبّرت عنها بكلمة " أمّة " . والأمّة بالمعنى اللغويّ مجموعة طبيعيّة من الناس تجمعهم أواصر عاطفيّة وعرقيّة ، وهي وكلمة " أمّ " من جذر واحد ، ولهذا فإنّ العطف والمحبّة والتضحية هي سُداة ولُحمة هذه المجموعة الإنسانيّة الواحدة . وقد أشارت الآية ٢١٣ من السورة الثانية في القرآن إلى الخلفيّة التاريخيّة للأمّة الواحدة ، كما ورد في الآية ١٣ من السورة ٤٩ بشكل صريح : " يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذَكَر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائلَ لِتَعارَفوا " ، أي إنّ هذه الاختلافات ستؤدّي إلى تعرّف بعضكم على بعض لا

---

[١] الآية ٩٢ من سورة الأنبياء ، والآية ٥٢ من سورة المؤمنين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى تفرّقكم .

وعلى ضوء هذه النصوص القرآنيّة ، فإنّ هناك مجتمع بشريّ مقدّس واحد من وجهة نظر الإسلام والله ، لا امتياز فيه للاسم والعرق والأرض ، ومحظور فيه ظهور أيّ نوع من التزعزع ، وعدم التناسق ، والتنافر ، ويعدّ ذلك نوعًا من التمرّد والتخلّف القانونيّ .

ولمّا كان من الضروريّ أن يكون لكلّ مشروع اجتماعيّ وقاعدة حقوقيّة ، جذورٌ فلسفيّة وموقع طبيعيّ لكي لا تزول بمجرّد هبوب العواصف الاجتماعيّة والسياسيّة ، فإنّ مشروع الأمّة الواحدة في الإسلام – بمعنى التعدّديّة السياسيّة والاجتماعيّة – ذو عناصر وجذور أشار إليها حديث شهير للرسول محمد (ص) . لقد قال هذا الرسول العظيم في وصيّته المعروفة في آخر سنة من حياته : " أيّها الناس ألاَ إنّ ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، كلّكم لآدم ، وآدم من تراب ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم " [٢] .

وفي هذه الوصيّة التاريخيّة عناصر مهمّة قائمة على أساس التقارب (Togetherness) والمساواة الحقيقيّة بين الناس ، يمكن من خلالها تحقيق الحقوق الطبيعيّة والأساسيّة لهم . وبهذه الطريقة شجّع الرسول (ص) أفراد البشر ليعترف كلٌّ منهم بحقوق الآخر ، ويبذل جهوده ويساهم في تحقيق سعادة الإنسان والحيلولة دون حبّ الاستعلاء والحرب والنهب .

والوثيقة الأخرى التي في أيدينا هي قولٌ لخليفة الرسول الإمام عليّ (ع) جاء في عهده الذي كتبه لواليه على مصر : " وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة ... فإنّهم صنفان : إمّا أخ لك في الدين ، وإمّا نظير لك في الخلق " .

وسنتناول هذه العناصر الواردة في هاتين الوثيقتين بالمقدار الذي يتعلّق ببحثنا ، لكي يكون ذلك تمهيدًا للبحوث الأخرى .

---

[٢] مسند أحمد ، ٤١١/٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العنصر الأوّل

ويمكن أن يكون أحد محاور التعدّديّة . إنّ الاهتمام بالاشتراك العرقيّ لكافّة الناس وانتسابهم إلى أب واحد وأمّ واحدة - أي آدم وحوّاء - في عالم نسي فيه الإنسان أصله ومصدره العرقيّ ، وتصوّر كلّ عرق أنّه أفضل من الآخر، جعل من الضروريّ التذكير بهذه الحقيقة الطبيعيّة والتاريخيّة .

فالأصل والنسب الإنسانيّ المشترك بإمكانه أن يكون مفيدًا في عودة البشر إلى التقارب والتعدّديّة ، وبعبارة أخرى إنّ التعدّديّة السياسيّة والاجتماعيّة يجب أن تتفرّع عن التعدّديّة العرقيّة [٣] . وأشار الأدب الفارسيّ مرارًا وتكرارًا إلى الوحدة البشريّة وشبّهها بجسم ذي أعضاء مختلفة . فقد قال الشاعر الإيرانيّ سعدي :

بنو الإنسان أعضاء في جسد واحد
لأنّهم خُلقوا من جوهر واحد
إذا ما تألّم أحد الأعضاء
شعرت الأعضاء الأخرى بالاضطراب

ويعتقد القرآن أيضًا أنّ الإنسان مخلوق من " نفس واحدة " ويقول : " خلقكم من نفس واحدة " ، كما يرى في آية أخرى أنّ قتل إنسان بمثابة قتل البشريّة بكاملها ، وإحياء إنسان واحد بمنزلة إحياء البشريّة بأسرها : " من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعًا ، ومن أحياها فكأنّما أحيا الناس جميعًا " [٤] .

العنصر الثاني

العقائد المشتركة والأصول العقائديّة المنسجمة ، لا سيّما الإيمان بالله، فقد

---

[٣] على العكس من التمييز العنصريّ والتفوّق العرقيّ .

[٤] المائدة ، الآية ٣٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عدّها القرآن من العقائد المشتركة وعبّر عنها بـ "كلمة سواء"، فمثلما عمل الاختلاف في العقائد والإيديولوجيات والأديان اليوم على تفرّق الشعوب وتمزّق المجتمع البشريّ، فإنّ الاهتمام بالمشتركات بين الناس في العقائد والأفكار الدينيّة والاجتماعيّة بإمكانه أن يكون أفضل وسيلة لنزوع الأمم نحو بعضها والتقارب بينها من أجل إيجاد "عالم للجميع".

والسبب في عودة القرآن أوّلاً للأديان السماويّة وصاحبة الكتاب، هو أنّها ذات دور أكبر ومسؤوليّة كبرى في اتّحاد البشريّة وانسجامها، وهذا لا يعني رفض التعاون مع باقي الناس.

وبإمكان الأديان الإلهيّة الكبرى أن تكون رائدة المجتمع البشريّ وقائدته ودليله نحو "عالم بمثابة أسرة واحدة"، من خلال نبذ "الخلافات العقائديّة" والتركيز على "المشتركات العقائديّة" وإعلانها على المستوى الدوليّ كميثاق سعادة الإنسان و"إعلان السلام والأمن الحقيقيّ للإنسان".

وأطلقَ القرآن على طريق سعادة واطمئنان الإنسان الذي يبدأ بالله وينتهي به، اسم "الصراط المستقيم"، ونحن أتباع الأديان الإلهيّة مسؤولون عن التعريف بهذا الصراط.

العنصر الثالث

الكرامة الإنسانيّة. الإسلام يعترف بكرامتين للإنسان:

الأولى: الكرامة الذاتيّة، والتي عبّر عنها القرآن الكريم بعبارة "ولقد كرّمنا بني آدم"، وهي نابعة من خلافة الإنسان لله ومحوريّته في هذا العالم. وعلى أفراد البشر أن ينظر كلٌّ منهم إلى الآخر انطلاقًا من هذه الرؤية، وأن يكون تعاملهم مع الآخرين قائمًا على الاحترام، بل ويسري ذلك الاحترام حتّى إلى أجسام الموتى وقبورهم.

والثانية: هي الكرامة المكتسبة التي يمكن الحصول عليها عبر الزهد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاحتراز من الذنب . ويجب أن نعرف أنّ هناك فرقًا بين الإنسان المحوريّ في الإسلام والأديان الأخرى ، وبين الإنسانيّة الدنيويّة ، لأنّ الدنيويّة تحذف الله على هذا الصعيد ، والإنسان لا يساوي شيئًا بدون منصبه كخليفة لله وبدون حضوره وإرادته وعونه . بل إنّ الكرامة الذاتيّة للإنسان يجب أن تكون منطقيّة ومعتمدة على دليل وقائمة على أساس .

إنّ الدنيويّة تنظر من زاوية تعدّديّتها السياسيّة (والتي هي أشبه بالنظام الآليّ والفيزيائيّ) إلى الإنسان دائمًا كأنّه جسم فيزيائيّ وبدن فيزيولوجيّ ، لا يتمتّع إلاّ بقيمة ماديّة ، ولا ينتج عن التقارب (Togetherness) بين أبناء الإنسان سوى جمع عدديّ ورياضيّ .

والإنسان ، وعلى ضوء ما له من مقام وكرامة ، يرى نفسه أكثر نزعة نحو التعدّديّة . ومن المناسب هنا أن نقول : بالإمكان الادّعاء أنّ كافّة الثورات التاريخيّة الكبرى التي قامت بها الشعوب الثوريّة ، إنّما حدثت بسبب تجاهل الحكومات لكرامة شعوبها الحقيقيّة ، وأنّ كافّة الحركات والتغييرات الاجتماعيّة والسياسيّة التي حدثت إنّما كانت من أجل استعادة الكرامة الإنسانيّة المهدورة . وكانت الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة الكبرى التي أطاحت بالنظام الملكيّ العميل ، وأعادت الحرّيّة والاستقلال إلى إيران ، واحدة من تلك الثورات ، وكان أحد أهدافها استعادة الكرامة الإنسانيّة مشفوعة بالحرّيّة والمساواة والاستقلال .

وانطلاقًا من ذلك فقد أكّدت الفقرة السادسة من المادّة الثانية لدستور الجمهوريّة الإسلاميّة وبعض الموادّ الأخرى على " الكرامة والقيمة الرفيعة للإنسان ، وحرّيّته التوأم مع المسؤوليّة أمام الله " . ومن المناسب أن أضيف في حضوركم ، أيّها الإخوة ، شكوى من " الدنيويّة " ، حيث أدّى التطلّع للاستقلال لدى هذه الأمّة ونزعتها نحو حفظ الكرامة ، إلى معاداة الدنيويّة العالميّة لها منذ انتصار الثورة وحتّى يومنا هذا ، وتعرّضها لهجماتها التي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تبلورت على شكل الحرب العسكريّة والحرب الباردة والمؤامرات والإعلام الكاذب المضلّل ، ولاتّهاماتها التي كانت بشتّى الصور الإعلاميّة والسياسيّة . ولا زال هذا الإعلام الدنيء مستمرًّا في عالم الغرب .

والنتيجة هي أنّ أبناء العالم يُقبِلون على التعدّديّة في النظام الأساسيّ والاجتماعيّ ويعلنون عن وفائهم لها في حالة حفظ كرامتهم الإنسانيّة واحترامها . والاهتمام بالكرامة الذاتيّة والمكتسبة للإنسان بإمكانه أن يكون قوّة (Potential) خلاّقة لتحرّك اجتماعيّ نحو تقارب (Togetherness) وتعاون طوعيّ بين الشعوب .

العنصر الرابع

العرفان هو ذروة التعدّديّة الإسلاميّة ، والعرفان الإسلاميّ من أعظم الإنجازات البشريّة ، حيث توجد فيه أعمق وأدقّ عناصر الفكر الإلهيّ الإنسانيّ ، وهو يمنح الإنسان أعظم القيَم .

ولمّا كان العامل الأصليّ الكامن خلف تشرذم الجماعات البشريّة وشعوب العالم هو النزعة الفرديّة أو العنصريّة ، فقد انبرى العرفان الإسلاميّ لعلاج هذا المرض من خلال آليّة نفسيّة وفكريّة أطلق عليها اسم " الوحدة في عين الكثرة – والكثرة في عين الوحدة " .

وفي هذه المدرسة تصل " الهويّة الفرديّة " – التي هي مصدر الكثرة والاختلاف إلى حالة تدعى " الفناء في الله " وعين الوحدة ، من خلال السلوك المعنويّ والنفسيّ المستمرّ في المعرفة القلبيّة لله وليس عن طريق الاستدلال والعقل .

وفي هذه المرحلة الكينونيّة والنفسيّة ، لا يبقى من الكثرة والهويّة الفرديّة للشخص (من وجهة نظره) أيّ شيء ، فيغرق ويذوب بأسره في وحدة وعظمة الله جلّ وعلا . وبما أنّ المجتمع البشري أحد مظاهر وجود وحدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخلق الله سبحانه ، لهذا فإنّ الشخص العارف يحبّ في هذه المرحلة كافّة أفراد الإنسان بدون استثناء ، ويكون مستعدًّا أن يحترق كالشمعة من أجل أن يضيء طريق البشريّة ويكون عاملاً من عوامل سعادتها وهنائها ، كما لا يرى هذه البشريّة رغم كثرتها سوى شيء واحد فقط .

وفي هذه المرحلة يعتقد العارف السالك أنّ كلّ شيء بالعالم متعلّق بالله ومظهر من مظاهره ، ويفيض حبًّا وحنانًا على كافّة الكائنات حتّى غير الإنسان ، ولهذا السبب يبعث العرفان الإسلاميّ على حبّ الناس ، والعارف لا يهتمّ بالقوميّة والعنصر والدين ، فالمسجد والكنيسة سيّان في رؤيته ، حيث إنّه يرى الله في المسجد وفي الكنيسة ، كما لا فرق عنده بين المسيحيّ والمسلم .

ويقول أحد هؤلاء العارفين ، وهو الشاعر الإيرانيّ سعدي :

أنا سعيد في هذا العالم لأنّ سعادة العالم منه
وأحبّ العالم بأسره لأن العالم منه

ويفسّر هذا الشاعر سروره وحبّه لكافّة الناس والكائنات لأنّ كافّة الناس من الله ومتّصلة بالله الذي هو الحبيب الحقيقيّ .

و" الإنسانيّة " في العرفان الإسلاميّ ، حقيقة غير قابلة للتجزئة ، كما ينظر إليها كأنّها جسم واحد لا يقبل الفصل بين أعضائه ، وأنّ العداء والاختلاف بين الناس دليل على الخروج عن الإنسانيّة .

ويقول الشاعر جلال الدين المولوي في مثنويه :

أرواح الذئاب والكلاب متنافرة
وأرواح أسود الله متّحدة

أي إنّ الأناس متّحدون بعضهم مع بعض ومتآلفون ومتوادّون ما داموا أناسًا ، لأنّ الإنسان في الفكر الإسلاميّ والقرآنيّ خليفة الله ، ويجب أن يكون – مثل الله – مظهرًا للحبّ والودّ ، في حين أنّ الاختلاف والحرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من علامات الكآبة والكَلَب وخارجة عن تعريف الإنسان .

وكما لاحظنا حتّى الآن فإن التعدّديّة أو بتعبير آخر " تقارب المجتمع البشريّ " من أيّ دين وعنصر وثقافة ، أمر واضح وبديهيّ ومقبول في العقيدة والحقوق الإسلاميّة، وهو من أوضح الواضحات بالنسبة للمجتمعات الإسلاميّة .

وفي " الحديث " ، الذي يعدّ أحد مصادر التشريع الإسلاميّ ، أنّ الناس أعضاء أسرة واحدة مهما كان عنصرهم ودينهم . فقد ورد في الحديث النبويّ : " الخلق عيال الله وأحبّهم إليه أنفعهم لعياله " .

ومن هذا ، فإنّ الإسلام لا يجد أيّ مشكلة إزاء التعدّديّة العالميّة ، وهذه القضيّة – وخلافًا للمجتمع السياسيّ لبعض البلدان غير الإسلاميّة – قد حُلّت بين المسلمين ، بل هي جزء من عناصر الثقافة الإسلاميّة .

وقد أثبت التاريخ هذا الادّعاء ، حيث نجد في تاريخ الإسلام – ورغم سوء تعامل الأديان الأخرى مع المسلمين – نوعًا من التعايش يفوق التسامح الدينيّ أو العرقيّ بين المسلمين وأتباع الأديان الأخرى . فقد سجّل التاريخ الإسلاميّ أسماء الكثير من النصارى أو اليهود ممّن نالوا مناصب وزاريّة وغيرها في البلاد الإسلاميّة ، حتّى قيل إنّ أغلب وزراء الفاطميّين في مصر كانوا من النصارى . وفي بلدنا اليوم ورغم أنّ النصارى أقلّيّة صغيرة ، إلاّ أنّ لهم ثلاثة نوّاب في البرلمان ، وبإمكانهم نيل مناصب أعلى ، كما أنّ البعض منهم يشغل حاليًّا مناصب حسّاسة ومهمّة .

هذا في حين لا يُشاهَد – على حدّ علمي – في أيٍّ من البلدان الغربيّة وجود وزير أو عضو برلمانيّ مسلم ، ورغم مرور قرون على القانون الإسلاميّ ، ورغم الشعارات التي تُطرح في أوروبّا عن حقوق الإنسان والتحرّريّة والخيريّة ، ورغم أنّ الإسلام هو الدين الثاني فيها . بل إنّ الدول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي ترفع لواء التحرّريّة والحرّيّة وحقوق الإنسان لا تطيق رؤية حجاب المرأة المسلمة ، وتحرمها من التعليم بسبب ذلك ، فضلاً عن قلّة مشاهدة الحرّيّات الحقيقيّة والأساسيّة الأخرى .

وإذا ما أردنا أن ننظر إلى هذه الظاهرة من زاوية علم الاجتماع ، فيجب أن نقول إنّ التعدّديّة – وكما هو الحال بالنسبة للدنيويّة (Secularism) والشيوعيّة والمذاهب المشابهة أو مبادئ حقوق الإنسان والتسامح الدينيّ ، التي ظهرت لأوّل مرّة في أوروبّا – هي ظاهرة طبيعيّة ناجمة عن الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة التي كانت سائدة في هذه القارّة ، ولا زالت موجودة إلى حدٍّ ما ، ولهذا السبب لجأ الغربيّون إلى دراستها وعلاجها قبل غيرهم . غير أنّه لا التعدّديّة ولا حتّى الظواهر الاجتماعيّة الأخرى ، لم تكن بالأمر الطبيعيّ في المجتمعات الإسلاميّة ، ولم تولد في هذه المجتمعات ، وإنّما هي دخيلة ووفدت إليها من الخارج بشكل مفروض وإيحائيّ ، ولهذا السبب فقد تؤدّي هذه الكلمات أحيانًا إلى تضليل المسلمين وحيرتهم ، لأنّهم لا يفهمون المقصود منها على وجه الدقّة . إلاّ أنّ طرح التعدّديّة في الغرب إنّما كان بسبب الاختلاف بين ثقافته والفلسفة الفرديّة والعنصريّة ، ولهذا لم يكن ليخضع للتعدّديّة ولا حتّى للاحتمال والتسامح . ولا زالت حتّى اليوم في بعض المجتمعات الأوروبّيّة والأمريكيّة حركات مناهضة للعرق والدين تؤدّي إلى إحداث المزيد من الخسائر . وهذه النزعة المشاهَدة في الغرب تُعدّ عقبةً كَأداء في طريق التعدديّة .

الحدود والشروط

وبعد الانتهاء من هذا الموضوع ، من المناسب أن نشير إلى حدود وشروط مثل هذه التعدّديّة الاجتماعيّة والسياسيّة من وجهة نظر الإسلام .

وبالرغم من الشرعيّة التي يقوم بها الإسلام للتعدّديّة ، بل وأكثر من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك بالرغم من اعتبارها أمرًا فطريًّا ، لا يمكن أن ندّعي أنّه لم يضع لها شروطًا وحدودًا ، كما لا يمكن أيضًا الادّعاء بعدم وجود ما يقلق على الصعيد السياسيّ . لهذا لا بدّ أوّلاً من تناول شروط التعدّديّة في الإسلام ثم القلق السياسيّ الذي ينتاب المجتمع الإسلاميّ .

١) لو كانت للتعدّديّة السياسيّة جذور دينيّة ، فمن البديهيّ جدًّا أن لا تتعارض في طبيعتها مع مبادئ الدين وقوانينه المعترف بها ، وأن لا تحاول تجاهلها . ولهذا فإنّ الشرط الأوّل من شروط التعدّديّة السليمة هو الانسجام مع المبادئ والأصول المشتركة بين الأديان ، وعدم مخالفتها عمليًّا للوحي والقرآن ، وإلاّ فإنّها ستفقد شرعيّتها ولا يمكن أن تكون ملزمة للشخص المؤمن .

وكما قلنا فإنّ التعدّديّة في الغرب هي نتاج الثقافة والأوضاع السياسيّة التي تلت مرحلة ما بعد الثورة الفرنسيّة ، وإنّها على علاقة قويّة مع الليبراليّة المتطرّفة . ولهذا ومن أجل تجنّب أيّ فوضى خُلُقيّة وسلوك ناجم عن الفهم الخاطئ من الليبراليّة ، لا بدّ من إبعاد التعدّديّة المقبولة لدى الأديان عن ثقافة الليبراليّة المتطرّفة .

والحرّيّة عند الأديان الإلهيّة تُعدّ إحدى القيَم الكبرى وأحد الحقوق الأساسيّة للإنسان ، لكنّها يجب أن لا تتحوّل وفق الأسلوب الليبراليّ إلى حرّيّة مطلقة أمام النزعات الطبيعيّة الجامحة ، حيث ستَعْني الحرّيّة الحيوانيّة والتي تنسجم مع حياة الغاب . ولهذا لا بدّ من إضافة شرط رعاية المبادئ الخلقيّة ، فالتعدّديّة التي لا تلتزم بالأخلاق ، لا تليق بالمجتمعات الإنسانيّة .

٢) والشرط الآخر لتحقيق "عالم من أجل الجميع" بصورة واقعيّة ، وجود المساواة وعدم التمييز . ونحن نرى عدم تحقّق التعدّديّة دون توفّر الحقوق الاجتماعيّة المتساوية ، لا سيّما على الصعيد الدوليّ ، بل إنّ الشرط الأوّل لهذا الهدف افتراض تساوي كافّة الشعوب والبلدان وعدم وجود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تفوّق عنصريّ أو قارّيّ .

ونحن ، وانطلاقًا من اعتقادنا بأنّ المجتمع الدوليّ هو " عيال الله " والله هو رئيس هذه العيال ، ونتطلّع لتحويل العالم إلى " أسرة للجميع " ، يجب أن نجعل مبدأ " المساواة في الحقوق الذاتيّة " هو المبدأ الأوّل في ذلك المجتمع ، وأن لا نسمح للبعض كي يلعب دور العضو الأكبر ، وأن لا يتمتّع بحقّ النقض ، لأنّ رحمة الله واحدة للجميع ، وإذا كان هناك امتيازٌ ما فيجب أن يكون في القضايا الإراديّة كالتقوى ومستوى الخدمة المقدّمة للبشريّة . وورد في الحديث (أحد المصادر الإسلاميّة) : " قيمة كلّ امرئ ما يحسنه " .

٣) والشرط المهمّ الآخر والأساس في إيجاد نظام جماعيّ عالميّ ، هو " رفض الهيمنة " ، كي يمكن بهذه الطريقة وتحت لواء التعدّديّة سلب أيّ ذريعة من يد القوى العالميّة لفرض هيمنتها على الآخرين . وبانعدام هذا الشرط ستتحوّل التعدّديّة إلى أحديّة والديمقراطيّة إلى استبداد عالميّ .

وقد أدان القرآن الهيمنة وعدّها " علوًّا وفسادًا " ، سواء كان ذلك على الصعيد المحلّيّ أو الدوليّ ، واعتبرها سببًا في الفساد والدمار ، ولا يجيزها لنفسه ولا للآخرين (قابل المادة الثانية من الدستور) .

أمّا العلاقات السليمة مع باقي الشعوب فيجب أن تقوم على أساس الالتزامات الثنائيّة والاحترام المتبادل لسيادة الدول والشعوب ، وعلى أساس " الثقة " ، وعلى كافّة أعضاء هذه المجموعة العالميّة والأسرة الدوليّة العمل بكافّة التزاماتها .

وإنّ أيّ إجراء دوليّ – سواء كان عدوانًا صريحًا أو مستترًا على شكل إيجاد قوّة ضاغطة وكتلة ضغط دوليّة من قبل دولة أو مجموعة من الدول ضدّ أيّ دولة أو دول أخرى – يتنافى مع التعاون الجماعي والثقة السياسيّة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مبرّرات القلق

رغم أنّ الإسلام ينظر إلى التعدّديّة - بمعنى الأمّة البشريّة المتّحدة - نظرة شرعيّة ، بل يعدّها ظاهرة فطريّة وطبيعيّة ، لا يمكن القول بعدم وجود قضايا قانونيّة واجتماعيّة وسياسيّة على هذا الصعيد ، أو عدم وجود ما يدعو إلى القلق ، لأنّنا نعلم بوجود مصطلحات عديدة في السوق السياسيّة مثل الديمقراطيّة والحرّيّة وحقوق الإنسان ، والإرهاب ، وعشرات غيرها ، لها أكثر من معنى وذات معيار ثنائيّ ، حيث تفسّرها السياسة بما يتلاءم مع مصالح القوى المهيمنة على العالم .

وهذه مشكلة قانونيّة ، لأنّ كلّ مفردة من هذه المفردات لها قيمة حقوقيّة خاصّة ، بالإمكان إساءة استخدامها . ولا تخرج مفردة التعدّديّة عن هذه القاعدة . إذن يجب في مثل هذه المباحثات العالميّة أن نوضّح على وجه الدقّة ماذا نريد بالتعدّديّة . وهناك مثل فارسيّ يقول : اللديغ يخشى الحبل الملوّن . ولهذا فإنّ بعض الشعوب التي عانت من الاستعمار تخشى مثل هذه الكلمات وتشعر إزاءها بالقلق أحيانًا لأنها شاهدت كيف أنّ كلمات مثل الحرّيّة وحقوق الإنسان والمساواة كانت ثنائيّة المعيار (Double Standard) ، وهي تُفسَّر في كلّ حدث بتفسير .

والقضيّة الأخرى أو القلق الآخر هو الجانب السياسيّ للتعدّديّة . فرغم أنّ هذا المصطلح ذو خلفيّة فلسفيّة قديمة ، إلاّ أنّ خلفيّته السياسيّة يجب أن ترجع إلى التاريخ الأوروبّيّ الجديد وأن تكون من نتائج معاهدة فستفاليا (Westfalen) في القرن الخامس عشر ، بعدما تعبت الدول الأوروبّيّة الكبرى من التقاتل في ما بينها . وأقامت تلك المعاهدة الوحدة والسلام بين تلك الدول من خلال نوع من التعدّديّة ، أطلقوا عليه اسم " النظام الجديد " . وأضفت حركة الليبراليّة العمياء والاقتصاد البرجوازيّ عليها تعجيلاً أكبر بعد الثورة الفرنسيّة ، كما ساعد على استمرارها وجود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعسكر الشيوعيّ .

أمّا على الصعيد العالميّ ، فقد خلقت هذه التعدّديّة المشاكل للشعوب الأوروبيّة ، وأدّت إلى انطلاق الأساطيل الغربيّة نحو القارّات الأخرى واستعمارها . وهذه الخلفيّة التاريخيّة قد أدّت إلى حدوث تشاؤم عالميّ من الأجنحة العالميّة الدنيويّة عند السعي لتحقيق التعدّديّة العالميّة ، وهناك قلق من أن تقوم الدنيويّة بتهديد أمن وثروات الأمم بشكلها الجديد وبشعائر " النظام العالميّ الجديد " الذي تلوكه ألسن السياسيّين الغربيّين منذ القرن الخامس عشر .

وإلى جانب دراسة التعدّديّة السليمة المفيدة ، يجب وضع حدّ للنهج العدوانيّ لأصحاب الفكر الدنيويّ ، والتفكير بعلاج لذلك ، حيث إنّنا لا يمكن أن نحقّق التعدّديّة الحقيقيّة مع وجود هذه التدخّلات الاستعماريّة المخرّبة .

والمشكلة الأخرى مشكلة ثقافيّة . فثقافة أيّ شعب تلتصق التصاقًا شديدًا بكيانه ، ولا يمكن الانفصال عنها بسهولة . فهناك ثقافات ينسجم بعضها مع بعض ضمن إطار تعدّديّ ، غير أنّ البعض من الثقافات يتعارض مع البعض الآخر ويختلف عنه اختلافًا جذريًّا .

وللأسف لا زالت توجد في الغرب ترسّبات الثقافة اليونانيّة والرومانيّة التي تؤمن بها الأكثريّة حتّى يومنا هذا .

فأغلب الفلسفة الاجتماعيّة الغربيّة تدور حول محور الفردانيّة المتطرّفة ، حيث إنّ مفاهيم كالإنسان والخيريّة وحقوق الإنسان وغيرها قائمة على أساس الإيمان بالإنسان بدون الله والمستقلّ عن الله ، ونحن نعتقد أنّ هذا الفكر والثقافة لا تنسجم مع التعدّديّة التي تدعو إلى التقارب (Collectionist) ، بل إنّها ترفضها ، مثلما كان الفكر الرومانيّ يقوم على الاستيلاء على كلّ العالم وإقامة إمبراطوريّة عالميّة مستبدّة ، لا عالم من أجل الجميع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتعدّ العنصريّة التي تلاحظ في الغرب وعند بعض الفروع الساميّة في الشرق ، من العقبات أيضًا . فالظاهرة الوحشيّة المتمثّلة في قتل الأجانب في بعض الدول المجاورة والاعتداء على المهاجرين في بعض البلدان الأوروبّيّة والأمريكيّة ، لا سيّما الفلسفة التي تنتهي بإعدام السود بدون محاكمة (Lynch) وقتلهم في الولايات المتّحدة ، إنّما هي ناجمة عن العصبيّة الفرديّة والجماعيّة ، وتعدّ من العقبات الثقافيّة التي تعترض التعدّديّة السليمة ، ويجب الاهتمام بها في طرح هذه القضيّة .

فانطلاقًا من ذلك ، إنّ طرح الثقافة العالميّة المشتركة يعدّ أمرًا معقّدًا في ظلّ هذه العقبات ، لا سيّما إذا كانت هذه الثقافة العالميّة ثقافة دنيويّة ، لأنّ الثقافة الدنيويّة تقوم على أساس محو الثقافات الأخرى وإقامة ثقافة فاقدة للأصالة والهويّة الثقافيّة وهي لا تتجاوز في إطارها العامّ – وحسب اطّلاعي – الاهتمام بالخصائص الإنسانيّة والحيوانيّة المشتركة ، أي الطعام والعلاقات الجنسيّة ومأوى يُلجأ إليه أثناء النوم . ولهذا فهي بعيدة كلّ البعد عن المعنويّات ، ومن الطبيعيّ أنّ العالم الذي لا معنويّة فيه ، سيحفل بالعدوان والحرب والجريمة ، ولن يكون دارًا آمنة للبشريّة .

وطبقًا لقاعدة أدبيّة في لغة الشعر الفارسيّ ، فإنّي أختم نهاية هذا البحث ببدايته ، فأشكر مرّة أخرى رئيس الاجتماع الموقّر والضيوف المحترمين والقائمين على هذا المؤتمر ، وأقدّم احترامي إلى فكرة " العالم للجميع " وأصحاب هذه الفكرة ، وأقول – انطلاقًا من تفاؤل عباد الله برحمة الله ونصره ، ووجود الأرضيّة المساعدة في الإسلام والقرآن وباقي الأديان للقيام بمثل هذا العمل الإلهيّ – بأنّنا نترقّب ذلك اليوم الذي تتّحد فيه شعوب العالم على أساس تعدّديّة حقيقيّة ، وتجتمع في أسرة واحدة يخيّم عليها السلام والحبّ والتعاون المشترك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورغم أنّ هذا المشروع هو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة ، إلاّ أنّ الإيمان با لله الرحيم القادر قد عوّدنا على أن نعيش بروح متفائلة بعيدة عن اليأس والتشاؤم . وأودّ أن أضيف : إنّ الأديان الإلهيّة إن لم يتعاضد بعضها مع بعض ، و لم تقدّم إلى البشريّة ولا سيّما جيل الشباب ثقافة تنقذهم من الفساد والدمار ، فإنّ الثقافة الدنيويّة الجاهليّة ستُعرّض سعادةَ الإنسان وروحَه وهدوءَه وسلامَه للخطر في القرن الحادي والعشرين ، والصمت إزاء ذلك الخطر يتعارض مع المسؤوليّة المعنويّة التي تنهض بها الأديان الإلهيّة ، لا سيّما الإسلام والمسيحيّة .

كما يتميّز بالأهميّة تعاون وتدخّل الدول في مثل هذه الحركة الأخلاقيّة والثقافيّة . وتحتاج مثل هذه الظاهرة إلى ضمان سياسيّ عالميّ بتطبيقها . وإنّ عقد مثل هذه المؤتمرات المفيدة لا بدّ أن يؤثّر كثيرًا في تحقيق هذا الهدف . وا لله دليل العاملين ، وقد قال القرآن الكريم :

" والذين جاهدوا فينا لنَهْدِيَنّهم سُبلَنا وإنّ ا لله لَمع المحسنين " [٥] .

والسلام عليكم ورحمة ا لله .

ملاحظة الناشر :

إنّ آية ا لله السيّد محمّد الخامنئي لم يتمكّن لأسباب طارئة أن يحضر شخصيًّا جلسات المؤتمر .

فنزولاً عند رغبته تلا البروفسّور أندراوس بشته حديثه ، وقد كانت الترجمة الألمانيّة أُنجزت .

---

[٥] الآية ٦٩ من سورة العنكبوت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المناقشات في الجلسة العامّة

مدير الحلقة : البروفسّور الدكتور علي مراد

(باريس / فرنسا)

مراد :

شهادة التضامن مع المتألّمين

بعد أن تقدّمتُ إليكم بالتحيّة باللغة العربيّة ، لغة وطني ، ولغة الثقافة العربيّة والإسلام ، أودّ الآن أن أدعوكم إلى أن نذكر معًا جميع إخواننا المسلمين والمسيحيّين المعرّضين إلى الآلام الجسديّة والنفسيّة ، أكان ذلك بسبب قهر غاصب ، كما هو الحال في لبنان الجنوبيّ والقدس وفلسطين وغيرها من البلدان والأماكن ، أو بسبب اندلاع العنف في الداخل ، كما هو الوضع في الشرق الأدنى وفي القدس . لقد سمعنا في افتتاح هذا المؤتمر الكلمات المؤثّرة التي أدلى بها المطران جورج خضر ، كلمات نشكره عليها ولا يزال صداها يتردّد في قلوبنا . أمّا ما يخصّ إخواننا في الجزائر ، فاسمحوا لي أن أتقدّم من سيادة رئيس أساقفة الجزائر المطران تسّيه باسمكم جميعًا بآية الاحترام والإعجاب والمشاركة في المشاعر . فلترافقه شهادة تضامننا الأخويّ في محنة الإيمان والشجاعة التي يمرّ بها الآن مع شعبه ، الشعب الجزائريّ .

خوري :

ماذا تعني العَلمانيّة ؟

بالنظر إلى محاضرة آية الله الخامنئي يجدر السؤال عن مفهوم العَلمانيّة الذي يستعمله ، فإن لم يتوضّح ذلك ، نتج عنه سوء تفاهم ذريع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التغلّب على الثقافة اليونانيّة الرومانيّة ؟

ثمّ أستغرب قوله عن الغرب بأنّه لم يتغلّب بعدُ على الثقافة اليونانيّة الرومانيّة وبأنّ هذه الثقافة تناقض التعدّديّة . أيعني هذا الدعوةَ إلى نبذ هذه الثقافة لكي تتكوّن القدرة على تقبّل التعدّديّة ؟

ما هو شأن المفاهيم المستورَدة ؟

هل توافق محتويات الثقافة الخاصّة ؟

وأخيرًا ورد في موضع من المحاضرة أنّ المسلمين تشوّش أفكارَهم عباراتٌ مثل التعدّديّة والعَلمانيّة ، وحقوق الإنسان والتسامح ، إذ هي ، إلى جانب غيرها من الظاهرات الاجتماعيّة ، لم تُطوَّر داخل المجتمعات الإسلاميّة ، بل حُمِلَت إليها من الخارج . فالسؤال الحاسم في هذا المجال ، كما يبدو لي ، هو هل توافق محتويات هذه المفاهيم التقليد الإسلاميّ – وإن لم تنبع في شكل أو آخر داخل المجتمع الإسلاميّ ؟ هذا سؤال قد يكون الجواب عنه حاسمًا بالنسبة إلى معنى ونجاح هذا المؤتمر .

علوان :

قضايا في مجال العمل التطبيقيّ

لي عودة إلى محاضرة البروفسّور ترولّ . إنّ ما قاله يوهم بأنّ الإشارات قد نصبت للسير في ميدان الحوار بين المسيحيّين والمسلمين . ولكن يجب أن لا نتغاضى عن الصعوبات الراهنة على صعيد العمل التطبيقيّ ، على صعيد الحياة العمليّة .

أحكام مسبّقة عبر التاريخ

إنّي أفكّر في وضع الأقلّيّات الإسلاميّة في أوروبّا . المسلمون يعيشون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع جماعات مسيحيّة ، ولا بدّ من تنشيط الحوار بين الطرفين . ولكنّ هناك من كِلا الجهتين عوائق تثبّط مسيرة الحوار ، عوائق هي في الواقع أحكام مسبّقة نشأت في الماضي عند الطرفين ، وتظلّ عادة عالقة بأعماق الذهن . ولكن نظرًا إلى بعض الأوضاع التي تثير التوتّر بين الجماعتين ، تصعد هذه الأحكام إلى مستوى الوعي وتكون سببًا لنزاعات مؤسفة . لذلك ينبغي تحليل مشترك للأوضاع الداعية للنزاع ، والتساؤل عن أسبابها والتصدّي لعواقبها .

إليكم مثلين اثنين : لننظر كيف يتمّ في كتب التدريس وفي التعليم الدينيّ عرض ما يتعلّق بالجماعة الأخرى في التاريخ والوقت الحاضر ، في تعاليمها ومسلكها . والمثل الثاني الذي اتّخذ اليوم أهمّيّة كبيرة ، يتعلّق ببناء بيوت العبادة في مناطق أكثريّة سكّانها من أتباع الدين الآخر . فإن حصلت هنا ردود فعل سلبيّة في السكّان وتبعهم في ذلك رجال الدين ، فعند ذلك يُضحي الوضع صعبًا . أليس في هذا الوضع من واجب الدين الذي تدين به أكثريّة السكّان أن يعي ويطبّق ما تعنيه بالحقيقة الحرّيّة الدينيّة ؟

مورتُن (Morton) :

أولويّة الخطوات العمليّة

في القسم الأخير من محاضرته ذكر البروفسّور ترولّ أشكال التعاون العمليّة والمشاريع المشتركة . إنّي أودّ أن أؤكّد هذا المطلب على أساس خبرتي الطويلة . إن توصّلنا إلى أن يكون هناك مشاريع في نطاق التربية والعمران والصحّة والتثقيف وغير ذلك ، مشاريع تعزّزها وتحقّقها معًا الجماعة المسيحيّة والإسلاميّة ، بل أيضًا ، كما آمل ، سائر الجماعات الدينيّة ، كانت تلك مراحل مميّزة على الطريق الضروريّ اليوم الى الحوار. والقضيّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحاسمة هي أنّ مثل هذه المشاريع لا تبدأ عمومًا بالحوار ، بل بعمل واقعيّ من قبل جماعتين أو عدّة جماعات في مجال سياسيّ أو اجتماعيّ أو ثقافيّ معيّن مشترك بينها .

مجيد :

لا يمكن إلاّ التقرّب إلى الله

أودّ في إطار مناقشات اليوم أن أقدّم بعض الخواطر في قضيّة امتلاك الحقيقة والتعدّديّة الاجتماعيّة والسياسيّة . يبدو لي أنّ الإنسان ، حسب ما يقول القرآن ، عاجز عن وعي الحقيقة المطلقة وفهمها . القرآن يصرّح بأنّ الحقّ هو الله نفسه ، الحقيقة التي لا يمكن التعبير عنها وسَبْرُ غورها . ومن آياته المعروفة أنّه "لم يكن له كفوًا أحد" (القرآن ١١٢: ٤؛ ٤٢: ١١ وغيرها) . فلذلك لا يتمّ الكلام في الله إلاّ بواسطة الآيات والأمثال ، يجب على الإنسان أن يؤوّلها . وكلّ جزء من القرآن هو آية (راجع سورة ٧: ٢٠٣ وغيرها) ، وكذلك كلّ جزء من العالم . فيجب علينا الانتباه إلى هذا الواقع اللغويّ ، فيجب أوّلاً كشف معنى جميع هذه الآيات وتأويلها . هذا يعني أنّ كلّ إدراك إنسانيّ للحقيقة يبقى في الواقع نسبيًّا .

إنّ الإسلام لا يقول بأنّه ينبغي لنا أن نعرف الله ، بل أن نتقرّب إلى الله باتّباع الصراط القويم . فالحقيقة هي قوّة دافعة تمامًا . ومن هنا نشأت فكرة الاجتهاد ، وقد قال عنه النبيّ إنّ مَن يقوم بالاجتهاد ، يعمل حسنًا وله ثواب مضاعف ، وإن أخطأ في شيء فله ثواب واحد .

الدين الصحيح فطرة الإنسان

ورد في القرآن ، كما شرح البروفسّور طالبي ، أنّا منذ ولادتنا مرتبطون بعهد الله الأوّل (راجع القرآن ٧: ١٧٢) . لذلك نرى نور الدنيا وفينا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فطريًّا الاستعداد لعبادة الله ، كما أنّ فطرة الأولاد الصغيرة تقودهم ، لتأمين بقائهم ، إلى الإكباب على الأكل والشرب . ولكنّهم قد يقعون في الأخطار ، إن هم أكلوا وشربوا دون تمييز ما يقع في متناول يدهم . هنا تبدأ عناية الأمّ ، التي تدلّ الأولاد على أن لا يأكلوا ويشربوا إلاّ ما ينفعهم . وأنا أرى أنّ النبيّ هو شخص له مهمّة الأمّ .

... مشتركة بين الجميع

لذلك فليست المشكلة أنّ الناس لا يؤمنون بالله ، بل أنّهم يؤمنون بآلهة متعدّدة جدًّا . لذلك وردت الشهادة الإسلاميّة بصيغة النفي : " لا إله إلاّ الله " . وهو الذي لا يدركه الإنسان . وبالنسبة إلى العهد الأوّل ، هناك مفهوم " الفطرة ، فطرة تدعو الى عبادة الله " . فقد ورد في سورة الروم ٣٠: ٣٠ : " فأقم وجهك للدين حنيفًا فِطرَتَ الله التي فَطَر الناس عليها لا تبديلَ لخلقِ الله ذلك الدينُ القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون " . فالدين بهذا المعنى هو في الحقيقة تلك الفطرة الإنسانيّة الأصليّة التي توحّدنا . الإنسان الأصليّ مقدّس غير منقسم في الله . وأظنّ أنّ هذه الآية دعت الفيلسوف المسلم ابن مِسكويه (توفّي ١٠٣٠) إلى تأليف كتاب " الحكمة الخالدة " ... ففي البشريّة يكمن شيء هو قاعدة وحدتنا جميعًا .

عون :

العدل والتصوّرات المختلفة عن الله

إنّ الكنيسة ، كما فهمت من مطالعة البروفسّور ترولّ ، قد قامت بتحوّل جوهريّ في مفهومها اللاهوتيّ للعمل الرسوليّ . فتخلّت هكذا عن مفهوم للرسالة ينطلق من ضرورة ردّ الناس إلى المسيحيّة ، وخرطهم في الجماعة المسيحيّة . وهكذا ترى الكنيسة أنّها بذلك قد مهّدت السبيل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لحلّ المشادّات اللاهوتيّة التي كانت تقوم حاجزًا دون العمل المشترك بين المسيحيّين والمسلمين في سبيل العدالة .

ومع ذلك فقد تنتج عن هذا المفهوم الجديد للعمل الرسوليّ صعوبة أكبر ، قد تهدّد من جديد العمل المشترك . فإنّه يصعب الافتراض بأنّ الدين المسيحيّ والإسلام لهما التصوّر نفسه عن العدالة ، أقلّه بالنظر إلى قاعدتها اللاهوتيّة التي تبرّرها . فإن انطلقنا إجمالاً من أنّ المسيحيّة والإسلام لهما مفهوم عن الله يختلف في نتائجه الأخلاقيّة اختلافًا ظاهر المعالم ، وقع العمل المشترك في سبيل العدالة تحت الشبهة . إنّي ألمّح هنا إلى بعض نواحي فكرة الله عند الطرفَين : هناك في الإسلام وحدة الله ، وحدة مغلقة ، ساكنة في ذاتها ، لا تندفع من ذاتها إلى الخارج ، متعالية ، وهناك سبيل يقود الإنسان إلى الخلاص ويوجّه الإنسان توجيهًا صارمًا نحو صوت الله ويدعى الهُدى . من الناحية المسيحيّة هناك إله ثالوث ، قدرة فاعلة ، وإله أخلى ذاته ، وهناك خلاص ينكشف للإنسان كسبيل إلى النجاة والتأليه . من هنا تنتج مداخل مختلفة لفهم ما تعنيه العدالة عمليًّا للمسلمين وللمسيحيّين ، لا سيّما ما يتعلّق منها بالتعمّق في فهم عدالة تنجلي في التعليم عن حقوق الإنسان ، الذي صدر بهذا الشكل عن العقل الغربيّ .

فقبل أن نفكّر في جهود مشتركة موجّهة إلى إقامة عمل مشترك في سبيل العدالة ، يجدر بنا أن نكبّ على هذه المسألة الناجمة عن المداخل اللاهوتيّة المختلفة ، التي حاولت الإشارة إليها . ويمكننا إيجاز ما قيل بالسؤال التالي : هل نشعر بأنفسنا مرتبطين بالاختلافات في التعليم اللاهوتيّ ؟ وإلى أيّ حدّ يجب أن نتوقّع أنّ هذه الفوارق تؤدّي قسرًا إلى فوارق في المجال الاجتماعيّ السياسيّ ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطرس بشته (Petrus Bsteh) :

المجتمع " العَلمانيّ " وانتظار طلوع الزمن الأخير

منطلقنا أنّ مدلول رسالة الدينيّين نشأت في توتّر التطلّع إلى قرب الأزمنة الأخيرة ، وأنّ تأخّر طلوع هذه الأزمنة لم يستطع الدينان بعد كلٌّ بتطلّعاته الخاصّة أن يستسيغاها (وقد لا يمكنهما ذلك مطلقًا) . إن انطلقنا من هذا الوضع ، فمفهوم مجتمع عَلمانيّ كوسيط في الفترة الراهنة هو عرضٌ قائم بل عرضٌ يفرِض نفسه فرضًا . ولكنّ ما ينقص في صياغة العالم العلمانيّة من قيَم روحيّة أصيلة ، لا يمكن سدّ فراغه واستخلافه بواسطة مركّبات اصطناعيّة مستقاة من عوالم إيمانيّة رجعيّة ، أي بواسطة صفوف الأصوليّة المتزمّتة . فيبقى إذن أن نستند إلى رسالة الدين الأصليّة ونُقدِم على الأزمنة العصريّة القائمة ، فنُفرغَ فيها من كنوز هذه الرسالة . هذا يعني أن نرى في تأخّر طلوع الأزمنة الأخيرة سانحة للخوض في الاختبار التاريخيّ ولتحمّل ما ينجم لنا عن ذلك من مهمّات خاصّة في هذا العالم .

أوتّ (Ott) :

الصداقة في إطار " الوحدة في التعدّد "

نتساءل في حديثنا هذا النهار ، هل نجد في القناعات الدينيّة الأخرى ركيزة للتعدّديّة في المجتمع ، تعدّديّة تكون أكثر من مجرّد تسامح ومساومة . وأنا أرى في إطار حركتنا المسكونيّة بين المسيحيّين قد اكتسبنا خبرة كبيرة يمكن اعتبارها مرحلة إعداديّة للتلاقي مع الأديان الأخرى . فإنّه في الحوار بين الكنائس المسيحيّة التي انفصلت في التاريخ بعضها عن بعض ، قد توثّقت عمومًا النظرة القائلة بأنّ علينا أن نعترف بعضنا ببعض على اختلافنا ، وأنّ الوحدة لا تكون إلاّ " وحدة بواسطة التعدّد " (قول أوسكار كولّمان (Oscar Cullmann) ، وليس فقط " وحدة في التعدّد " .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الواضح أنّ الهدف في تلاقي الأديان المختلفة لا يمكن أن يكون هو الهدف نفسه الذي يصحّ في الحركة المسكونيّة بين الكنائس - إي إقامة وحدة جماعة يسوع المسيح التي اتّسمت بها أصلاً . ولكن ما هو هدف تلاقي الأديان ؟

رأيي في ذلك هو أنّ الهدف هو الصداقة . وهذا أُكّدَ تكرارًا في افتتاح هذا المؤتمر . يجب أن تضحي الصداقة مفهومًا راهنًا في لاهوت الأديان . الصديق يحترم صديقه في خصوصيّاته وفي قراره الأصيل المُوجّه لحياته . والأصدقاء لا يُفرض فيهم أنّهم في كلّ شيء على رأي واحد . ولكنّهم ، على بقائهم مختلفين ، يتوصّلون في كثير من النقاط المفردة ، إلى اتّفاق يمكّنهم من القيام بعمل مشترك . إنّهم يستطيعون أن يتعلّموا معًا . والواحد منهم يمكنه أن يستمدّ النور من الآخرين ، لأنّ عندهم الرغبة الصادقة في معرفة الآخرين . من الناحية المسيحيّة ، يمكن أن تقبل هذه النظرة وهذه الصداقة المستمرّة بين الأديان ، لأنّنا نؤمن بأنّ الله بواسطة سكنى روحه قريب في الباطن من جميع الناس ، لا سيّما المؤمنين الذين يعيشون بكامل وعيهم علاقتهم بالله . هذا هو أساس الصداقة رغم بقاء التغرّب عن الآخرين وحصول التوتّر .

هيدوياتوف (Hidojatow) :

زماننا يتطلّب تعاون جميع الأديان

في وطني أزبكستان ، الذي حاز على استقلاله منذ ستّ سنوات ، تعيش خمس طوائف في سلام بعضها مع بعض : هناك المسلمون والكاثوليك والبروتسنانت والبوذيّون والكونفوشيّون ، تشدّهم على ما أعتقد روابط كفاحهم المشترك ضدّ الحكم الماضي المتعسّف . وعندنا نحن المسلمين لـ " صحيح " البخاري في الحديث دور كبير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنا مقتنع أنّا نخطئ إن نحن أكببنا في هذه الساعة على البحث في مبادئ عامّة ومفاهيم عامّة . زماننا يتطلّب تدابير عمليّة وواقعيّة جدًّا .

في النصف الأوّل من القرن العشرين دار الكثير من الكلام حول الحوار والتعايش السلميّ . والآن على مشارف القرن الحادي والعشرين علينا أن نتكلّم على تعاون جميع الطوائف وجميع الأديان في العالم . من الملاحظ أنّ جميع الأديان الكبيرة نبعت من بلدان آسية . وقد يدلّ ذلك على القدرات الأخلاقيّة العظيمة الكامنة لدى الشعوب الآسيويّة . وكذلك فإنّ القوّة الأساسيّة للمسيحيّة والإسلام كامنة في مقدرتهما الأخلاقيّة .

علينا أن نكتشف سبل التعاون . فالمسيحيّة تستطيع ولا شكّ أن تؤدّي إسهامًا كبيرًا في حلّ قضايا وحاجات منطقتنا . والدول الإسلاميّة يمكنها أن تساهم في التطوير الأخلاقيّ في البلدان الغربيّة . وأنا أعتقد أنّا في المناطق الآسيويّة نواجه أشياء خطيرة جدًّا . منها قبل كلّ شيء تسْييس الإسلام والسعي وراء السلطة السياسيّة . ومع ذلك نعلم أنّ كلّ سطلة في الدول قد أذلّت وأفسدت دائمًا كلّ حركة دينيّة . فعلينا إذن في مؤتمرنا أن نفكّر في تدابير عمليّة تمكّننا من تحسين تعاوننا في سبيل الخير وتنشيطه .

لوف (Luf) :

الأخلاقيّات العَلمانيّة : فرصة سانحة وتحدٍّ للأديان

إنّ الحوار بين الأديان عليه أن يراعي العلاقات مع غير المؤمنين . إنّ هذا الرأي الذي أبداه البروفسّور خوري (راجع ص ١٤٥) أودّ أن أسانده من جهتي أيضًا . فإنّ على الأديان واجبًا ملحًّا في ان تتلقّف العناصر المعروفة في العَلمانيّة ، مثلاً ، بالنسبة إلى حقوق الإنسان ، وتبني عليها بنوع فعّال مثمر . فينبغي إذن أن تعتبر الأديان حقوق الإنسان مطلبًا بشريًّا مشروعًا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تنطلق منها . هذا لا يعني مجرّد تقبّل حقوق الإنسان في مظهرها الراهن دون أيّ انتقاد . بل الواجب بناء علاقة بحقوق الإنسان على قاعدة نقديّة ، ممّا لا يصحّ إلاّ إذا نظرنا مبدئيًّا إلى العلمنة بجدّ وحاولنا أن نكتشف فيها مقدّرات إنسانيّة نعترف بها .

إنّ نبذ حقوق الإنسان بحجّة أنّها وليدة العَلمانيّة ، لا يمكن في نظري أن يكون السبيل القويم . فبدل أن ننبذ إجمالاً مفهوم العَلمانيّة ، علينا بالأحرى أن ندقّق ونميّز . عندها يتّضح كيف ولماذا بعض أنواع العَلمانيّة في الواقع تهدّد الكيان الدينيّ بالخطر ، وكيف أنّ الأخلاقيّات العَلمانيّة في الوقت عينه هي فرصة سانحة للأديان ، تتيح المناقشة وانتقاد المفاهيم من وجهة نظر الإيمان ، كما تتيح تعميق مضامينها .

فانوني (Vanoni) :

التعدّديّة الداخليّة والخارجيّة

أودّ أن أعلّق على كلمة لتيلور (J. Taylor) ألمح إليها البروفسّور شنايدر (راجع أعلاه ص ١١٩) ، إنّ لله أن يعلم ، وللإنسان أن يؤلّف لنفسه آراء . بالنسبة إلى المسيحيّة يبدو من الضروريّ أن يزاد على هذه الكلمة ، إذ إنّ هناك وجهًا ثالثًا آخر ، هو وجود السلطة التعليميّة (يقوم بها حسب النظرة الكاثوليكيّة البابا والأساقفة) ، و" الروح القدس " الذي يمكّن كلّ مسيحيّ وكلّ مسيحيّة من تفسير الكتاب المقدّس وفهمه (هذا ينطبق بالأحرى على النظرة البروتستانتيّة) . وبالنظر إلى هاتين الوظيفتين قد يحصل أنّ الكتاب المقدّس لا يعود يُفهَم كما يفهم هو نفسه ، ككلٍّ مليء بالتوتّر . فالتأويل البيبليّ يعني إرادة تحمّل التوتّر . وغالبًا لم يتحمّله المسيحيّون . إنّهم يحتاجون إلى السلطة التعليميّة أو الروح القدس ، ليعلموا كيف يتصرّفون تجاه الأمور الكثيرة في الكتاب المقدّس التي لا تتناغم وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تبدو متناقضة ، وكيف يستنبطونها في اتّجاه أو في آخر . هذا ما يجب التنبّه إليه عندما نتحدّث عن التعدّديّة داخل المسيحيّة .

غرضنا هنا هو طبعًا الحوار مع الإسلام ، ولكنّ السيّد إيزاك قد نبّه بحقّ إلى أنّه من الصعب تقريب فكرة التعدّديّة المتناغمة إلى الآخرين ، عندما يسود التنازع داخل الجماعة الخاصّة . فإن كان السيّد ترولّ في محاضرته قد سرد أقوالاً من البابا يوحنّا بولس الثاني ، فهذا يدلّ من جهة على أهمّيّة السلطة التعليميّة . من جهة أخرى كان من الموافق بالنسبة إلى قضيّة التعدّديّة داخل المسيحيّة أن يذكر أنّ البابا الحاليّ لم يَعُدْ يتكلّم على " كنائس " ، كما كان البابا بولس السادس يفعل بالنظر إلى الكنائس الأرثوذكسيّة والبروتستانتيّة .

إنجنير (Engineer) :

تسابق الخيرات ، لا تسابق المطالب

لي بعض الملاحظات في ما يتعلّق بالمفهوم الجديد الذي ورد في القرآن ، حيث يتكلّم ، لا على تسابق المطالب أو الحقائق في الأديان ، بل على تسابق الخيرات : " لكلّ وجهة هو موّليها فاستبقوا الخيرات " (القرآن ٢: ١٤٨) . هذا يعني أنّا ينبغي ألاّ نتبارى في قِبلة الصلاة ، أو في أفضليّة هذه الحقيقة أو تلك . تنافسوا في الأعمال الصالحة . فلو تبنّينا هذه الحكمة ، اهتدينا إلى حلّ لكثير من مشاكلنا . بدل ذلك لا نزال نصرّ على أنّ تقاليدنا الدينيّة الخاصّة أفضل ممّا عند الآخرين . هكذا تنشأ المشاكل والمجادلات . إنّنا قلّما نتسابق الخيرات . فلو كنّا نعتني عناية أشدّ بصفاء مسلكنا ، لأضحى عالمنا أوسع سلامًا وأشدّ تعزيزًا لحياة جميع الناس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عدم التسامح ينتج من التوق إلى التسلّط

في ملاحظتي الثانية ، أودّ أن أنبّه إلى أنّ عدم التسامح لا أراه ينتج من الدين نفسه . عدم التسامح نابع من توقنا إلى التعالي والتسلّط . أنا لا أجد في العالم كلّه نصًّا دينيًّا يعلّم بغض الآخرين . فلذلك ينبغي أن ننسب عدم التسامح إلى الميل البشريّ ، لا إلى الدين . إنّ الصراع لامتلاك السلطة هو الذي يسعى وراء مبرّر من قبل الدين . هذا ما يحدث ، عندما يُهدّد المجتمعَ عدمُ التسامح .

حقوق الله – حقوق الإنسان

وهناك إشارة ثالثة تتعلّق بمفهوم حقوق الله وحقوق العباد . هذه ذكرها البروفسّور جفّريه (راجع ص ١٢٤) . نحن نتحدّث بطيبة خاطر عن حقوق الله وننسى حقوق العباد . ومع أنّه قد تمّ التعبير عنها تعبيرًا واضحًا ، نجتهد في نسيانها . فلو انتبهنا إلى حقوق العباد ، لكان ذلك سبيلاً أكيدًا إلى احترام حقوق جميع الناس . وعند ذلك لا نزال نهتمّ بقدر كبير بحقوق الله . ولكن ينبغي ألاّ نقلب الأولويّات ، إن أردنا أن نجنّب مجتمعنا مشاكل شتّى .

لا يجدر بنا إفراد الأولويّة لمصالحنا ، بل للقيَم

أمّا الملاحظة الرابعة فتتعلّق بالنزاع بين القيَم والمصالح . نحن نتحدّث بطيبة خاطر عن القيَم . ولكن متى جاء دور العمل ، تستلب مصالحنا الأولويّة . وإفرادنا الأولويّة لمصالحنا متعلّق بالطبيعية البشريّة . وهي في كثير من الأحيان أوّلاً مصالحي الفرديّة ، ومصالح جماعتي الخاصّة وبلدي وأمّتي . وهذا يقود إلى النزاع بين فردين وجماعتين وأمّتين . علينا أن نحترم القيَم ونفرد لها الأولويّة على مصالحنا . نحن نعلم أنّ التصرّف البشريّ متشابك العناصر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأنّه لا يجرّه الدين أو التعاليم الدينيّة ، بل المصالح ، التي تجتاح الأسبقيّة على القيَم . لذلك عندما نتناقش مجدّدًا في حقيقة هذا الدين أو ذاك ، غالبًا ما لا يمسّ ذلك الموضوع الحقيقيّ . المشكلة هي مصالحنا المتضاربة . فينبغي تخطّيها في البحث عن المجتمع العادل .

نجد في القرآن أربعة مفاهيم أساسيّة : الرحمة ، والحكمة ، والعدل ، والإحسان . القرآن يتكلّم دومًا على هذه المفاهيم . ولكن يصعب أن نجد أحدًا من المسلمين يطبّق هذه المفاهيم . هم يحدّثونك عن الإسلام ، عن أفضليّة القرآن ، وعن شتّى الأمور . أمّا إذا طُرق موضوع الرحمة والحكمة والعدل والإحسان ، فيتخلّفون بعيدًا . ولكنّا طالما لا نقدّر مفاهيم ديننا الأساسيّة ونعتني بها ، لن نستطيع أن نُقيم عالمًا خاليًا من النزاعات .

العَلمانيّة فلسفة

أخيرًا ، أودّ أن أقول كلمة في محاضرة آية الله الخامنئي . أنا لا أشاطره إدانته للعَلمانيّة . العَلمانيّة فلسفة . نحن مؤمنون ، ولكن هذا لا يدفعنا إلى أن نفقد التسامح تجاه الفلسفات الأخرى . فإن كنّا نحبّذ التسامح تجاه الأديان الأخرى ، فعلينا بالتسامح تجاه الفلسفات الأخرى ، وإلاّ تحوّل عدم التسامح تجاه فلسفةٍ ما إلى عدم تسامح تجاه الأخرى ، ممّا يناقض معنى وهدف هذا المؤتمر الذي جمعنا هنا .

تشيا (Chia) :

من يحدّد فعلاً ما هو المُلزم ؟

لي عودة إلى موضوع شغلنا مرّات عديدة ، هو الهوّة بين النظريّة والواقع . أنا أقدّر تقديرًا كبيرًا أن يكون المحاضران قد اتّخذا كلاهما موقفًا إيجابيًّا تجاه قضيّة التعدّديّة كلّها . أراد الدكتور ترولّ معالجة الموضوع على أساس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعليم الكنيسة الرسميّ . ولكن لا يخفى أنّ كلّ موقف إيجابيّ مشجّع جدًّا ، يسعى في جمع الشمل تجاه التعدّديّة ، يصدر عن البابا ، تقوم مقابله مواقف مئات الأساقفة الذين يؤيّدون اتّجاهات أخرى مختلفة جدًّا ، وقد تكون مناقضة . وذلك بطريقة أصوليّة مغرضة مقصدها إبعاد الآخرين . كذلك نجد مقابل ما جاء في وثائق المجمع الفاتيكانيّ الثاني ، خصوصًا في " العلاقات مع الأديان الأخرى " ، وفي " الحرّيّة الدينيّة " ، مئات من التصريحات الأخرى الصادرة عن مجمع الإيمان الرسميّ بروما ، تصريحات ميلها الإقصاء والفصل ، وهي أقلّ تسامحًا وانفتاحًا تجاه التعدّديّة . وكذلك القول في محاضرة آية الله الخامنئي : إنّه يتحدّث كثيرًا عن الصوفيّة ، ولكن ما هو عدد الناس ، ما هو عدد أعضاء الأمّة الإسلاميّة الذين يؤيّدون اليوم فعلاً مثل هذه المقولات ؟

وهكذا يُطرح السؤال العامّ : أين يُوجد التعليم المُلزم ؟ أهو في تعليم أفراد ، وبعض العلماء وممثّلي الجماعات الدينيّة المنفتحين ، أم هو بالأحرى تعليم الأكثريّة وجهاز إيمانها ؟ مثلاً عند أولئك الذي يزورون الكنائس نهار الأحد ، أو الذين يذهبون إلى المساجد نهار الجمعة ؟ ماذا يقول هؤلاء ، ولا سيّما خطباء الكنائس والمساجد في أكثريّتهم ، عن الحقيقة الدينيّة ومطالبها ؟ وما هو موقفهم ممّن يخالفونهم في الفكر ومن المعارضين في جماعتهم الخاصّة ؟ عندها نجابه بكلّ جدّ قضية التعدّديّة الاجتماعيّة والسياسيّة . لذلك ينبغي ألاّ نتوقّف عند المُثُل فقط ، بل علينا أن نجابه الواقع ، والمسلك العمليّ في الدين والمجتمع .

باتِلوس (Patelos) :

" الدولة المثلى " على أساس دينيّ – هذا موضوع قد مضى عليه الزمن

أودّ أن أعلّق أوّلاً على موضوع " الدولة المُثلى " . لا حاجة إلى التذكير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأنّ مثل هذا التصوّر لم يظهر فقط في تاريخ الكنيسة الكاثوليكيّة ، بل ظهر أيضًا في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسيّة . ولدينا أمثال كافية على ما كان ممن تعادل الكنيسة والدولة ، أي فكرة " الدولة المُثلى " على أساس دينيّ . فهناك من الناحية الكاثوليكيّة الثورة الفرنسيّة ، وفي " روسيا المقدّسة " الثورة البولشفيّة . أمّا ما يتعلّق بتراث بيزنطية ، التي كان فيها يعتبَر القيصر ممثّلاً للمسيح على الأرض ، فإنّا شاهدنا الانقلاب العسكريّ في اليونان قبل ثلاثين سنة ، ذلك الانقلاب الذي عادل الكنيسة بالدولة . فإن كنتُ قد فهمتُ جيّدًا ما قاله البروفسّور ترولّ – وأودّ أن أساند هذا الرأي – فإنّ تصوّر " الدولة المثلى " موشك أن يصير موضوعًا قد مضى عليه الزمن ، حتّى بالنسبة إلى تعليم الكنيسة الاجتماعيّ . وليس باستطاعة بعض التيّارات المعاكسة أن تبدّل شيئًا من ذلك .

ماذا يعني التخلّي عن احتكار الحقيقة ؟

لي تعليق على ما أدلى به البروفسّور ترولّ ، من أنّ المسيحيّ ليس له حقّ باحتكار الحقيقة . أنا أفهم هذا بالنظر إلى الحقبة التاريخيّة الجديدة التي دخلنا فيها وما زلنا نتلمّس طريقنا فيها ، مثل الرسول توما . ولكن لا يسعنا التملّص من توضيح ما نعني بهذه المقولة . وإلاّ حصل على الصعيد الراعويّ سوء تفاهم واضطراب .

إنّ زميلنا وصديقنا فَريد إيزاك تساءل صباح اليوم ماذا تنوي فكرة توافق جديد بين المسيحيّين والمسلمين ، والدعوة إلى ركوب سفينة مشتركة ، كما عبّر عن ذلك البروفسّور ترولّ في محاضرته (راجع ص ١٠٣) . أعتقد أنّ هذه ليست مناورة من قبل القوّات الغربيّة ترمي إلى ركوب عجلة ليس لهم فيها حقّ الكلام ، لكي يستطيع العالم الغربيّ أن يتغلّب بسهولة أكبر على التحدّيات التي يجابهها . وعلى كلّ حال ينبغي ألاّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نخلط هنا بين الغرب من جهة والمسيحيّين والكنيسة من جهة أخرى . لا شكّ أنّ للدول السياسيّة حساباتها . ولكن مهمّة الكنيسة والأديان ، الإسلام والمسيحيّة ، التصدّي لهذه الحسابات بالنقد ومقابلتها عند الحاجة بالمقاومة الصامدة . ومهما يكن من وضع الإسلام ، فلا يصحّ اليوم على كلّ حال الخلط بين الغرب والمسيحيّة . بل بالعكس ، نحن نعيش اليوم أكثر فأكثر في عالم ارتباط متبادل وعلاقات متبادلة . فلا أحد يستطيع أن يحصر نفسه داخل جدرانه ، ويقول إنّ المشاكل قد تمّ حلّها . هذا لا يفضي إلى شيء ، بل إلى الكارثة .

السعي إلى تجديد صياغة الثقافة

لي كلمة بعدُ في الطريق الذي نريد أن نتلمّسه ونسلكه في هذا المؤتمر للوصول إلى مجتمع تعدّديّ ، وفي المشكلة التي تنتصب في وجهنا من قِبل مطلب الحقيقة الدينيّة . من وجهة نظر المسيحيّة نلاحظ أنّ البلدان الغربيّة المتقدّمة تبنّت نظامًا نجم عن عصر الأنوار ، لم يُمسِ فيه للدين الذي كانت له أهمّيّة في الماضي ، سوى قضيّة خاصّة بالأفراد . ولكنّ هناك عنصرًا آخر لا يمكن التعامي عنه ، وهو البعد الثقافيّ . والثقافة أمرٌ يختصّ بالجماعة . وهنا تبدأ مهمّتنا التي لا تقوم بالقضاء على هذه الجهة أو تلك ، بل بالتبصّر كيف يمكننا معًا ، بوعي مسؤوليّتنا ، أن نضفي على هذا الوضع الجديد صيغته المناسبة . ولن نجد الحلّ لهذا الأمر غدًا ، إن لم نُقبلِ اليوم على إعداد العدّة له . فنحن واقفون اليوم في بدء المرحلة ، على أعتاب ساحة العمل .

وفي الختام أقول إنّنا ينبغي لنا ألاّ نأمل بالعثور فورًا على الحلول وبالاضطلاع بالمهمّة . علينا أن نحسب حسابًا للخطيئة ، فقد تُبعثر كلّ شيء وتجرّ كارثة . وهنا ينبغي لنا نحن المسيحيّين ، كما ذُكر اليوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(راجع ص ١٥٩) ، أن نعيش في ذكر المجيء الثاني ، الـذي نحيـاه معًـا في الكنيسة ، وأن نتصدّى لهذا الصراع .

صالحة محمود :

قضية الأصوليّة الدينيّة

إنّ ملاحظاتي تنطلق ممّا قيل في المناقشات بعد المحاضرات ، أكثر من انطلاقها من المحاضرات نفسها . هنـاك قبـل كـلّ شـيء قضيّـة الأصوليّـة الدينيّة التي تشغلني ويجب البحث فيها بحثًا أوسع في سـياق هـذا المؤتمـر . إنّ الأصوليّة الدينيّة هي كعبـوة مفجّـرة لا تنـدسّ فقـط بـين جماعتينـا الدينيّتـين الكبيرتين ، المسيحيّة والإسلام ، بل تُفرّق أيضًـا بـين الفئـات داخـل جماعاتنـا . البروفسّور إيزاك قد تكلّم على مشكلة الأصوليّة في صفوفنا . فكيف نصل الى حلّ هذه الصعوبات ؟ ولا يمكن التعامي عنها .

حقوق الله – وحقوق الإنسان

لقد قال البروفسّور جفّريه إنّه يمكن في المسيحيّة ، خلافًا لما في الإسـلام ، حلّ التوتّر بين حقوق الله وحقوق الإنسان . إنّي أعجـب لهـذا التمييـز ، إذ إنّ مثل هذا التوتّر لم يحصـل قـطّ في الإسـلام . بـالعكس يهمّـني أن أعـرف كيف حلّت المسيحيّة هذه المسألة .

ولاحظ المطران تيسّيه أنّـه لا أحـد لـه السـلطة بـإدلاء الـرأي باسـم الإسلام . وأنا أوافقه في هذا . ولكن على كلّ أحد أن يتكلّم . فإن كـان الله نفسه يذكر حقّ كلّ فرد بأن يفهم ويؤوّل الإسلام ، وإن كنّـا نملـك بين أيدينا مصادر الإسلام ، فعلينا أن نستعمل هذا الحقّ ونستفيد من هذه الهبة التي تؤهّلنا لتأويل القرآن ونصوص الإسلام على أساس أفضل ما لدينا من الأهبة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخيرًا سمعتُ الدكتور عون يميّز بين مفهوم جامد لله في الإسلام ومفهوم فعّال لله في المسيحيّة . لقد أدهشني ذلك . وآمل أن تُتاح لنا الفرصة في سياق المناقشات المختلفة ، أن نوضّح توضيحًا أكبر المسائل الناجمة عن تمييز كهذا .

إيزاك (Esack) :

نصب العَلمانيّة مقابل الدين لا يتّفق والوضع الحاليّ

أودّ أن أعلّق في أربع نقاط على بعض ما جاء في محاضرة السيّد الخامنئي . آسف أوّلاً أن يكون المحاضر غائبًا ، لأنّ عرضه كان جَدَليًّا حاول أن يقدّم صورة إيجابيّة عن نظام حكم أعتبره في جوهره نظامًا متسلّطًا تسلّطًا شموليًّا . وأرى أنّه يجب تجنّب مناقشات عقيمة حول موضوع العَلمانيّة مقابل الدين ، مناقشات لا تزال ، وللأسف ، سارية في الشرق الأدنى .

أنا قادم من بلد عَلمانيّ . فيه يشغل مسلمٌ مؤمن منصب القاضي الأعلى ، وفيه ثلاثة من أعضاء مجلس الوزراء مسلمون ، ولدينا طائفة من نوّاب الوزراء ، بعضهم مؤمنون ملتزمون . المسلمون هم ١،٣ ٪ من سكان البلد ، أمّا نسبة المسلمين في مجلس النوّاب فتبلغ ١٢ ٪ وفي الوزارة ١٤٪ . هذا يوضح أنّ الجدل حول نصب العَلمانيّة مقابل الدين ليس هو بالنسبة إلينا موضوعًا راهنًا .

إنّ روح الحوار يجب أن تثبت في العمل والواقع

ثانيًا علينا أن نكون فطنين في الحوار وجادّين في مقابلة المشتركين في الحوار . فإنّه لا يجدي شيئًا أن نسرد آيات قرآنيّة الواحدة تلو الأخرى ، وأحاديث نبويّة الواحد تلو الآخر ، لنثبت أنّ القرآن يتكلّم بعاطفة الصداقة على غير المسلمين . نحن نعرف ذلك ، لا سيّما العلماء غير المسلمين الذين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يشتركون في الحوار . فليس الأمر أن نثبت ما يقول القرآن عن تحرير المرأة ، بل أن نرى كيف يعامل المجتمع الإسلاميّ النساء . وكذلك ليس الأمر أن نسرد ما يقول القرآن عن معاملة غير المسلمين ، بل أن نرى كيف يُعامَل أتباع البهائيّة في إيران والمسيحيّون في باكستان .

أتصحّ التعدّدية فقط بمقدار ما توافق القرآن ؟

ثم هناك التساؤل ألا نُعالج قضيّة التعدّديّة معالجة نافية عازلة ، إن نحن لم نوافق على التعدّديّة إلاّ بمقدار ما لا تتوجّه ضدّ القرآن أو بمقدار ما تتوافق والقرآن ؟

" أهل الكتاب " والأديان الأخرى

نقطتي الرابعة تتخطّى حدود المحاضرة . علينا نحن المسلمين والمسيحيّين أن نتجنّب خطابًا له طابع الهيمنة والاستناد في ذلك إلى السلطة السياسيّة التي نملكها اليوم في العالم ، إذن كخلطنا بين " السلطة السياسيّة " و" سلطة الوحي " . ومتى تكلّمنا على " أهل الكتاب " ، أفلا نتغافل عن إسهام الكثير الكثير من الثقافات الأخرى ، وبالأخصّ الديانات الأخرى في آسية وأفريقية وأميركا اللاتينيّة ؟ هذه الأديان لها في نظري مشروعيّتها ، مثل ديننا الخاصّ . وأن تكون لم تستعمر أحدًا غيرها ، فهذا شاهدٌ لها ، لا عليها . فيجب أن نعي أنّا بفضل أساليبنا الاقتصاديّة والاستعماريّة قد أحرزنا السلطة على العالم كلّه . ولكن لا يصحّ ، نظرًا إلى السلطة التي اكتسبناها ، أن نظنّ أنّ لنا تفوّقًا روحيًّا وأخلاقيًّا على العالم – بهذا أستعمل عبارة جاء بها أحد المناقشين قبلي . فأنا على يقين من أنّ أناسًا متديّنين ، وفي طليعتهم المسلمون والمسيحيّون واليهود ، عليهم أن يتحفّظوا في اندفاعهم لصالح التعدّديّة . وعلى كلّ حال يجب ألاّ نواصل تهميش الذين آذيناهم بسياستنا في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الماضي : الشعوب الأصيلة في أميركا اللاتينيّة وأفريقية وآسية .

دسوقي :

احترام الحقيقة في الحوار

إنّ الحوار الحقيقيّ الصادق عليه ألاّ يتوقّف عند النقاط التي تمّ الوفاق عليها ، بل عليه أن يتناول الآراء التي يختلف فيها المحاورون . وهذا يقودنا إلى حدود ما يمكن المساومة فيه . فإنّه ليس من الموافق أن نحاول التشديد على التعاليم التي يقع عليها الاتّفاق بين المسلمين والمسيحيّين ، كما لا يجدي أن نحاول دومًا تمجيد ماضينا . فليس من الحقيقة والواقع أن نلتفت إلى تاريخ المسيحيّة أو إلى تاريخ الإسلام ، ونقدّم عنه صورة وضّاءة . فلقد ظلم مسيحيّون مسيحيّين آخرين ، وقد ظلم مسلمون مسلمين آخرين ، وكلّ من الطرفين ظلم الطرف الآخر . علينا أن نعترف بذلك كجزء من تاريخنا ، وأن نستخلص منه العبرة والنتائج الصحيحة للمستقبل ، لا أن ننكر الحقائق .

المشكلة لا تكمن في النصوص المقدّسة ، بل في مؤوّليها

ملاحظتي الثانية تويّد مَن قال إنّ المشكلة ليست أبدًا كامنة في النصوص . إنّ كلام الله في وحيه لا يمكن ، لا في المسيحيّة ولا في الإسلام ، أن ينصر الظلم وعدم التسامح . لا تكمن المشكلة في كلام الله . المشكلة ليست في نطاق القدّوس . المشكلة كامنة في التأويلات وفي المنظّمات الاجتماعيّة وفي المسؤولين في الجماعات الدينيّة . القضيّة متعلّقة بهم ، لا سيّما الذين نُصّبوا ليتكلّموا باسم الكتاب المقدّس، أو نَصّبوا أنفسهم لهذه الوظيفة . فلكي نعرف في ظرف معيّن ، لماذا فُهم النصّ في بعض المجتمعات بمعنى غير متسامح ، يجب علينا إذن ، كما قلنا ، أن نتعدّى النصّ إلى مَن يفسّره .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يجب أيضًا تقبّل مُثُل لم تنبع من تراثنا

وأودّ أن أصرّح من جهتي ، بالنسبة إلى نطاق الإسلام السنّيّ ، أنّه لا أحد له السلطة بأن يتكلّم باسم الإسلام ، وإن كان يشغل منصبًا دينيًّا في بلد معيّن . ليس عندنا سلطة لها الحقّ بأن تقول كلمة الفصل . هـذا غير موجود في الإسلام . بل هناك مذاهب مختلفة تفسّر القرآن والسنّة . هـذا جوابي عن ملاحظة البروفسّور خوري (راجع ص ١٥٤) : فإنّـه – كمـا أفعل أنا أيضًا – إن إشار إلى أنّ بعضهم يقدّمون براهين لا يمكن التوافـق عليها ، فإنّ غيرهم – وهم أيضًا مسلمون – يتفاعلون معها بطريقـة مختلفـة ، فيقولون بإسلام منفتح وبمبـادئ لهـا طواعيـة كافيـة لتتقبّـل مُثـلاً لم تنبـع مباشرة من تراثنا ، طالما هي لا تناقض مبادئ الإسلام الأساسيّة .

في الحوار يجب التفكير في عالم الغد

ملاحظتي الأخيرة تتعلّق بموضوع المؤتمر " عالم واحد للجميع " . هنا يتّضح لي أنّه علينا ، إن لم يكن اليوم ، فبعد غد أو ما بعده ، أن نفكّر في العالم الذي سنعيش فيه ، نحن وأولادنا وأحفادنا . وهنا ليس المقصـود أن نُعيد ما سلف في التاريخ . فقضيّة العَلمانيّة مثلاً في وطني مصر تمّ النقـاش فيها قبل مئة سنة . ومنهم من يناقش فيها اليوم أيضًا . ولكنّ القضيّـة قـد حلّت بالنسبة إلى عدد كبير من السكّان . فنحن ، مسلمين ومسـيحيّين ، سوف نعيش غدًا مع أتباع أديان أخرى ، في عالم الإنترنيت ، والشبكات الإعلاميّة ، والحاسوبات المصغّـرة ، والأذهـان الاصطناعيّـة ، والحاسـوب " الأزرق الغـامق " (Deep Blue) الـذي انتصـر على كاسـبـاروف في لعبـة الشطرنج ، في عالم الثّقْلين (وهو الإنجاب غير التناسـليّ) للحيـوان وربّمـا للإنسان أيضًا . هذا سيكون عالم الغد ، والحوار الصحيـح بـين المسـلمين والمسيحيّين عليه أن يتناول هذا الوضع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ممجو (Mumcu) :

العَلمانيّة كفرصة سانحة

يؤسفني أنا أيضًا أن لا يكون آية الله الخامنئي حاضرًا معنا ، فذلك يؤثّر على سياق المناقشة ، إذ إنّه لا يستطيع أن يجيب شخصيًّا عن الأسئلة المطروحة . وبين الكثير الذي يمكن التعليق عليه في محاضرته ، أودّ أن أتعرّض لنقطتين . الأولى تخصّ مسألة العَلمانيّة . وهنا أؤيّد ما قاله من قبلُ السادة خوري ولوف وإبخنير . إنّ العَلمانيّة هي في الواقع فرصة سانحة كبيرة ، لكي يتمكّن أناس من مختلف المذاهب أن يعيشوا معًا بدون صعوبات وبدون أحكام مسبّقة في جوّ سلميّ . وأنا لا أعتبر العَلمانيّة إيديولوجيا ، بل هي ، في أبعد مدى ، – كما قال السيد إبخنير – فلسفة ، وعلى كلّ حال قاعدة قانونيّة .

الفرديّة وحقوق الإنسان

أمّا مسألة الفرديّة فأعتقد فيها أنّ كرامة الإنسان قائمة على الإنسان الفرد . فلا يمكن رفض الفرديّة إلاّ إن تغافى المرء عن القاعدة القانونيّة اللازمة لصيانة حقوق الإنسان ، فتُسلب عندئذٍ حقوق الإنسان السياجَ اللازم لحمايتها .

مهجيازغان (Mihciyazgan) :

مفهوم الحقيقة الدينيّة

إنّ السيدة بلعربي شدّدت على ثلاث مفاهيم استنادًا إلى محاضرة السيّد ترولّ : الحقيقة – الحوار – التعدّد . أُلحق بهذا ملاحظاتي .

ما هو مفهوم الحقيقة التي استندت إليه المحاضرة ؟ إن فَهمنا الحقيقة الدينيّة كشيء ثابت ، كان مفهومها جامدًا . وإن اعتبرنا الحقيقة شيئًا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يجب استنباطه ونشره ، كان هناك مفهوم فعّال . وفي نظري نجد في الدينين هذين النوعين من المفاهيم . فبما أنّ هناك نصوصًا أساسيّة مدوّنة ، تعتبَر الحقيقة من جهة شيئًا حاصلاً ، ومن جهة أخرى شيئًا يجب استنباطه وتأويله ، إذ إنّ النصوص مفتوحة مبدئيًّا للتأويل . ولكن بما أنّ صيغة النصوص المادّيّة يختلف تقدير قيمتها في الدينين ، فلربّما ساد أكثر في الإسلام المفهوم الجامد وفي المسيحيّة المفهوم الفعّال .

نتائج بالنسبة إلى مفهوم الحوار

ماذا ينتج عن ذلك بالنسبة إلى الاعتراف بالتعدّد والحوار ؟ إن كان علم المؤمنين مربوطًا (بتأويل) النصوص ، فتحصل نظرًا إلى اختلاف النصوص أمور مشتركة ومختلفة في معارف المؤمنين . والإقرار بذلك هو شرط مسبّق للحوار ومدعاة له . فإنّه يبيّن من جهة المساحات المشتركة – أي القيَم المشتركة – ويؤكّدها ، ويظهر من جهة أخرى الفوارق . أيكون من مهمّة الحوار أن نبحث فيها ؟ فإنّه ، كما قال البروفسّور ترولّ ، علينا تصفية المعرفة ومواكبتها بالنقد . أيحصل ذلك بواسطة التفكير الذاتيّ ، أي برجوع المؤمنين إلى نصوصهم الخاصّة (وشروحاتها) ، وبإعمال النقد فيها ؟ عندها يكون النقد الذاتيّ نتيجة للحوار . وما هو مقام النقد في الحوار ؟ فإن توجّه الاهتمام مبدئيًا إلى نقد معارف الآخرين فقط ، تعلّق النقد بكيفيّة التخاطب .

وجوب تحمّل التوتّر الناتج عن التعدّد

ثم إنّ موقف المتحاورين ليس متوازيًا ، كما يبدو للمراقب . فهناك عدم توازٍ ناجم عن أنّ موقف المخاطِب غير موقف السامع . ولو كان السامع ينتقل في المرحلة اللاحقة إلى مخاطِب ، فإنّه لا يستطيع أن يؤكّد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حُجّته في جوّ لا يزال فارغًا ، كما فعل المخاطِب الأوّل . فلكي يبلغ إلى هذا الوضع ، يمكنه (أو عليه) أن يُعمل النقد . ولا ينتج عن ذلك دومًا - بل ينتج بالأحرى نادرًا - اتّفاق . فلا يمكن إبعاد الاختلاف على صعيد المخاطبة ولا الاختلافات على صعيد المعرفة .

ولذلك فإنّ تحمّل التوتّر الناتج عن الاختلاف ، أو بعبارة أعمّ ، عن التعدّد ، هي مهمّة أساسيّة . فهل يمكن أن نتصوّر أنّ تفضيل المسيحيّة لمفهوم فعّال للحقيقة يجعل هذا أصعب ، فيما يسهّله تفضيل الإسلام لمفهوم جامد لها ؟

بالتش (Balic) :

الإسلام يعتبر اليهود والمسيحيّين مؤمنين

مَن يظنّ أنّه يحتكر الحقيقة ، يميل إلى إبعاد الآخرين ، وهو معرّض بالتالي ، كما يظهر التاريخ ذلك ، إلى أن يستعمل العنف . ففي الإسلام يمكن اعتبار اليهود والمسيحيّين مؤمنين ، فإنّ القرآن قال إنّ رضى الله يحلّ عليهم .

واجب التحاور الإيجابيّ مع النظم المعلمَنة

أمّا في شأن عصر الأنوار فلا يمكن التعامي عن أنّه قد ساهم مساهمة جوهريّة في توسيع الوعي وأطلق حقبة جديدة في تاريخ البشريّة . إنّ ظاهرة النظرة العَلمانيّة إلى العالم لا يمكن إلغاؤها . فينبغي إذن أن نكتشف ، حتّى في التراث الإسلاميّ ، عناصر تمكّن من التعامل مع هذا الحدث الهامّ في تاريخ الفكر البشريّ تعاملاً بنّاءً . فإنّه لا شكّ في أنّ الشبيبة المسلمة تتأثّر بهذه الظاهرة . فالعقل مَطلب الجميع اليوم . ويجدر هنا بالذكر أنّ الفيلسوف المسلم ابن رشد (توفّي ١١٩٨) قد أثبت أنّ استعمال العقل لا يتناقض والوحي ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان بذلك أوّل من فتح مجالاً معيّنًا للفكر خارجًا عن اللاهوت . ووحي الله يخترق التاريخ كلّه .

ضرورة ضمّ الجهود للاعتراف بحقوق الإنسان

وكان من نتائج هذا التطوّر الهامّ نشوء نظريّة حقوق الإنسان . وبالنسبة إلى ملايين المسلمين الذين يعيشون في أوروبّا وأميركا يشكّل الاعتراف بحقوق الإنسان أمرًا بالغ الأهمّيّة . وربّما كان من الممكن تجنّب المأساة في البوسنة ، لو حصل قبلها الاعتراف بحقوق الإنسان . وإنّ السبيل إلى الاعتراف بحقوق الإنسان ، ليس فقط نظريًّا بل عمليًّا ، هو طريق صعب على الجميع ، بما فيه العالم المسيحيّ ، ولا سيّما في الشرق . فلا مناص من لزوم تضافر الجهود لكي نكتشف لغةً واحدة في القول والعمل .

فيتزجرالد (Fitzgerald) :
وقائع وأسئلة عن التمثيل السياسيّ للأقلّيّات

إنّ قضيّة التمثيل السياسيّ للأقلّيّات لها أهميّة كبيرة . لقد عبّر آية الله الخامنئي عن أسفه أن لا يكون المسلمون يُمثَّلون في المجالس النيابيّة والحكومات في البلدان الغربيّة . ولكن يجب هنا الإشارة إلى أنّه في بريطانيا العظمى تمّ انتخاب مسلمين في البرلمان . وكذلك على صعيد الانتخابات البلديّة تمّ انتخاب مسلمين في التمثيل السياسيّ حتّى منصب المختار ورئيس البلديّة في مدن مختلفة من البلد .

وتزداد أهمّيّة هذا الأمر إذا فَطنّا إلى أنّ مثل هذه الانتخابات تجري على يد جميع السكّان ، أي أنّه ليس هناك عدد معيّن من المقاعد المحجوزة لهم على كلّ حال ، بقطع النظر عن عدد الناخبين الذين صوّتوا لهم . وقد نعود إلى هذه المسألة غدًا عندما يدور البحث حول الشروط القانونيّة والسياسيّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للتعدّديّة . هناك ، وهو الحال في إيران ، أناس يرون أنّه من الأفضل حجز عدد معيّن من المقاعد للأقلّيّات . وغيرهم يعتقد أنّ هذا ليس السبيل الصحيح ، لأنّه يُقصي بعض المواطنين عن الاشتراك الفعّال في حياة البلد السياسيّة العامّة ، إذ إنّهم لا يمكنهم عندها إلاّ انتخاب أعضاء جماعتهم دون غير .

كولر (Köhler) :

مسلمون في أوروبّا انتخبهم مسيحيّون

لدينا في مجلس النوّاب الاتّحاديّ في ألمانيا نائب أو نائبان . والوضع مماثل في فرنسا وهولندة . هم نوّاب عاديّون منتخبون انتخابًا حرًّا ، لا كممثّلي أقلّيّة ، وبالتأكيد في أكثرهم من قبل ناخبين مسيحيّين . فما قيل إذن في المحاضرة التي تُليت علينا اليوم ، ليس بصحيح .

يجب إعمال التمييز في البحث في القضايا

وإنّي لأعتبر أنّه من الخطأ أن نحمّل العَلمانيّة والليبراليّة عبء جميع ما فعلته الشعوب بعضها ببعض عبر التاريخ . عندما وقفت ، سنة ١٥٢٩ و١٦٨٣، أمام جدران فيينّا جيوش الأتراك من جهة ، وجيوش النمسا وبولونيا وغيرها من الجهة المقابلة ، لم يكن هناك أيّ ممثّل للعَلمانيّة .

ناهيك عن الليبراليّة . فإن أردنا التحدّث بجدّ عن موضوعنا " عالم واحد للجميع " ، فكيف يمكن إغفال الملايين ومئات الملايين من الناس ، الذين لا يلتزمون بالدين بل يتّبعون اتّجاهات أخرى (وكثيرًا ما توجد لديهم قيَم وقواعد مسلكيّة مستقاة من تقاليد الإيمان) ؟ مثل هذا يكون خطرًا حتّى من الوجهة الاجتماعيّة السياسيّة .

أمّا أن يكون في زمن العَلمانيّة والليبراليّة (التي لا يجوز قرنها بالإباحيّة) ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قد استُعملت قواعد مزدوجة غير متساوية ، فهذا ما يندّد به آية الله الخامنئي بحقّ ، وإن كان من الممكن النقاش في أسباب تبريره .

إنّ مفهوم حقوق الإنسان المعترف به لا يجوز التشكيك فيه

لي ملاحظة أخيرة في حقوق الإنسان . قد يكون أنّ حقوق الإنسان في التراث الأوروبّيّ لم تنشأ في إطار الخطاب المسيحيّ . ولكنّا قد تخطّينا من زمن بعيد اصطدام التقليد الطبيعيّ لحقوق الإنسان والموقف المسيحيّ ، ووجدنا نظرة توحّد بينهما . أمّا بشأن تفسير حقوق الإنسان ، فإنّ معاهدة الأمم المتّحدة في حقوق الإنسان سنة ١٩٤٨ لا تستند على ما جاء في تفسيرها في الإطار الأوروبّيّ فقط . فإنّا قد توصّلنا قبل بضع سنوات في القاهرة إلى اتّفاق عالميّ حولها ، أبعاده تتعدّى حدود الإطار الأوروبّيّ . في هذا الوضع يبدو لي مشروعًا مليئًا بالخطر في مفاعيله السياسيّة ، إن أراد كلّ واحد أن يؤوّل هذه الحقوق ليستنبط مفهومًا لها خاصًا به .

تروّلّ (Troll) :

حوار في سياق عمليّة متواصلة

لا أحاول الآن أن أوفّق بين القضايا المختلفة . ولا أظنّ أنّ أحدًا ينتظر منّي ذلك ، نظرًا إلى كثرة المداخلات والتعقيبات . أودّ أن أتعرّض لبعض النقاط التي أثيرت في النقاش وبدت لي ذات أهمّيّة خاصّة . وأنا أنطلق من أنّ هذا المؤتمر هو نفسه مسيرة في عمليّة تتكامل ، كما هو الحال في ما قد يتبع . بهذا المعنى يبدو لي أنّه ليس من المفيد محاولة القيام بالتوفيق بين النقاط المعروضة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضرورة التفكير المُلزم وحدوده

قلتُ في مطلع محاضرتي إنّ عرضي يستند إلى الصعيد المُلزم . وكنتُ أعي الحدود المنصوبة أمامي . لذا فإنّ تطوّر النقاش يملأني شكرًا ، لأنّ الكثير من التعليقات تطرّقت إلى صعيد التطبيق العمليّ للقواعد الملزمة . وهكذا فكان هناك بطريقة محسوسة نوع من الحساسيّة مقابل التفكير الإلزاميّ ، وقد عُبّر عن ذلك هنا وهناك بوضوح راهن . أليس أنّ كلّ مؤمن في الواقع له إسلامه الخاصّ أو مسيحيّته الخاصّة ؟ فبأيّ حقّ نتحدّث إذن عن تأويل مُلزم للنصوص البيبليّة أو القرآنية ؟ إلى أيّ مدى يمكن أحدًا أن يتكلّم باسم شخص آخر .

من جهة أخرى نبّه المطران تسّيه وغيره إلى أنّه من المهمّ أن نعرف مَن نتعاطى معه ، إن أردنا أن نعيش معًا كجماعات مختلفة في عالمنا اليوم المتشابك الأجزاء . أنا أقرّ أنّي في حياتي العمليّة ، وأيضًا في عملي العلميّ ، أجابه مشكلة عندما يُقال : " الاسلام يقول " ، " الكنيسة الكاثوليكيّة تقول " ، وما شاكل . ماذا يعني لنا ذلك فعلاً في الأمر الواقع ؟ عندما طُلِب إليّ أن أعالج موضوع اليوم من وجهة نظر مسيحيّة ، عرفتُ جليًّا أنّي لا أستطيع أن أفعل ذلك باسم جميع المسيحيّين . فلذلك عرضتُ طريقتي في فهمي ما تقوله الكنيسة الكاثوليكيّة في هذه القضيّة . فسعيتُ في تقديم مختصر للتعليم الرسميّ للكنيسة الكاثوليكيّة بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني وبسطه بسطًا مترابطًا في ثلاث مراحل .

مفهوم إنسانيّة مشتركة

وقد استحسنت أن نتطرّق في المناقشات إلى مسألة من مسائل علم الأصول . فإنّ هناك مشكلة مستمرّة داخل جماعاتنا الدينيّة الخاصّة كما في إطار فهمنا بعضنا لبعض وفي العلاقات بين المسيحيّين والمسلمين . فقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بدا لي أنّ في تعقيب الدكتور عون إشكالاً ، إذ أوحى بأنّه ينطلق من مفهوم لله وبالتالي من مفهوم للعدالة ، يثيران الانطباع بأنّها تتبع إجمالاً موقفًا فرديًّا جدًّا . فبدا لي بالتالي أنّه على حدّ قوله كان يجب علينا أن نوضح قبلاً مفهوم العدالة ، قبل أن نهتمّ بالفقراء والجياع والمعوزين الذين يعيشون في جوارنا . نجد في القرآن ، كما نجد في تقليد الكتاب المقدّس مفهومي المعروف والمُنكر ، رغم كلّ الالتزام بالتفكير معًا في ما يعني ذلك عمليًّا [١] . ومن دون أن ندخل في كثير من التفاصيل ، ينبغي أن نتفطّن إلى أنّه لدينا إنسانيّة مشتركة .

والقيَم الخلاّقة في التراث اليونانيّ الرومانيّ

ولهذا السبب فقد أقلقتني مقولة في محاضرة آية الله الخامنئي وجّهها ضدّ التراث اليونانيّ الرومانيّ . ألم ينقل إلينا هذا التراث قيَمًا إنسانيّة عامّة ، قيَمًا إنسانيّة كانت لها ولا يزال أهمّيّة كبيرة مستمرّة لتراثَينا كليهما ؟ هذا صرّح به الدكتور بالتش في تعليقه الأخير عن ابن رشد . وأين كان التراث المسيحيّ ، أين كانت كتب العهد الجديد والكتب المتأخّرة من العهد القديم ، بدون اللقاء الخلاّق مع الثقافات الأخرى المعنيّة بهذا الحدث ، لا سيّما منها اللقاء مع الثقافة الهلّينيّة والساميّة ؟

العلاقة بين حقوق الله وحقوق الإنسان

هناك أمر آخر له أهميّة كبيرة ، أشار إليه البروفسّور جفّريه ولم

---

[١] راجع محمد طالبي : " الإصغاء الى كلام الله ، القرآن في تاريخ التراث الإسلاميّ " ، في أندراوس بشته وعادل تيودور خوري : " الإصغاء إلى كلام الله " ، المكتبة البولسيّة ، جونيه - لبنان ١٩٩٧ ، طبعة ثانية ١٩٩٩ ، ص ١٦٥-١٧٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يناقش بقدر كافٍ ، هو أمر العلاقة بين حقوق الله وحقوق الإنسان . أودّ لو يبادرنا المسلمون من بيننا بشرح أوفى في هذا الموضوع ، فنسمع كيف يفهم الفكر الإسلاميّ حقوق الشخص البشريّ على أساس فهم جامع لنصوص القرآن ، بحيث لا تُمسّ واجبات الإنسان تجاه الله العليّ . وبعبارة أخرى ، كيف يمكن فهم العلاقة بين الله والإنسان ، بين الوحي والتاريخ ؟ وكيف يمكن على صعيد نظريّ وبالاستناد الصريح إلى القرآن ، أن تُفهم حقوق الإنسان بحيث لا تبعد الإنسان عن حقوق الله ، بل بحيث تكون مؤسّسةً على حقوق الله وتهدي إليها ؟ هل هناك في نظر المفكّرين المسلمين توافق بين الطرفين ، أو أيضًا علاقة استناد حقوق الإنسان إلى حقوق الله ؟ أمّا الفكر المسيحيّ فقد جهد في طلب هذه المسألة طوال تاريخ الإيمان ، وعليه حتّى اليوم أن يتصدّى لها . أعتقد أنّ مفهومنا لهذه القضيّة قد تأثّر بالمقولة المزدوجة عن تسامي الله وقربه في التجسّد . ومن الأكيد أنّ هناك مداخل كثيرة لحلّ هذه القضيّة .

يسوع هو الجواب عن أعمق مسائل حياتي

أخيرًا جرى الكلام مكرّرًا على الحقيقة والحوار والتعدّد . لا أدري إن كان اتّضح في محاضرتي أنّ وسط أو ركيزة مفهومي للإيمان المسيحيّ لا يقوم بالدرجة الأولى على تقبّل مقولات محدّدة ، بل على الإيمان بالحقيقة التي جاءتنا في يسوع ، في خبرتنا الإيمانيّة ، في التقليد الحيّ لجماعتنا الدينيّة . عندي أنّ يسوع المسيح هو الحقيقة . هو الجواب عن أعمق المسائل التي تمسّني في حياتي . وهذا ليس موقفًا فرديًّا ، بل هو إيمان الجماعة ، أي الكنيسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في مفهوم جماعة الإيمان ، أي الكنيسة

صحيح أنّ نصوصًا معيّنة ، وأسفار الكتاب المقدّس أيضًا ، يمكن فهمها بطرق مختلفة . ولكنّ الكنيسة ، أو قُل الكنيسة التي أنا من أتباعها ، لا تترك أمر تفسيرها للفرد وحده . كلّ مؤمن بصفته عضوًا في الجماعة عليه أن يقوم بدوره الشخصيّ عندما يقابل واجب تقبّل التقليد الحيّ وأن يحياه وينقله إلى الآخرين . ولكنّه يعرف أنّه مرتبطٌ بجماعة لها منذ أيّام الرسل بُنى معيّنة . أعني بذلك السلطة التعليميّة بالمعنى الواسع للكلمة ، والجماعة المسيحيّة كلّها التي من وظائفها أن تشرح في كلّ حقبة من الزمن مواضيع الإيمان الأساسيّة وتبيّن معناها . بهذا يتّسم في نظري التقليد الكاثوليكيّ . وأنا لا أبغي أن أفرضه على أحد ، بل أن أشرحه بروح الحوار . ولقد أشار البروفسّور فانوني بحقّ ، حول مسألة كيف يمكن فهم جماعة الإيمان المسيحيّ فهمًا دقيقًا ، إلى أنّ هناك تنوّعًا كبيرًا لدى أتباعها . ومهما يكن من أمر المغالطات والتوافق التي ظهرت في حقبات التاريخ – وعلينا أن نأخذ هذا جادّين بعين الاعتبار – فإنّي أردت أن أوضح أنّي عضو في جماعة ، تعرف أن تتكلّم بالنسبة إلى القضايا المهمّة في الوقت المناسب بصوت واحد .

الحقيقة في الحوار

إنّ إيماني بأنّ يسوع المسيح هو الجواب عن أعمق المسائل في حياتي ، ومفهوم الحقيقة الذي ينجم عن ذلك ، ليسا من نوع معطيات ثابتة على مرّ الزمن ، بل هي تعني مسيرة مستمرّة . وبهذا التعمّق والنموّ في ما وصفته بحقيقة المسيحيّين ، في هذه المسيرة التي يقودني الله فيها والتي أدعه يقودني فيها ، تقوم علاقتي بجميع إخوتي وأخواتي – أكانوا مسيحيّين أم مسلمين – ويقوم الحوار بدور هامّ . وأنا منفتح لهذه العلاقة ، بل إنّي بحاجة إليها . عليّ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن أصغي إليهم وأنقاد إليهم وأجعلهم يجعلون علاقتي أكثر صفاءً. وهكذا أبلغ إلى فهم يزداد عمقًا لذلك الجواب الذي اختبرته في يسوع كجواب عن أعمق المسائل في حياتي الشخصيّة وفي عيشي المشترك مع الآخرين. هناك يضحي الحوار ضرورة لي، وأنا أومن أنّ الروح القدس هو الذي يفعل فيّ بواسطة إخوتي وأخواتي في العالم كلّه.

توحيد العالم كلّه فُرص ومخاطر

ولذلك أعتبر الحركة التي تسعى إلى إقامة وحدة العالم، أعتبر هدف العولمة، التي دار عليها الحديث مرارًا، أعتبرها شيئًا إيجابيًّا، لأنّ التاريخ يبدأ الآن بمعناه التامّ، ولأنّنا الآن باستطاعتنا أن نصير كلاًّ واحدًا، جسدًا منتظمًا، كما قال آية الله الخامنئي استنادًا إلى سعدي. في هذا تكمن فُرص لم نؤتها حتّى الآن، كما تكمن فيه، كما قيل أيضًا، مخاطر لم تمرّ علينا حتّى الآن: فإنّنا قد نُلحق بعضُنا ببعض أذى جديدًا، وقد نستعمل العنف بعضنا تجاه بعض، لأنّنا لا نقدر أن نحتمل بعضنا بعضًا، وذلك بسبب الفروق بيننا وبسبب اختلاف الآخرين عنّا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البُنى القانونيّة والضمانات السياسيّة للتعدّديّة على الصعيد الوطنيّ والدوليّ
عَرضُ موقف

ناصرة إقبال

إنّ الذين يتدبّرون الأمر ، والفِرقَ المسؤولة في المجتمع في العالم يشعرون كلّهم على حدّ السواء بالحاجة الماسّة إلى بُنى قانونيّة وضمانات سياسيّة للتعدّديّة على الصعيد الدوليّ والوطنيّ . فعلى مشارف القرن الحادي والعشرين لا يسعنا أن نزعم أنّا قد أضحينا أشدّ سماحة ومدنيّة من أسلافنا . فقد ساهم ، في القرن العشرين ، تأثير وسائل الإعلام العصريّة المتسلّط في نشأة ثقافة شاملة من التعصّب ، تحمل في طيّاتها تهديدًا مستمرًّا للسلام العالميّ .

إنّ مشاكل التعدّد الثقافيّ والأقلّيّات الدينيّة كامنة في طبيعة التعايش الاجتماعيّ . وعلى مرّ الزمن توصّلت بعض الجماعات إلى ائتلاف بنيويّ داخل نظام اجتماعيّ معيّن بطرق مختلفة جدًّا ، مثلاً بواسطة التنحية أو التهميش أو الاندماج أو التصفية . أمّا المشاكل الأساسيّة النابعة من التعدّد فلم تزل قائمة . وبقدر ما يمكننا استطلاع المستقبل ، فإنّه من المنتظر أن لا يتضاءل التعدّد الدينيّ والعرقيّ والثقافيّ ، بل سوف يزداد أكثر فأكثر بازدياد تأثير وسائل التبادل في الإعلام وبواسطة وسائل النقل على مستوى العالم . ولذلك علينا أن نبلغ إلى معرفة واضحة للعوامل التي تؤدّي إلى تطوّر الاختلاف في المجتمع البشريّ ، إذ إنّ لها أهمّيّة حاسمة في صيانة العالم من تخريب نفسه وفي تطوير بُنى من شأنها أن تحافظ على مكاسب مجتمع تعدّديّ .

يُؤلّف المسيحيّون والمسلمون اليوم أكثر من نصف سكّان العالم . ولهم في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقاليد إيمانهم تراث ثقافيّ مشترك ، وهو الإيمان با لله الواحد الأحد ، وبعض التطوّرات اللغويّة والتاريخيّة ، والاهتمام الأخلاقيّ المشترك بمجتمع تعدّديّ . ولكنّ هذه العناصر المشتركة لم تمنع في التاريخ قيام انقسامات ومشادّات بين أتباع الدينين ، أفضت إلى نزاعات مسلّحة كثيرة ، بما فيه الحروب الصليبيّة في القرون الوسطى ، والنزاع في فلسطين والشيشان والبوسنة وغيرها من دول البلقان .

هل نتجت كلّ هذه الاختلافات من العقائد الدينيّة أم نشأت في وقت لاحق ؟ وكيف واجه الإسلام منذ نشأته وفي مراحل تاريخه حتّى يومنا هذا مشاكل التعدّد ؟ وكيف يمكن المسلمين أن يسهموا في حوار الثقافات في عالمنا الحاضر ؟

إنّ الإسلام في نظر المسلمين ليس هو مجرّد إيمان ، بل هو نظام حياة شامل . فلا يمكن الفصل بين الأحكام التي تتعلّق بأمور الحياة الدنيويّة وتلك التي تتعلّق بالقضايا الروحيّة . فليس القرآن مجموعة من النصائح والتوصيات الأخلاقيّة . بل فيه مجموعة من الحقوق الفرديّة والجماعيّة ومن المبادئ التشريعيّة التي على أساسها تضمن الدولة الإسلاميّة هذه الحقوق وتدافع عنها وتحميها ، بدون أن تقيم – لأيّ سبب كان – فرقًا بين الناس . فأحكام الشريعة أساسها تحقيق أفضل مصالح الإنسان وأثبتها ، وبفضلها يمكن المطالبة بهذه الحقوق عن طريق القانون .

فالشريعة تفرض نظامًا اجتماعيًّا وسياسيًّا يستند إلى مفهوم معيّن لسعادة الإنسان في هذه الدنيا وفي الآخرة ، وتضع الأسس اللازمة لتطوير نظام اجتماعيّ للبشريّة عادل ومقسط وكامل .

وفكرة مجتمع تعدّديّ تساندها تعاليم القرآن . فالإسلام يعلّم المسلمين أن يحترموا عادات الجماعات الأخرى وقوانينها ومؤسّساتها الدينيّة والاجتماعيّة ، وأن يحموا أماكن عبادتها . واحترام التعدّد يحتلّ محلاً واسعًا في الشريعة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفرائض القرآن تضع الأسس اللازمة لتطوير إطار نظام قانونيّ لحماية التعدّديّة في المجتمعات الإسلاميّة [١] .

فمن أوائل نشوئه ربّى الإسلام أتباعه على احترام الفوارق بين الناس . فالقرآن يطالب المؤمنين مطالبة واضحة بما يلي :

- يَا أَيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنْثى وجَعَلْناكم شُعوبًا وَقَبائلَ لِتَعارَفوا إنّ أكْرَمَكم عندَ الله أتْقاكم إن الله عليمٌ خبير (٤٩: ١٣) .
- ... ولَولا دَفْعُ الله الناسَ بَعْضَهم ببعض لَهُدِّمَت صوامِعُ وبيعٌ وصَلواتٌ ومساجد يُذْكَرُ فيها اسْمُ الله كثيرًا (٢٢: ٤٠) .
- ولَوْ شاءَ ربُّك لَجَعلَ النّاس أُمّةً واحدةً ولا يَزالُون مُختلِفين (١١: ١١٨) .
- ومِنْ آياتِه خَلْقُ السماواتِ والأرضِ واخْتلافُ ألسِنَتكم وألوانِكم (٣٠: ٢٢) .

إنّ هذه الآيات تتكلّم على التعدّد الدينيّ الثقافيّ (الألسنة) والتعدّد العِرقيّ (الألوان) بشكل أفصح وأوضح من أيّ شاهد من القرن العشرين . ففي أكثر من مئة آية نجد في القرآن الكريم كلامًا مفصّلاً يعلّم ويُثبت القواعد والقيَم والفضائل التي تُعدُّ جوهريّة للمجتمع التعدّديّ [٢] .

فبالنسبة إلى حرّيّة الإيمان الدينيّ نجد في القرآن الكريم الآيات التالية :

---

[١] راجع : سعد الدين إبراهيم (من مركز ابن خلدون للدراسات المتعلّقة بالإنماء ، القاهرة) : " الإسلام والتعدّديّة الجماعيّة " (محاضرة ألقيت في إطار مؤتمر عقدته مؤسّسة Interfaith سنة ١٩٩٦ في تشيسهام حول موضوع " الدين والتعدّديّة الجماعيّة ") ص ٤ من المخطوط .

[٢] جَويد إقبال : " الإسلام وحوار الثقافات " (محاضرة ألقيت في إطار مؤتمر عقدته مؤسّسة آل البيت سنة ١٩٩٤ في عمّان) ، ص ١ من المخطوط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- قُلْ يا أيُّها الكافِرونَ لا أعبُدُ ما تعبُدُونَ ولا أنتُم عابدونَ ما أعبدُ ... لكم دينُكم ولي دينِ (١٠٩: ١-٣ و٦) .
- قُلْ آمنوا به أوْ لا تُؤمنوا (١٧: ١٠٧) .
- وقُلِ الحَقُّ من ربّكم فمَن شاءَ فليؤمِنْ ومَن شاءَ فليَكْفُرْ (١٨: ٢٩) .
- لا إكراهَ في الدين قد تبيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ (٢: ٢٥٦) .
- ولَوْ شاءَ ربُّكَ لآمَنَ مَنْ في الأرْضِ كلُّهم جميعًا أفَأنْتَ تُكرِهُ النّاس حتّى يَكونُوا مُؤمنين (١٠: ٩٩) .
- فذَكِّرْ إنّما أنْتَ مُذَكِّر لستَ عليهم بمُصَيْطِرٍ إلاّ مَنْ تولّى وكَفَرَ فيُعذّبه العذابَ الأكْبَر إنّ إلينا إيابَهم ثمّ إنّ علينا حسابَهم (٨٨: ٢١-٢٦) .
- وإن جَادَلوكَ فقُل الله أعلَمُ بما تعْمَلُونَ الله يَحْكُمُ بَيْنَكم يومَ القيامة فيما كُنتم فيه تختلفون (٢٢: ٦٨-٦٩) .

والقرآن ينبّه النبيّ الكريم - صلّى الله عليه وسلّم - (والمسلمين معه) أن يُحسنوا القول عندما يخاطبون الآخرين :

- وقولوا للنّاس حُسْنًا (١٢: ٨٣) .
- ادْعُ إلى سبيل ربّك بالحكمةِ والمَوْعظةِ الحَسَنة وجَادلْهم بالّتي هيَ أحْسَنُ إنّ ربّكَ هو أعلَمُ بمَنْ ضَلّ عن سبيلِهِ وهو أعْلَمُ بالمُهتدين (١٦: ١٢٥) .
- ولا تَسبُّوا الذين يَدْعونَ من دون الله فيَسُبُّوا الله عَدْوًا بغير عِلْمٍ كذلك زيّنّا لكلِّ أُمّةٍ عملَهم ثُمّ إلى ربّهم مَرْجَعُهُم فيُنَبِّئُهم بما كانوا يَعمَلُون (٦: ١٠٨) .

والمسلمون يعتقدون أنّ كلّ إنسان خليفة الله في الأرض :

- ... إنّا جعلناكَ خليفة في الأرْض فاحْكُم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبِع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهَوَى فيضلّكَ عن سبيلِ الله (٣٨: ٢٦) .

ويحثّ القرآن المسلمين على الإقبال على الحوار المتأدّب مع مؤمني الأديان الأخرى ، لتحسين التفاهم المتبادل بين الناس ، في سبيل تحقيق مثال التضامن البشريّ . وقد احتلّ أهل الكتاب في نطاق هذا الحوار مكانًا مفضّلاً :

– ولا تُجادِلوا أَهْلَ الكتابِ إلاّ بالّتي هي أَحْسَنُ إلاّ الّذين ظلَموا منهم وقُولوا آمنّا بالّذي أُنزِلَ إلينا وأُنزلَ إليكُم وإلهُنا وإلهُكُم واحدٌ ونحنُ لَهُ مُسلمون (٢٩: ٤٦) .

ثمّ إنّ القرآن يكشف للمسلمين في سورة ٤٠: ٧٨ متوجّهًا إلى النبيّ محمّد ما يلي : " ولقد أرْسَلْنا رُسُلاً من قبلِك منهم مَنْ قَصَصْنا عليكَ ومنهم مَن لَمْ نَقْصُصْ عليكَ " .

يتّضح من هذه الآية أنّ الله تعالى لم يرسل فقط أولئك الأنبياء المعروفة أسماؤهم في الديانات الساميّة ، أي اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام . لقد بعث أيضًا رُسلاً آخرين جاؤوا بالحقّ في محتويات رسالاتهم الكثيرة . لذلك يصرّح القرآن في سورة المائدة (٥) ٦٩ : " إنّ الذين آمَنُوا والّذين هَادُوا والصّابئون والنّصارى مَن آمن با لله واليومِ الآخِر وعمل صالحًا فلا خَوفٌ عَلَيهم ولا هُمْ يَحْزَنون " .

هناك في الإسلام تمييزٌ واضح بين الدين والمذهب . فالدين هو الإسلام لله . وهو يرتكز على المبادئ العامّة القائمة لدى بشريّة تتوجّه إلى توحيد كيانها ، والظاهرة في علاقة البشر بخالقهم . أمّا المذهب فيعني ذلك النوع من الإسلام المرتكز على الفوارق ، إذ إنّه يعتمد على التفاسير العديدة والدقيقة الخاصّة الذاهبة في اتّجاه معيّن في اللاهوت والفقه . فالإسلام باعتباره دينًا ليس مذهبًا بالمعنى المتعارف عليه ، بل هو موقف ذهنيّ ، موقف التحرّر الباطن من ضيق الفكر ، وموقف الاحتجاج على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلّ نوع من العبوديّة الروحيّة في العالم القديم .

والإسلام بوصفه دينًا ليس مختصًّا بوطنٍ ما ، ولا هو مرتبط بعِرقٍ ما أو بأشخاص معيّنين . وبصفته ثقافة ليست لَه لُغةٌ أو حروفٌ معيّنة ، ولا يتمسّك بنوع خاصّ من اللباس . وفي عقيدة المسلمين أنّ الإسلام ليس دينًا جديدًا ، بل هو امتداد وتكميل للتراث الروحيّ الساميّ . فهو يرتكز على الوصايا الروحيّة والأخلاقيّة ، التي كُشِفَت للأنبياء ووردت في القرآن لخير البشريّة . فلقد بَشّر كلٌّ من موسى وعيسى جماعتَه بظهور الإسلام .

إن أهمَّ ما في الدين الإسلاميّ هو التوحيد . التوحيد هو على صعيد المسلك العمليّ مبدأ التضامن البشريّ والمساواة والحرّيّة . فالدولة في الإسلام ، التي تقوم على قاعدة الديموقراطيّة والعدالة ، تعني محاولة تحقيق هذه المُثُل في نطاق المكان والزمان . وإذ يعتقد المسلمون بأنّه لا يمكن أن يجيء في المستقبل وحيٌ جديد ملزمٌ للناس ، فالإسلام يأمل أن يكونوا هم أكثرَ الناس على الأرض مساحة وحرّيّة باطنة وانعتاقًا . وبقدر ما يشعرون بأنفسهم أحرارًا ذهنيًّا ، عليهم أن يسعوا في تطوير " الديموقراطيّة الروحيّة " وتشييدها ، تلك الديموقراطيّة التي تكوّن أسمى هدف للإسلام [٣] .

فالدولة الإسلاميّة تشمل جميع فضائل دولةٍ عَلمانيّة مُثلى تحترم جميع الأديان ، بخلاف مفهوم الدولة العَلمانيّة في الغرب التي تقف حيال الدين موقفًا حياديًّا أو بخلاف المفهوم الماركسيّ للدولة العَلمانيّة التي ترفض الدين.

... لِكُلٍّ جَعَلنا مِنْكم شِرعَةً ومِنْهاجًا وَلَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكم أُمّةً

---

[٣] جَويد إقبال : " مسؤوليّة العدالة " (محاضرة ألقيت في إطار مؤتمر عن " وحدة الأديان " عقدت سنة ١٩٩٥ في سان فرنسيسكو) ، ص ٨ من المخطوط ، وفيها تنبيه إلى كتاب محمّد إقبال :

Six Lectures on the Reconstruction of Religious Thought in Islam, Lahore 1982, 154-155, 180.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحدةً ولَكِنْ لِيَبْلُوَكم في ما آتاكم فاسْتبِقوا الخَيْراتِ إلى الله مَرْجعُكُم جميعًا فَيُنَبِّئُكم بما كُنتمُ فيه تَختَلِفون (٥: ٤٨) .

وهكذا نجد في القرآن نفسه الأساس لبناء مجتمع تعدّديّ ، ذلك الأساس الذي يأمر بأن يعاملوا بالحسنى أتباع دين آخر ولا يتدخّلوا في شؤون دينهم الخاصّ ، بل يتنافسوا وإيّاهم في عمل الخير .

ولقد أوضح في مؤتمرنا السابق سنة ١٩٩٣ البروفسّور الإيرانيّ مجتهد شبستري المبادئ القانونيّة الأساسيّة المتعارف عليها لدى الفقهاء المسلمين ، التي تنجم عن التوجيهات التي وردت في القرآن الكريم [٤] :

١) لا يجوزُ إكراهُ أيّ إنسان على الإيمان بالله أو على اعتناق دين معيّن ... فليس من المباح مطلقًا الإكراه في الدين ولا التكفير في الإيمان ولا القتال في الدين .

٢) ... إنّ حقّ الاشتراك والتقرير السياسيّ لا يجوز فصله عن واجب الإنسان تجاه خير المجتمع المعنويّ والماديّ وتجاه العدالة الاجتماعيّة .

٣) إنّ الإنسان البالغ هو نفسه مصدر جميع مسؤوليّاته القانونيّة ... وهو يملك في حقل الحقّ والقانون الاستقلال والسيادة .

٤) إنّ تأسيس أسرة بعلاقة زواج والبقاء عليها " يجب أن يصدر عن قرار حرّ تمامًا من قِبَل الرجل والمرأة " .

٥) يحقّ لكلّ إنسان ... أن يتمتّع بالحماية من كلّ تَعَدٍّ على حقوقه . فيجب على المجتمع أن يقدّم جميع الشروط والوسائل القانونيّة اللازمة لضمان

---

[٤] محمّد مجتهد شبستري : " أسس الحرّيّة اللاهوتيّة والفقهيّة "، في : أندراوس بشته وعادل تيودور خوري : " سلام للبشر . المسيحيّة والإسلام ينظران إلى السلام في أسسه ومشاكله وأبعاده المُقبلة " (المسيحيّة والإسلام في الحوار والتعاون ٣) ، المكتبة البولسيّة ، جونية – لبنان ، طبعة ثانية ١٩٩٨ ، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه الحماية .

٦) على البلاد الإسلاميّة أن تبني علاقاتها الدوليّة مع الشعوب والدول الأخرى على أساس الاحترام المتبادل . ويجب أن يتمّ الاعتراف بالحضارات والثقافات الأخرى ... فيقع تحت الحظر استنزاف بلد من قبل بلد آخر . أمّا الحرب فلا تجوز إلاّ لأغراضٍ دفاعيّة .

أمّا البروفسّور مصطفى شريتش (من المعهد الدوليّ للفكر الإسلاميّ والحضارة الإسلاميّة في كوالا لُمبور) فقد حاول في ذلك الوقت أن يميّز بين الشريعة والفقه . فالشريعة في نظره مفهوم أوسع ، هي السبيل الذي يجب اتّباعه ، أمّا الفقه فيرمي إلى فهم أدقّ لهذا السبيل وإلى إقرار هويّته [٥] . ومثل هذا التمييز يسهّل فهم اختلاف تطوّر الفقه باختلاف البلدان الإسلاميّة وفقًا لحاجاتها ومقتضيات حياتها الخاصّة ، فيما أنّ مصدر جميع هذه التوضيحات المختفلة واحد ، وهو الشريعة . وقد صرّح الدكتور رضوان السيّد أنّ الشريعة يمكن فهمها كأنّها مندرجة في نشأة مستمرّة . فالاجتهاد والإجماع من عناصر الشريعة نفسها ، ممّا يجعل " من الممكن الحصول على تجديد مستمرّ للشريعة " . وهكذا فإنّه لا يفصل بين الفقه والشريعة [٦] .

ولقد كان النبيّ الكريم ، صلوات الله عليه ، يتصرّف وفقًا لجميع مبادئ السماحة التي ينصّ عليها القرآن . فبواسطة العقيدة الإسلاميّة بعث النبيّ الكريم ثورة دينيّة وسياسيّة في شبه الجزيرة العربيّة . فوحّد القبائل في أمّة واحدة . وبفضل إيعازاته ومسلكه الخاصّ أضحى للمسلمين مثالاً لتصرّفهم في حياتهم الفرديّة والجماعيّة تجاه واجباتهم في إطار عيشهم مع أتباع الأديان الأخرى .

---

[٥] راجع الكتاب المذكور في الحاشية السابقة ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

[٦] قابل المرجع نفسه ، ص ٢٤٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والدولة الإسلاميّة التي أُنشئت بعد هجرة النبيّ إلى المدينة ، أُرسيَت على معاهدة أُبرمت بين المسلمين والقبيلتين اليهوديّتين في المدينة ، والمشركين العرب والمسيحيّين في وادي يثرب . و" ميثاق المدينة " هذا يُعَدّ عند المسلمين دستورًا مدنيًّا مثاليًّا ، يحتوي على ضمانات موافقة لمجتمع تعدّديّ . فقد أثبت هذا الميثاق لأعضاء المجتمع في المدينة حقوقًا وواجبات تستند إلى مكان إقامتهم ، لا إلى انتمائهم الدينيّ [٧] .

فقد حصل المعاهدون اليهود والمشركون على الحقوق عينها التي أُثبتت لمسلمي المدينة ، واعتُبروا كلُّهم سياسيًّا كأمّة واحدة . أمّا بالنسبة إلى دينهم فقد أُفسح لليهود والمشركين أن يتبعوا دينهم الخاصّ ، وللمسلمين أن يقيموا على دينهم . وكان لكلّ جماعة ، ما دامت تحافظ على السلام مع الجماعات الأخرى في المنطقة ، أن تتبع قوانينها وعاداتها . ولم تُحسَم الخلافات بالقوّة ، بل بحكم الله والنبيّ محمّد . وحُدّد أنّ المتحالفين عليهم أن يقوموا جميعهم معًا ضدّ كلّ من يخرق السلام . وفي السنين التابعة عُقدت معاهدات مماثلة مع شعوب أخرى ، وفقًا للأوضاع الراهنة .

أمّا عليّ بن ابي طالب ، الخليفة الرابع بعد محمّد (٦٥٦-٦٦١) فقد أثبت في رسالة إلى والي مصر كيف يجب أن يُعامِل الجماعات المختلفة في الدولة : " فاملك هواك ، وشُحّ بنفسك عمّا لا يحلُّ لك ... وأشْعِرْ قلبَك الرحمة للرعيّة ... فإنّهم صنفان : إمّا أخٌ لك في الدين ، أو نظيرٌ لكَ في الخَلْق ... ولا تنقض سُنّةً صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة ، واجتمعت بها الألفة ، وصَلَحت عليها الرعية . ولا تُحْدِثنّ سُنّةً تضرّ بشيء من ماضي تلك

---

[٧] راجع :

M. Hamidullah, *Introduction to Islam*, Lahore 1968, 167-168; W. M. Watt, *Muhammad at Medina*, London 1962, 221-228.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السُّنن "[٨] .

فهذا الاحترام ، الذي تجب تأديته لأفراد الرعيّة ، وإن لم يكونوا من دين الحاكم ، نجده في القرآن وفي تصرّف النبيّ وخلفائه وصحابته .

ففي الدولة الإسلاميّة نوعان من المواطنين غير المسلمين : المعاهدون والذمّيّون . فحقوق المعاهدين أُثبتت في الميثاق المذكور الذي أُبرِم بينهم وبين المسلمين . أمّا حقوق الذمّيّين فقد حُدّدت طبقًا للشرع الإسلاميّ . والذمّيّون هم غير المسلمين الذين غُلبوا في حربٍ واعترفوا بسلطة الدولة الإسلاميّة . فإن تخلّوا عن القتال وقبلوا بإعطاء الجزية واعترفوا هكذا بسيادة الدولة الإسلاميّة ، دخلوا في ذمّة المسلمين وفُرض على هؤلاء حمايتهم وأُعفوا هم من دفع الزكاة . ولصيانة حقوق غير المسملين أقيمت بُنى قانونيّة من هذا النوع على مدى التاريخ الإسلاميّ ، كانت ترتكز على أقوال القرآن الصريحة[٩] .

من حقوق غير المسلمين أن تحمي الدولة حياتهم ومالَهم وعِرضهم وتدفع عنهم الضرر . أمّا الجزية المفروضة عليهم فيجب أن تُراعَى فيها الفطنة المقسطة وأحوال الذمّيّين الماليّة . فكانت لا تُجْبى إلاّ مِمّن كان باستطاعتهم الاشتراكُ في القتال ، وكسبُ معيشتهم أو مَن كانت لديهم الوسائل الكافية . أمّا الأطفال والنساء ، والمُعاقون والمعتوهون ، والنسّاك والرهبان الذين تجرّدوا عن الدنيا ، والشيوخ والمرضى الذي لا يستطيعون أن يكسبوا معيشتهم ، فقد أعتِقوا من دفع الجزية .

وكان يُقدَّم للفقراء والمساكين من غير المسلمين ما يلزمهم للعيش .

---

[٨] نهج البلاغة : من كتاب كتبه عليّ للأَشْتَر النّخعي ، ضبط نصّه الدكتور صبحي الصالح ، الطبعة الكاملة ، بيروت ١٩٨٢ ، الرسائل ، رقم ٥٣ ، ص ٤٢٧ أو ٤٣١ .

[٩] راجع مُعِزّ أمجد في شرحه لمنشور الغميدي ، ذُكر في كتاب سعديّة سليمة :
" Rights of Non-Muslins ", in : *Renaissance Journal* (1996) 11-13.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت حرّيّة المعتقد وممارسة الشعائر الدينيّة في حماية قانون الدولة ، ولم يكن هناك تدخّل في شؤونهم الدينيّة . ولم تُسلَب منهم أماكن عبادتهم ، وسُمِحَ لهم أن يَعرِضوا دينهم ومعتقدهم للآخرين بنوع معقول [١٠] .

وقد مُتّع غير المسلمين بجميع الحقوق التي تُمنَح للناس في مجتمع متمدّن طبقًا لقواعد العدالة والإنصاف . بديهيّ أنّ غير المسلم لم يكن يستطيع أن يصير رئيس الدولة الإسلاميّة ، ولكنّ غير المسلمين كان لهم ما عدا ذلك الحقوق والواجبات عينها في شتّى المجالات الدنيويّة . فالملّة كانت بالنسبة إلى غير المسلمين عبارة عن مجموعة واضحة من الحقوق الثابتة ، وكانت تمكّنهم من تدبير أمورهم الدنيويّة الخاصّة . أمّا بالنسبة إلى الأحكام والمفاهيم والمسلك فإنّ الإسلام ، في جوهره وبالطريقة التي أقرّ بها المسلمون الأوائل منهاج حياتهم ، قد أظهر بنوع مثاليّ ما نعنيه اليوم بالتعدّديّة وتعدّد الثقافة والمجتمع المدنيّ [١١] .

ولقد عرض البروفسّور متّحدِي (هارفارد) المبادئ الثلاثة التي تقوم عليها نظرة الإسلام إلى السماحة :

١) إنّ اختلاف الأديان صادر عن مشيئة الله .

٢) إنّ الحكم على الكفر والاقتصاص من الكافر يجب إرجاعه إلى الله وحده .

٣) إنّ احترام الجماعات الدينيّة بين البشر يجب أن يكون متبادلاً .

أمّا ألبيرت حوراني [١٢] فقد أظهر أنّه في أكثر حقبات التاريخ الإسلاميّ قلّما كان اضطهاد مركّز لأتباع الأديان الأخرى الذين عاشوا تحت سيادة

---

[١٠] راجع :

M. Hamidullah, *The Muslim Conduct of State*, Lahore 1977, 113-117 (207-210).

[١١] سعد الدين إبراهيم (راجع الحاشية ١) ، ص ١ .

[١٢] في كتاب *A History of the Arab Peoples* ، أورده سعد الدين إبراهيم ، ص ٣ و٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإسلام . و لم يكن هناك إكراه لغير المسلمين على اعتناق الإسلام .

تساءل البروفسّور كريستيان ترولّ خلال مؤتمرنا الماضي ، إلى أيّ مدى يعترف الإسلام والمسيحيّة ، في العقيدة والمسلك الواقعيّ ، بالأديان الأخرى في حقيقتها المغايرة . ونبّه إلى أنّ الإسلام لا يرى صعوبة في الاعتراف بالأديان الأخرى ، لا سيّما المسيحيّة ، فيما المسيحيّة لا تبادل هذا الاعتراف [١٣] .

من المسلّم به أنّ الإسلام لم يُلقّن المسلمين مفهوم " الغير " ، لأنّ من تعاليمه الأساسيّة أنّ جميع الناس متماثلون كأسنان المشط . فالإسلام يرفض أيّ فضل مزعوم لإنسان على إنسان على أساس العرق واللون وما شاكل . فإنّ النبيّ يقول بأنّ جميع الناس نشأوا من نفسٍ واحدة ، جميع الناس نشأوا من آدم ، وآدم خُلِق من تُراب [١٤] . وقد صرّح النبيّ ، في خطبة الوداع عند جبل عرفات ، أنّه لا فرق من بعدُ بين العربيّ وغير العربيّ وبين طبقات الناس . فالإسلام يُثبت قواعد للسلوك تمكّن الأصاغر بين الناس من البلوغ إلى أعلى المقامات في الحياة . فما يرمي الإسلام إليه هو مجتمع لاطبقيّ [١٥] .

إنّ البروفسّور ترولّ قد أوضح أنّ السماحة المدنيّة من وجهة نظر العالم المسيحيّ قد رُفضت في التراث المأثور ، ولكنّ الكنيسة قد قرّرت في الماضي القريب ، إثر المجمع الفاتيكانيّ الثاني ، أن تدعم الحرّيّة الدينيّة دون أن تتخلّى عن المطالبة بأنّها وحدها تمتلك الحقيقة [١٦] . أمّا الإسلام

---

[١٣] راجع في كتاب " سلام للبشر " (الحاشية ٤) ، ص ٢٨٤-٢٨٥ .

[١٤] طه ج. الألواني :

" Islam and the West ", in : *The American Journal of Islamic Social Sciences* 12 (1995), 395-399; *A Short History of the Saracens*, London 1951, 7-18.

[١٥] أنظر المرجع السابق .

[١٦] أنظر محاضرته في هذا الكتاب ، ص ٦٨ وما يتبعها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلم يَدّعِ قطّ أنه مبتكر دور المحامي عن الحقيقة . بل إنّ القرآن يصرّح بأنّ الحقيقة قد أوحي بها في جميع الأديان . ولذلك فالمسلمون منفتحون منذ أوّل نشأة جماعتهم على الحوار بين الأديان .

فلقد استلهم الإسلام منذ ساعة نشأته في القرن السابع حتّى منتهى القرن السابع عشر روحًا متسامحة ، علميّة ، أدبيّة ، حملت المسلمين على موجة من التقدّم ومكّنته من البلوغ إلى تطوّر رفيع ماديًّا وعقليًّا . وقد قام موقف الإسلام المتسامح منذ فتوحاته وظهر في مجتمعاته المتعدّدة الثقافة ، في زمن بلغت فيه السيادة الإسلاميّة أوْجَهَا . ولكن عندما فتح المغول بغداد ونهبوها في القرن الرابع عشر بدأ انحطاط المسلمين انحطاطًا لا يزالون يتخبّطون فيه حتّى اليوم . وقد أثّر هذا الانحطاط في مسلك المسلمين تجاه غير المسلمين ، وجعل منهم أنفسهم ضحايا المعارك الداخليّة ، ممّا أدّى إلى إغلاق باب الاجتهاد وانقطاع تفسير القرآن تفسيرًا مليئًا بالحيويّة . فبدل السماحة انتصب تصلّب المحافظين والتعصّب [١٧] .

ولقد أصاب المسلمين الذلّ في القرون الثلاثة اللاحقة من جرّاء توسّع الامبرياليّة الغربيّة في أفريقيا وآسية . فلبثت الأمّة في حقل السياسة والاجتماع والدين في مكانها لا تتحرّك ، بل هي كانت على تراجع . فقد أُخضع الإسلام للاستعمار الغربيّ ، وكُبت المسلمون في العالم كلّه ، حتّى قامت النهضة الإسلاميّة في القرن العشرين . فبفضل امتلاك مقدّرات حيويّة مثل النفط ، نشأ عدد كبير من الدول الإسلاميّة المستقلّة . وعندما تبيّن هكذا أنّ الإسلام قوّة يجب أن يُحسب لها حساب شرعت الدول المستعمرة تعتبره تهديدًا مباشرًا للوضع القائم ، الذي كان يضمن للغرب السيادة المطلقة

---

[١٧] سيّد أمير علي :

The Spirit of Islam. A History of the Evolution and Ideals of Islam. With a Life of the Prophet. London (reprint) 1953, 401-402.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تجاه الدول الشرقيّة المتخلّفة . وبدأت وسائل الإعلام تعدُّ الإسلام أكبر تهديد للحضارة في القرن العشرين [١٨] .

يبلغ عدد المسلمين اليوم خُمس سكّان العالم ، منتشرين في الأرض كلّها ، حتّى في أقصى زواياها . وفي ستّين بلدًا في العالم يؤلّف المسلمون أكثريّة السكّان . ولكن في نحو ١٢٠ بلدًا هم الأقلّيّة . فهم يعيشون اليوم في العالم كلّه مع غير المسلمين . وهكذا كان الوضع منذ أوّل نشأة الإسلام في مكّة وفي المدينة . وفي المجتمعات التي أكثريّتها مسلمة ، هناك إلى جانب أقلّيّات غير مسلمة ، جماعات مسلمة تُدعى فرَقًا أو جماعات تحمل اسمًا خاصًّا ، أو طرائق صوفيّة ، وتختلف عن سائر المسلمين [١٩] .

وممّا يلفِت الانتباه أنّ أكثر ضحايا العنف والكبت في العالم هم من المسلمين . هم يجاهدون في سبيل حقّهم في تحديد مصيرهم كجماعات عرقيّة في الشيشان وفي البوسنة ، وفي كشمير وفلسطين الخ . ومع ذلك فإنّ وسائل الإعلام في الغرب تصف الإسلام كتهديد للحضارة الغربيّة . وقد نبّه الأمير الأردنيّ الحسن إلى أنّ هناك جماعات مسلمة في أوربّة ، حيث يعيش أكثر من ستّة ملايين مسلم ، تتعرّض للرفض والمكافحة . فقد أثار الرأي العام في العالم الإسلاميّ كلّه ما جاء من أخبار التعدّي القاسي ، فيما لم يكن أتباع الجماعات الدينيّة الأخرى منكفّين عن أعمال العنف ، وذلك بفاعل التعصّب الدينيّ والثقافيّ [٢٠] .

هناك في جميع المجتمعات أوضاع ناجمة عن التعدّديّة ، هي موضوع

---

[١٨] راجع الأمير الحسن بن طلال في كلمة تحيّة ألقاها بمناسبة مؤتمر الحوار بين الأديان الذي عُقد في عمّان في تشرين الأوّل (أكتوبر) سنة ١٩٩٣ .

[١٩] راجع سعد الدين إبراهيم (حاشية ١) ، ص ١ .

[٢٠] راجع الحسن بن طلال (حاشية ١٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نقاش حادّ . فبعد الحرب العالميّة الثانية استُعمل مفهوم " التعدّديّة " بالنسبة إلى المجتمعات المنقسمة إلى أقلّيّات ثقافيّة ودينيّة وعرقيّة ، والتي تضمن وحدتَها جماعةٌ تملك السلطة السياسيّة . فإنّ الأقلّيّات التي تتميّز من الجماعات الأخرى في المجتمع الذي تعيش فيه ، على أساس العِرق أو الدين أو اللغة أو القوميّة ، كثيرًا ما تُنحّى عن الاشتراك الكامل في حياة المجتمع ، لأنّها تغاير الفرقة الحاكمة . ومثل هذا الموقف يؤدّي سريعًا جدًّا إلى أوضاع تتّسم بهضم الحقوق وتركيز الأحكام المسبّقة تجاه الأقلّيّات ، فيما تردُّ الأقلّيّة على ذلك بعصبيّة شديدة جدًّا وتتألّف فيها نماذج مسلكيّة تُسهم بدورها في عزل أعضاء الأقلّيّة عن سائر فِرق المجتمع [٢١] .

وليس من الضروريّ أن تكون " الأقلّيّة " في الواقع أقلّ عددًا من الفرقة الحاكمة . فإنّ السود يكوّنون في أميركا أكثريّة السكّان ، ولكنّهم بالنسبة إلى فئة البيض الحاكمة هم الأقلّيّة ، وكان الأمر كذلك في زمن الاستعمار البريطانيّ ، حين كان المستعمِرون الحاكمون هم الأقلّيّة ، ولكنّهم كانوا يُخضعون للمراقبة الأكثريّةَ العدديّة في نطاق الحكم والتجارة والعلاقات الاجتماعيّة . ومثله جرى في أفريقيا الجنوبيّة وروديسيا ، حيث كانت الفئة الحاكمة أقلّ عددًا في المجتمع من الأكثريّة المكبوتة . وفي القرن الحادي عشر كانت في إنكلترا الأكثريّة الأنكلوسكسونيّة بعد اجتياح النُرمان تحت سيطرة الأقلّيّة النرمانيّة الحاكمة في مجال السياسة والاجتماع والثقافة . ومثل ذلك يصحّ أن يُقال في السكّان الأصليّين في أفريقية وآسية وفي هنود أميركا ، وهم جميعًا اضطهدتهم الفئات الحاكمة .

وإذا تطرّقنا إلى مداخل التعدّديّة في تاريخ الغرب ، أي في المجتمعات المسيحيّة ، وجدنا سريعًا – باستثناء بعض الحالات – أنّ الأقلّيّات الدينيّة

---

[٢١] راجع الطبعة ١٥ : *Encyclopaedia Britannica*, 12, Chicago 1981, 260-264 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت مرفوضة ومُبعَدة ومضطَهدة . فالمجتمع الإقطاعيّ في الغرب لم يُحبّذ تقبّل غرباء غير مسيحيّين أو أشخاص لا ينتمون إلى الإقطاعيّين ولم يُسهّل انخراطهم في المجتمع . وفي أوربّا الغربيّة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كان الحكّام يعاملون اليهود بتعسّف ، ولكنّهم بما أنّهم كانوا بحاجة إليهم في حقلي التجارة والمال ، لم يقصدوا القضاء عليهم ، فكان يُسمح لليهود أن يعيشوا كجماعة مهمّشة ومُبعدة . وتوصّل الحكم في إنكلترا إلى الهدف نفسه بإنشاء محاجر عُذِّبوا فيها . وكذلك كانوا لا يتمتّعون بحرّيّة أوسع في إسبانيا والبرتغال . وبعد سقوط حكم الأمويّين في إسبانيا أُكره المسلمون على الارتداد إلى المسيحيّة . وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر أخضَع البروتستانت الإنكليز السكّانَ الكاثوليك لنيرهم . أمّا في فرنسة في القرن السابع عشر فقد نُفي البروتستانت أو حُشِروا في الخفاء ، عندما كانوا يرفضون أن يبدّلوا دينهم [٢٢] .

أمّا أبشع مظهر للاضطهاد الدينيّ فقد حصل في القرن العشرين ، حيث اضُطهد اليهود وأُفْنوا تحت حكم النازيّة . وفي البوسنة والشيشان وكشمير حصل إفناء المسلمين على مرأى من العالم كلّه . لقد اتُّخذت تدابير لإنهاء المذابح في البوسنة والشيشان ، ولكن هذه الإجراءات كانت في الحالتين ضئيلة جدًّا وجاءت متأخّرة . وما يحدث اليوم في كشمير ، لا يزال العالم لا ينظر إليه أو يتغافل عنه ، ولعلّ ذلك يدوم حتى ينقرض وجود المسلمين هناك .

فكُره الإسلام أضحى كلمةً تعبّر عن موقف الغرب المعادي للعالم الإسلاميّ . وما يميّز كاره الإسلام ممّن يعمِل الفكر الناقد في بعض أوجه المسلك الإسلاميّ ، هو أنّ كاره الإسلام يُصِرّ مطلقًا على اعتبار الإسلام

---

[٢٢] المرجع كما في الحاشية ٢١ ، ص ٣٦٠-٣٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ديناً جامدًا غير قابل للتغيّر . فالكره يؤدّي إلى استعمال مفردات معيّنة في حقّ الإسلام ، مثل الطابور الخامس ، ورأس الجسر ، والمنطقة المغلقة ، وحصان طروادة . وقد تحدّث ألفرد شرمان ، مستشار السيّدة مرغريت ثاتشر السابق ، عن " التهديد الإسلاميّ للغرب المسيحيّ " ، وعن " الاستعمار التدريجيّ للغرب ولأوربّة الوسطى " [٢٣] .

هل يمكن الكشف عن العناصر التي تشجّع التعصّب المتزايد في قرننا ، والذي يحول دون تطوّر مجتمعات تعدّديّة ؟

إنّ جميع الديانات الموحّدة تنطلق في عقيدتها من أنّ الجنس البشريّ نشأ من جدّين مشتركين ، من آدم وحوّاء . ومن المعروف منذ البدء ، عندما قتل قايين قابيل (= هابيل) ونحّى جثّته سرّيًا وأبى أن يتحمّل المسؤوليّة فيكون حفيظًا على أخيه ، من المعروف أنّها قامت خلافات داخل الأسرة البشريّة . ومن المؤسف أن يكون هذا الميل إلى اقتراف أعمال التعصّب ورفض حمل مسؤوليّتها ، قد تأصّل في الكيان البشريّ ، حتّى إنّ الجنس البشريّ باستطاعته في القرن الحادي والعشرين أن يزجّ نفسه في الهلاك ، إن لم ينجح في إنشاء عوائق بنيويّة تضع حدًّا لهذه التطوّرات الهدّامة على المستوى الوطنيّ والدوليّ [٢٤] .

فالوسائل الإلكترونيّة تنفذ إلى جميع الأقطار والقطاعات ، فهي حاضرة في مجال الحياة العائليّة ، وتؤثّر على الأفكار والآراء في باطن الناس . فبعد انهيار الشيوعيّة شرعت وسائل الإعلام الغربيّة تصف الإسلام بأنّه الخطر الأكبر للحضارة . والمسلمون يرون في هذه الإدانة ضررًا أكبر من الخطر

---

[٢٣] ذكر ذلك في :

B. Hugill - M. Bright, " A Gentler Face of Islam ", in : *The Runnymede Trust Committee Report*, Friday Times, January 16-22, Lahore 1997.

[٢٤] راجع الحسن بن طلال ، الحاشية ١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذرّيّ ، إذ إنّ وسائل الإعلام تعمل ليلاً ونهارًا . فكلّ كارثة تُلقى مسؤوليّتُها على عاتق المسلمين ، وأكثريّة السكّان في الغرب تعتبرهم أعداء وإرهابيّين . وعندما تظهر براءتهم ويتمّ القبض على المجرمين - كما حصل ذلك في حادث تفجير قنبلة في أوكلاهوما في الولايات المتحدة - فذلك لا يعوّض عن الضرر الذي يكون قد نتج من البغض والاتّهامات وقت الحادث .

إنّ وصف الإسلام بالسوء والشرّ هو اليوم أكبر تهديد للتعدّديّة . فعند الغربيّين صارت كلمة " أصوليّ إسلاميّ " مرادفة لإرهابيّ . فطالما لم يُصحّح هذا الوضع فلا يمكن أن يتمّ تقارب فعّال بين الإسلام والغرب المسيحيّ . إنّ وسائل الإعلام تعارض أيّ محاولة تأثير عليها من الخارج . ومع ذلك يجب تطوير بعض الأساليب التنظيميّة على المستوى الدوليّ لدفع وسائل الإعلام بنوع حازم إلى الحفاظ على حدٍّ أدنى من الصدق والنزاهة وعدم التحيّز . ولقد وضعت الأمم المتّحدة عددًا من الاتّفاقيّات تتطرّق إلى مشاكل معيّنة أو تتصدّى لها بفعّاليّة . ومن ضرورات الساعة الماسّة وضع اتّفاقيّة من جانب الأمم المتّحدة " للحؤول دون نشر الأخبار الخاطئة " .

وهناك التعصّب القوميّ الجامح - لا سيّما إن رُكّز على قاعدة الدين - فليس من شأنه أن يدعم التعدّديّة . ففي حقبات كثيرة من تاريخ المسيحيّة اضُطهد غير المسيحيّين إلى أن نزحوا أو صُهروا أو أُبعدوا . واليوم نرى أنّ غير اليهود في الدولة اليهوديّة إسرائيل لا يُعامَلون بتسامح . وكذلك يعاني المسلمون في الهند من الكبت الاقتصاديّ والتهميش . وهذا ما أدّى إلى إنشاء دولة باكستان . وفي كشمير يُشير الوضع إلى أنّ هناك عمليّة إبادة للسكّان المسلمين من قِبل حكومة الاحتلال الهنديّة . ومن جهة أخرى تزعم الهند أنّ باكستان تدرّب إرهابيّين وأنّ هؤلاء هم المسؤولون عن قتل سكّان المنطقة ، وأنّهم يثيرون فتنة الانفصال بأنّهم يتّهمون بقتل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السكّان أولئك الذين ينفّذون القوانين الهنديّة . وتدمير جامع البَبْري ، والثورات وإبادة المسلمين في بومباي هي أمثلة أخرى على انعدام التسامح .

ومثل هذه المشاكل تعترض الأقلّيّات في بلاد غربيّة . ففي ألمانيا تحرّكٌ للنازيّة الجديدة ، وانتعاش للحركات المعادية للساميّة ولآسية ، حيث إنّها تستعمل العنف ضدّ نازحين أبرياء يعيشون هناك منذ جيلين أو أكثر . وحركات مثل هذه تكتسب نفوذًا أشدّ في إنكلترا وفرنسا أيضًا . وقد أدّت مثلها إلى تقسيم يوغسلافيا إلى دول الصرب والبوسنة وكرواتيا . وكانت أوربّة كلّها تشاهد الفاجعة وتتغافل عنها ، عندما قامت مدّة سنوات عديدة محاولة القضاء على السكّان المسلمين . وحتّى اتفاقُ دايتون ، الذي تمّ التفاوض عليه تحت قيادة الأميركيّين ، لم يتوصّل إلى تأمين سلام دائم . وإنّ المذبحة الوحشيّة التي ارتُكبت – رغم ضمانات أمان التنقّل – بحقّ مسلمي البوسنة يوم العيد ، عندما ذهبوا لزيارة قبور ذويهم في كرواتيا والصرب ، هي أحد الأحداث التي توضح أنّ فقدان التسامح معضلة دوليّة شاملة .

أمّا التخلّف الاقتصاديّ والاستغلال والجهل فهي عوامل تبعث على عدم التسامح . ففي البلاد النامية تتزايد الكراهية تجاه الأقلّيّات مع تدهور الأوضاع الاقتصاديّة . فيقوم المعدمون اقتصاديًّا ضدّ الذين يتّهمونهم باستلاب الموارد العائدة إلى الجميع . ومن جهة أخرى رحّبت البلاد المتطوّرة في الغرب بالغرباء طالما كانت بحاجة إليهم في خدمة صناعتهم ولأداء أشغال ضئيلة الكسب كان مواطنوهم يعتبرونها خسيسة . فغير المسيحيّين والمهاجرون إلى تلك البلاد يُضطهَدون اليوم عندما تقلّ إمكانيّات التشغيل وتظنّ الأكثريّة المسيحيّة أنّها تخسر رزقها على يد الغرباء الذين لا تحقّ لهم تلك الأشغال . وتقوم مساعٍ لطرد المسلمين ، بما فيه أولئك الذين ليس لهم وطنٌ آخر ، إذ وُلدوا في البلد الذي هاجر إليه أهلهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك التقدّم التقنيّ الذي يقابله انحطاط القيَـم الإنسـانيّة . فإقصـاء البـلاد النامية عن التوصّل إلى العلم والتكنولوجيـة يخلـق شـعورًا بالاسـتغلال يصعـب التغلّب عليه ، طالما أنّ البلاد المتقدّمة هي التي توجّه وتقرّر اتّفاقيّـة الأمـم المتّحدة حول النقل السلميّ للتكنولوجية . فالغرب يستعمل قوّتـه بمـا فيـه وسائل الإعلام للحطّ من مقام المسلمين وتركـيز فقرهـم وإقصـائهم عـن تطوّرات التكنولوجية الحديثة .

فالديموقراطيّة ، إن لم تُخضَع لتوجيه منظّم ، قد تتحوّل إلى تجبّر الأكثريّة . فتتعرّض الأقلّيّات الدينيّة والقوميّة إلى الانقراض ، إن لم تحظَ حقوقهم بالحمايـة من قِبل دستور الدولة . ومن هنا نشأت ضرورة ترسيخ لائحة الحقوق في الدستور الأميركيّ وفي أغلبيّة الدساتير المكتوبة في العصر الحـاضر . ومـن الشروط الضروريّة لحماية حقوق الإنسان حمايةً فعّالة ، إيجادُ محاكم مستقلّة .

إنّ باكستان التي نشـأت نتيجـة كفـاح المسـلمين في الهنـد في سـبيل إحراز وطنٍ حرّ ، يمكن ضربُها مثلاً في قضيّة تحديد نظام قـانونيّ لتطويـر التعدّديّة . فمؤسّس باكستان القائد الأعظم محمّد علي جناح أكّـد بشـدّة موقفه في الجمعيّة الدسـتوريّة لباكسـتان سـنة ١٩٤٧، وقـدّم في ذلـك تصريحًـا جليلاً : " أنتم أحرار . أنتم أحرار أن تذهبوا إلى هياكلكم ، أنتم أحـرار أن تذهبوا إلى مساجدكم أو إلى أيّ موضع من مواضع عبادتكم في دولـة باكستان هذه . وأيًّا كانت الديانة أو الطبقة التي تنتمون إليها ، وأيًّا كان الإيمان الذي تعتنقونه ، فهذا ليس من شأن الدولة ومهمّاتهـا ... فنحـن ننطلـق في هذه الأيّام ، التي ليس فيها من بعدُ هضمُ حقوق أيّ جماعة ، ولا هضم حقوق أيّ طبقة ولا أيّ دين ، نحن ننطلق من هذا المبدإ الأساسيّ القـائل بأنّـا جميعًا مواطنون ، مواطنون متساوو الحقوق في دولة واحدة ... وأرى أنّـه يجب علينا أن نضع هذا نصب أعيننا كمثال لنا . فسـترون أنّـه مـع الزمـن يكـفّ الهندوسيّون عـن أن يكونـوا هندوسيّين ، ويكـفّ المسـلمون عـن أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يكونوا مسلمين . وذلك لا بالمعنى الدينيّ ، إذ إنّ هذا شأن كلّ فرد في إيمانه الشخصيّ ، بل بالمعنى السياسيّ كمواطني الدولة "[٢٥] .

إنّ المُثُل التي عبّر عنها جناح بهذه الطريقة محفوظة في دستور باكستان كما في مُقام مقدّس . فهو يضمن حماية الأقلّيات وحقّهم بالاشتراك في الحياة العامّة على أساس المساواة في الحقوق ، وبالتمثيل السياسيّ وحماية أماكنهم المقدّسة . وللأقلّيات أن تنشر إيمانها في المؤسّسة الثقافيّة التي تديرها وتموّلها . فمثل هذه الترتيبات من شأنها أن تَحُولَ بطريقة فعّالة دون قيام تجبّر الأكثريّة . ومع ذلك يمكن استغلال بعض أحكام القانون الجنائيّ الباكستانيّ المتعلّقة بالأمور الدينيّة ، استغلالاً جائرًا . فالفقرة ٢٩٥ من القانون الجنائيّ تقرّر أن كلّ من يحطّ من كرامة القرآن أو النبيّ الكريم يمكن اتّهامه بالتجديف وحتّى الحكم عليه بالإعدام . وهكذا تعرّضت الأقلّيات للاضطهاد على أساس استعمال جائر لهذا القانون . فشكاوى التجديف التي تناقلتها الصحف ، وصدر فيها الحكم بالإعدام على مسيحيّين ، ومنهم غير بالغين ، بتُهمة أنّهم شتموا النبيّ الكريم ، صلوات الله عليه ، خطّيًا أو شفهيًّا ، تعكس بطريقة مؤسفة فقدان التسامح عند الأكثريّة . ولقد قامت المحاكم العليا تحامي عن مصالح الأقلّيات وألغت أحكام الإعدام . ولذلك يجب تعديل هذه القوانين لتبقى مطابقة لتعاليم الإسلام ، فتقرّر أنّ كلّ شتم موجّه ضدّ كتاب مقدّس أو نبيّ خاصّ بأيّ دين ، تجب ملاحقته بالطريقة عينها .

إنّ طلب التراتب وكبت البدع هو لعنةٌ تصيب كلّ جهاز دينيّ ينتزع فيه الرؤساء الدينيّون وعلماء الدين السلطة في الكنيسة والجماعة . ولا يُستثنى هنا الإسلام ، ولو أنّه على مدى التاريخ لم يُكثر من القسوة في معاملة الكفّار وأهل البدع . فلقد ذهب أهل الكرامات الروحيّة وأصحاب المذاهب العقليّة

---

[٢٥] جَويد إقبال : Javid Iqbal, *Legacy of Quaid-e-Azam*, Lahore, 1967, 41-42 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمنادون بالإصلاح ضحيّة الاضطهاد [٢٦] . وفي باكستان لم تتوفّق الحكومات ، الواحدة تلو الأخرى ، أن تحصر الاختلافات بين الفِرق الإسلاميّة . فأضحت في الماضي القريب مصدر الكثير من العنف وإراقة الدماء .

وأينما قامت في العالم نزاعات دينيّة أو مذهبيّة ذهبت النسّاء ، لضعفهنّ الجسديّ ، ضحيّة العنف في أهمّ اتّجاهاته ، والأولاد غير الشرعيّين الذين ينتجون من هذا الاغتصاب يذهبون بدورهم ضحيّة العنف المطّرد من قبل المجتمع ، هم وأمّهاتهم أيضًا في كثير من الأحوال . فهذا الوضع المؤسف يحتاج على الصعيد الوطنيّ والدوليّ إلى تنظيم جدّيّ شامل ، إن أردنا إعادة السلام بطريقة فعّالة إلى المناطق التي تهزّها الاضطرابات . ولقد أقرّ مؤخّرًا مجلس النوّاب الباكستانيّ قانونًا يعاقب الاغتصاب المفضوح بالإعدام . فمثل هذا القانون على الصعيد الدوليّ قد يُساهم في طمأنة النساء إلى أنّ وضعهنّ أضحى أكثر أمنًا وأقلّ تعرّضًا للخطر .

إنّ إدخال قرارات دستوريّة وإجراءات أخرى قانونيّة لحماية المواطنين إدخالاً فعّالاً على يد الأجهزة التشريعيّة المختصّة في شتّى البلدان ، له أهمّيّة حاسمة لضبط التعصّب وحماية التعدّد ولضمانة انخراط الأقلّيّات في إطار المجتمع العامّ . ولكنّ إجراءات الدولة غير كافية ، كما ظهر ذلك في الأحداث التي دارت حول جامع البري . وهناك مشكلة كبرى ، وهي أنّ الناس في العالم كلّه ، وخصوصًا في البلدان النامية ، لا يعرفون القوانين الراهنة ، ممّا يقلّل من فعّاليّة الإجراءات القانونيّة الهادفة إلى تأمين الاعتبار المفروض للتعدّديّة . فالزعماء الدينيّون يستغلّون جهل الجماهير ويوهمون الناس أنّ الشرع الدينيّ يفرض معاقبة الكفّار واضطهادهم لإكراههم على

---

[٢٦] راجع سيّد أمير علي (الحاشية ١٧) ، ص ٤٦٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اعتناق دين الأكثريّة . فالأولويّة إذن في إطار تنفيذ القوانين التي تحمي التعدّديّة ، هي توعية الناس ونشر المعلومات الصحيحة نشرًا مركّزًا عن واقع التشريع الدينيّ والمدنيّ . هذا يصحّ بالنسبة إلى جميع الناس ، ولا سيّما المسؤولين عن تأمين الهدوء والنظام .

ففي كثير من البلدان الإسلاميّة تسعى عناصر رجعيّة إلى تفسير الشريعة الإسلاميّة تفسيرًا خاطئًا ، هدفه أن يؤمّن للمسلمين فضلاً عن غير المسلمين ويثبّت للرجال تفوّقًا على النساء ، ويقصي الأقلّيّات والنساء عن التطوّرات الاجتماعيّة الكبيرة ، لاسيّما تكافؤ الحقوق في نطاق العمل . هذا يُفضي إلى كبت النساء والأقلّيّات ويؤثّر على التطوّر العامّ في المجتمع ويحطّ من قيمة الحياة . ولذلك إذا أردنا بناء مجتمع متكافئ الحقوق تعدّديّ ، ينبغي أن نحقّق المساواة في الحقوق التي يضمنها الدستور للنساء وللأقلّيّات بفعّاليّة في الحياة الاجتماعيّة ، وذلك بواسطة نشاطات وإجراءات إيجابيّة موجّهة .

في كثير من البلدان الإسلاميّة خُصّص عدد من المقاعد النيابيّة للأقلّيّات ، يتسابق ممثّلوها إلى اكتسابها ، أو هناك عدد من الوجهاء ، يعيّنهم رئيس الدولة . فالأردنّ وفلسطين وإيران تتّبع السبيل الأوّل ، فهي تحدّد عددًا من المقاعد في مجلس النوّاب يترشّح له أعضاء جماعات قوميّة . ومصر فضّلت السبيل الثاني . أمّا لبنان فله طريقة أخرى ، فالتمثيل النيابيّ فيه يطابق تمامًا توزيع السكّان على الطوائف المختلفة ، ولم تقم فيه مجادلات أو نزاعات مسلّحة حول المبدإ ، بل قامت حول التطبيق العادل للمبدإ الذي يريد أن ينصف الطائفيّة السائدة [٢٧] . وفي باكستان قُرّر نظام انتخابات خاصّة بالأقلّيّات . ولكنّ هذا يقف حاجزًا ضدّ تطوّر تعدّديّة اجتماعيّة ، فإنّ الأقلّيّات ، وإن أُفسح لها المجال في الحصول على تمثيل لها في الهيئات

---

[٢٧] سعد الدين إبراهيم (الحاشية ١) ، ص ١٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التشريعيّة ، فهي لا يُسمح لها أن تشترك في انتخاب مرشّحي الأكثريّة . وهكذا فهي محرومة من اشتراك حقيقيّ في المكتسبات السياسيّة العامّة ، التي يتّسع مجالها لأعضاء الأكثريّة في الدولة . إنّ اللجوء إلى نظام انتخابات مشتركة أو عامّة يضمن أن يكون المنتخبون يمثّلون أكثريّة الناخبين جميعًا ، لا الأكثريّة فقط . فالنساء لا يحقّ لهنّ فقط أن يكون لهنّ مَن يمثّلهن ، بل لهنّ أن يشتركن بفعّاليّة في الانتخابات العامّة . وكذلك القول في الأقلّيّات .

من المعروف أنّ القانون لا يمكنه إرضاء مصالح الذين ليس لهم تمثيل مقابل . فإن كانت طائفة النساء والأقلّيّات ليس لها تمثيل كافٍ في الهيئات التشريعيّة ، فهذا يؤدّي إلى أنّ حقّهم مثلاً بأجرة مماثلة لعمل مماثل ، أو بوظائف في القطاع العامّ وفي هيئة القضاء ، لا يُعترف به . ففي باكستان مثلاً وفي البلدان التي لا تملك إلاّ قَدْرًا محدودًا من الوظائف ، يواجه النساء والأقلّيّات الرفضَ والتنحية في بدء دورة التعيينات لوظائف الدولة ، ثمّ لا يؤبَه لهنّ في دورات الترقية . فمن مهمّة السياسة أن تركّز حقّ النساء والأقلّيّات بالقدر من الوظائف في القطاع العامّ الذي يطابق نسبة عددهنّ من السكّان ، دون أن يمنع ذلك من رفع نسبة توظيفهنّ إن تعدّى فضلهنّ في الخدمة والنوعيّة نسبة عددهنّ من السكّان . وقد شدّدت المحكمة العُليا في باكستان على مثل هذه السياسة في ما يتعلّق بتوظيف النساء في المدارس المهنيّة . فرؤساء الكتل أو المفتّشون البرلمانيّون يمكنهم الاضطلاع بسلطة تفتيشيّة ليضمنوا أن تُوزِّع الدولة والهيئات المستقلّة الأخرى الوظائفَ بنوع يؤمّن تساوي الحظوظ للجميع .

وعلى المستوى الدوليّ عملت هيئة الأمم المتّحدة منذ تأسيسها سنة ١٩٤٥ على إنشاء معاهدات تهدف إلى خلق أوضاع من شأنها أن تدعم السلام والتعدّديّة في العالم ، وذلك بإبعاد جميع أنواع الكبت والتمييز الاجتماعيّ والاقتصاديّ ، والثقافيّ والعنصريّ والدينيّ . منها " دستور الأمم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتّحدة " (سنة ١٩٤٥) ، و" التصريح العامّ في حقوق الإنسان " (سنة ١٩٤٨) ، و" المعاهدة في تجنّب إبادة الشعوب ومعاقبتها " (سنة ١٩٤٨) ، والمعاهدات الدوليّة المتعلّقة " بالحقوق المدنيّة والسياسيّة " ، و" الحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة " (سنة ١٩٦٦) ، والاتّفاقات الدوليّة " لتنحية كلّ نوع من أنواع التمييز العنصريّ " (سنة ١٩٦٩) ، و" كلّ نوع من أنواع الإجحاف بحقوق المرأة " (سنة ١٩٧٩) ، و" المعاهدة في حقوق الدول وواجباتها الاقتصاديّة " (سنة ١٩٧٤) . وعلى صعيد المناطق أنشئت أيضًا مؤسّسات مختلفة . ولكن مثل هذه المعاهدات تميل إلى توثيق التفرقة ، إذ إنّها غالبًا ما تمثّل مصالح محلّيّة أو مصالح منطقة معيّنة ، مقابل المصالح الشاملة .

إنّ معاهدات الأمم المتّحدة وثائق جيّدة ، تنعكس فيها الآمال الطيّبة التي يعلّقها عليها واضعوها . ولكنّها لم توافق عليها جميع أعضاء الأمم المتّحدة . فكلّ دولة باستطاعتها أن ترفض معاهدة أو أن ترجع عن موافقتها عليها . ثمّ إنّ تنفيذ المعاهدات من قبل الموقّعين عليها تتعلّق بالحوافز والاستعدادات وعلامات التفضيل المتوفّرة لدى كلّ فرد من الموقّعين ، أو برأي " الدولة الكبرى المتسلّطة " التي تقرّر هل من المفيد ، وبأيّ قدر ، أن ينفّذ اتّفاق معيّن ضدّ دولة نسيت واجبها . وتجدر هنا الإشارة إلى أنّ المسلمين ، وعددهم يبلغ في العالم مليارًا ونصف المليار ، ليس لهم مقعد دائم في مجلس الأمن الدوليّ .

من واجب جماعة الدول أن تؤمّن أن يكون الحوار بين المتنازعين حوارًا متساوي الحقوق . وهذا لا يتمّ إلاّ بمقدار ما تُخضع الدول القادرة على إعمال الضغط مصالحَها الوطنيّة لخير الأسرة البشريّة العامّ . وإن كان لا بدّ من الضغط ، فيجب الضغط على المحارب المذنب ، لدفعه إلى التصرّف وفقًا للحقّ والقسط . ولا يجوز التفكير في حلّ يضرّ بمصلحة الضعيف ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لمجرّد أنّ ذلك يوافق المصالح الوطنيّة للدول التي تقوم بالمراقبة . فللوصول إلى ضمانات قانونيّة وسياسيّة للتعدّديّة على الصعيد الدوليّ ، قد تقوم الخطوة الأولى بتقبّل الأحكام الملزمة الصادرة عن المحكمة الدوليّة وتنفيذ قراراتها بواسطة جيش يحمي السلام ، تُشرف على تأليفه الهيئة العامّة للأمم المتّحدة [٢٨] .

والعزم على القبول بالواجبات الدوليّة وتنفيذها ، يجب أن يحصل لدى الحكومات والشعوب في الدول الأعضاء . فالتصريح العامّ في حقوق الإنسان ، الذي قُرّر سنة ١٩٤٨ ، والاتّفاق القائل بتنحية " كلّ نوع من الإجحاف بحقوق المرأة " (سنة ١٩٧٩) ، لم تتمّ بعد الموافقة عليهما من قِبَل الولايات المتّحدة الأميركيّة ، الدولة الكبرى الوحيدة الباقية في العالم . هذا يوحي بأنّه عندما لا تريد أقوى دولة في العالم أن تضمن المساواة لمواطنيها بغضّ النظر عن عرقهم وقناعاتهم الدينيّة أو جنسهم ، فعندها يسهل جدًّا على بلدان أضعف وأقلّ تطوّرًا أن تقتاد بهذا المثل وتتمسّك بقوانينها وإجراءاتها الخاصّة الجائرة .

هناك في الدول المتخلّفة اليوم ما يقارب ٨٠٠ مليون من الناس يُعانون من قلّة غذاء مزمنة . فالجوع وقلّة الموادّ الغذائيّة سواء أكان سببها الحرب أم الجفاف أم الفقر أم الحوادث الطبيعيّة ، تجلب على البشريّة أضرارًا كثيرة فبينما تقوّي دوّامةُ ارتفاع النموّ السكانيّ الضغطَ على الموارد الطبيعيّة ، يقود الجوع والنزاعات المسلّحة إلى تضخيم حركة الهجرة . فمثل هذه الأوضاع ليس من شأنها أن تعزّز تطوّر التعدّديّة في العالم . " فمؤتمر القمّة في سبيل النموّ الاجتماعيّ " الذي عُقد في كوبنهاغن (سنة ١٩٩٥) ، " والمؤتمر العالميّ حول قضيّة النساء " في بيجينغ في الصين (سنة ١٩٩٦) ، " والمؤتمر

---

[٢٨] راجع كتاب جَويد إقبال (الحاشية ٣) ، ص ٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدوليّ حول السكّان والنموّ" في القاهرة (سنة ١٩٩٤)، كلّها أكّدت ضرورة تقوية المجتمع المدنيّ بواسطة برامج دعم "للهيئات غير الحكوميّة" في البلدان النامية التي تعزّز الاشتراك في الحياة العامّة، وتشجّع المبادرات الاجتماعيّة والتربويّة لصالح النساء، وتدعم إيجاد موارد الكسب وتحسين وضع حقوق الإنسان الخ[٢٩].

ولكنّ الاتّفاقيّات والقوانين لا تكفي وحدها لحلّ مشاكل الاختلاف بين الناس. ولقد تبيّن ذلك مؤخّرًا في معاهدة دايتون، التي لبثت بدون فعّاليّة في الصرب وكرواتيا والبوسنة والهرسك. ولذلك فمن اللازم في إطار السياسة الداخليّة حصول تقبّل عامّ للقرارات الدستوريّة لحماية جميع المواطنين بغضّ النظر عن دينهم أو طبقتهم أو إيمانهم. وللبلوغ إلى احترام مثل هذه القوانين يجب حصول تغيُّر في الاستعداد الداخليّ من نواحٍ عديدة. ففي أماكن العبادة عند جميع الأديان يجب، بدل إثارة الكراهية، التشديد على الاحترام والمحبّة تجاه كلّ الجماعات الدينيّة والمعتقدات الإيمانيّة. فإن تُمِّمَت هذه الشروط الأساسيّة، أمكن الوصول إلى تغيير المواقف الضروريّ عند الناس حتّى يوافقوا على التعدّديّة. فالنقص الثقافيّ يؤدّي إلى الجهل عند خطباء الدين وعند سامعيهم الذي يتعرّضون عندها، بسبب بساطة عقلهم، إلى نوع من غسل الدماغ. فعلينا أن نربّي الأولاد في المدارس الابتدائيّة على فهم منفتح لتعدّد الدين والثقافة. فيتعلّم الأولاد أن يقبلوا بالاختلافات الدينيّة والثقافيّة وأن يحترموا المغايرة ويتصرّفوا تجاهها تصرّفًا موافقًا. فمثل هذا التعليم العمليّ في إطار المساواة بين أولاد جميع الطوائف والقناعات

---

[٢٩] راجع:

ShaheraYoussef, "Eliminating the Want of Hunger", in: *Civil Society* (Ibn Khaldun Centre of Development Studies, Cairo), vol. 5, Issue 52 (April 1996), 16-17.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدينيّة يمكن أن يبعث التسامح عند البالغين ويـؤدّي في النهايـة إلى ثقافـة تعدُّديّة على أساس الاحترام المتبادل والتعاطف بين أتباع الديانات المختلفة .

أمّا البلدان الإسلاميّة فمنها من تمكّن في الماضي القريب من أن يتحرّر من نزاعات كبيرة بين المواطنين ويُفسح مجالاً موافقًـا للمغـايرة بينهـم ، أعـني ملايزيا وإندونيسيا . ولقد شرح لنا الدكتور نوركُليـش مجيـد في مؤتمرنـا السابق كيف أنّ بلده إندونيسيا – وهو أكبر بلد إسلاميّ في العالم ، يقطن فيـه أكثر من ١٨٠ مليونًا من الناس على اختلاف أديانهم وثقافاتهم – قد أرسـى التعدّديّة على قواعد " المبادئ الخمسة " (Pancasila) . فدسـتوره يرتكـز علـى التوحيد والثقافة الإنسانيّة العادلة المتحضّرة ، ووحدة إندونيسيا ، والديموقراطيّـة والعدالة الاجتماعيّة [٣٠] .

أمّا ملايزيا فأكثريّة سكّانها مسلمون ، وحكومتها يغلب فيهـا عـدد المسلمين . ومع أنّ المسلمين لديهـم أكثريّـة كافيـة تمكّنهـم مـن الانفـراد بالحكم ، فإنّهم فضّلوا ألاّ يفعلوا ذلك . فقرّروا بملء حرّيّتهم أن يتقـاسموا الحكم في الدولة مع غير المسلمين . فالعلاقات في الحكومة مسـالمة وثابتـة ومكلّلة بالنجاح – وهذا مع التوصّل إلى ٨ ٪ من النموّ الاقتصاديّ سنويًّا منذ عشر سنوات . فقد برهن مسلمو ملايزيا أنّهم يسـتطيعون أن يعيشـوا ويعملـوا مع غير المسلمين ، فيبنوا هكذا معًا أمّة متّحدة ومتقدّمة [٣١] .

إنّ الحرّيّة الدينيّة في ملايزيا وإندونيسيا هي من جهة ثمـرة طبيعيّـة للشـعور الدينيّ المتوارث في الإسلام ، ومن جهة أخرى نتيجة توجّهات عصريّـة .

---

[٣٠] في كتاب " سلام للبشر " (حاشية ٤) ، ص ٢٥٧ .

[٣١] راجع خطاب رئيس وزراء ملايزيا الذي ألقاه في نـادي أكسـفورد للدراسـات الإسـلاميّة في بريطانيا ونُشر بعنوان :

Mahathir Mohamad, " Islam Misunderstood Religion ", Afro Arab Centre Malaysia, 1996, 40-41.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فإنّه حفاظًا على سلامة الدين لا يجوز للدولة أن تُكره الناس على الإيمان ، وهذه نظرة يقول بها القرآن الكريم . فالدكتور مجيد يؤيّد الحرّيّة الدينيّة ، ويصرّح كأحد المدافعين عنها : وإن كان المسلم لا يريد أن يصير مسيحيًّا وبالعكس ، فإنّ التصرّف الصحيح الوحيد ، الذي يجب على الجميع أن يتبنّوه ، هو الإصغاء إلى المسيحيّ الذي يريد أن يكون مسيحيًّا ، والتوقّف عند المسلم الذي يريد أن يكون مسلمًا .

إنّ البلدان الإسلاميّة الأخرى يمكنها أن تتّخذ العبرة من كلّ هذه المناهج السياسيّة . فالبلدان الإسلاميّة عليها أن تتبنّى أفضل العناصر الفكريّة والعمليّة من تراث الإسلام ، مثلاً التأدّب والسماحة ، والاستقلال والتعدّديّة ، وعليها أن تتبنّى أيضًا عناصر التراث الإنسانيّ الحديث منذ عصر النهضة ، منها قبل كلّ شيء احترام حقوق الإنسان الأساسيّة ، وتأمين حقوق المواطنة الكاملة للجميع بما فيه النساء وغير المسلمين . وهذان التراثان ، إذا تمّ ائتلافهما ، فهما يعزّزان أمل المسلمين في السير المفلح على السبيل المؤدّي إلى القرن الحادي والعشرين [٣٢] .

إنّ نهضة الإسلام الحاليّة قد لفتت الأنظار لبعدها الجغرافيّ ولأهمّيّتها السياسيّة في المناطق الراهنة . فالإسلام اليوم يعدّ نحو مليار ونصف من الناس الذين اعتنقوا دينه ، وقد اكتسب في القرن العشرين من الأتباع الجدد نسبيًّا أكثر ممّا اكتسبه أيّ دين آخر [٣٣] . فهذه الظاهرة يمكن أن تُعزَى إلى أنّ الإسلام في كيانه الباطن دين ومسلك حيويّان ، ويمكنه التوافق مع تغيّرات الزمن والتوسّع ، مجاراةً لمقتضيات مجتمع معيّن في زمن معيّن . فإن أراد الإسلام أن يظلّ في حيّز الوجود ، ينبغي له أن يُوَفّق بين شرائعه وتصرّفاته

---

[٣٢] سعد الدين إبراهيم (الحاشية ١) ، ص ١٣-١٤ .

[٣٣] *World Christian Encyclopaedia* (Oxford University Press), 1982.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحاجات الناس ومقتضيات العصر الحديث . فالتحديث ليس مرادفًا لنقل أوضاع الغرب ، بل هو بالأحرى القبول بعامل التغيير الذي هو بدوره قاعدة الاجتهاد كمبدإ للتحرّك في بنية الإسلام الاجتماعيّة [٣٤] .

هل يستطيع دينٌ يؤكّد أنّه قائم على أسس أخلاقيّة وروحيّة ، أن يُسهم إسهامًا مهمًّا في إحلال السلام والعدل وتأمينهما في نطاق الأسرة البشريّة في المستقبل ؟

عمومًا يبدو الغرب كأنّه ينطلق في تفكيره من أنّ الإنسان كائن مادّيّ يمكن تسييره بواسطة قوى مادّيّة . إن كان الأمر كذلك فلا صلة هناك بين القيَم الأخلاقيّة والروحيّة وتطوّر المقدّرات البشريّة ، ولذلك لا أهمّيّة لها في صياغة شكل المجتمع البشريّ وفي التوفيق بين فِرقه المختلفة . وهذه النظرة الغربيّة التي لا تنتبه إلى القيَم الأخلاقيّة تؤدّي إلى حشر جميع الظواهر الأخلاقيّة والروحيّة التي لا يمكن شرحها وتحديدها ، في مفهوم " الثقافة " . وعلى هذا الأساس ترى الحضارة الغربيّة - وهي تريد أيضًا إقناعنا من ذلك - أنّ الحوارات الثقافيّة من شأنها أن تتغلّب على جميع التوتّرات وتمهّد لتخطّي اختلاف الآراء بين شعوب العالم اليوم ، وذلك على شرط أن تقوم هذه الحوارات على قاعدة " العطاء والأخذ " [٣٥] .

ولكنّ الاختبار يعلّمنا أنّ مثل هذه الحوارات الثنائيّة أو المتعدّدة الأطراف غالبًا ما تميل لصالح القويّ وعلى حساب الضعيف . فطالما لم تُستنبط بقيادة جماعة الأمم الدوليّة طريقة فعّالة تضمن أن يتمّ الوصول إلى نتائج مثل هذه الحوارات على أساس المساواة والعدالة والإنصاف تلبث مقولة المجتمعات

---

[٣٤] محمّد إقبال (حاشية ٣) ، ص ١٤٨ .

[٣٥] جَويد إقبال (حاشية ٣) ، ص ١ .